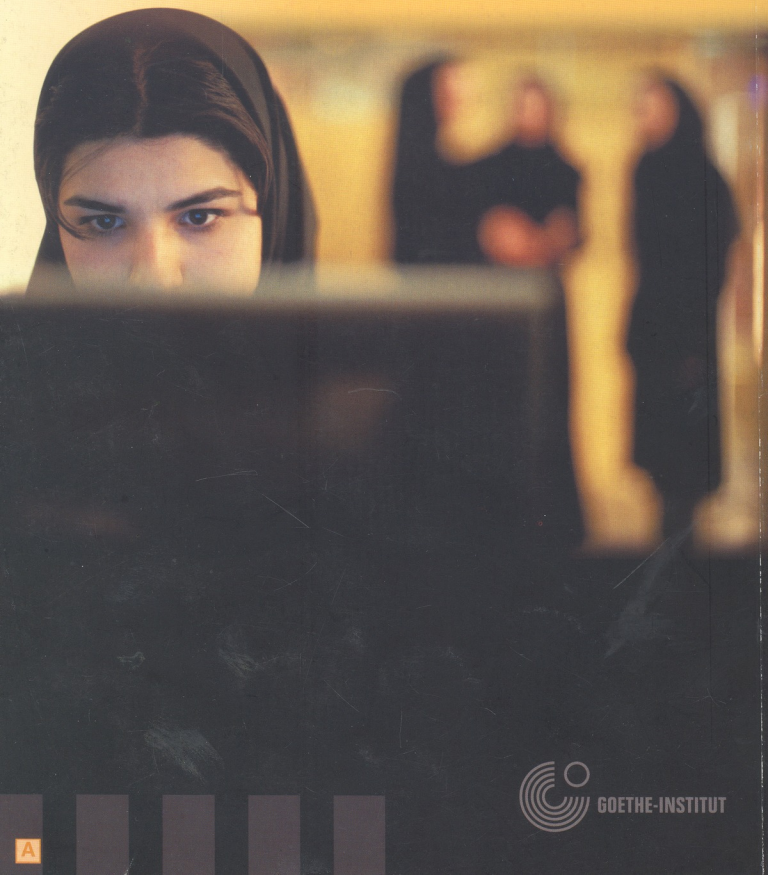
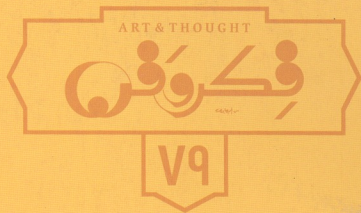




GOETHE-INSTITUT



«بسم الله الرحمن الرحيم»، لوحة من القرن التاسع عشر لفنان صيني غير معروف

هل أنت من مستخدمي الإنترنت؟ ماذا تفعل هناك؟ هل تتواصل مع الناس من خلال الشبكة أم تستخدمها للقراءة والبحث عن المعلومات؟ شبكة

الإنترنت تؤمن الاتصال من أي مكان في العالم إلى أي مكان آخر شرط أن تكون هذه المناطق متصلة شبكياً. في الحقيقة ليست شبكة الإنترنت منتشرة في العالم بالصورة التي يتخيلها البعض في الغرب الذي يحظى بشبكة اتصال كاملة، إذ لا يجد المرء، خارج العواصم والمدن الجامعية، في معظم الدول الإفريقية والآسيوية النائية مقاهٍ للإنترنت. تتجلى ديمقراطية الإنترنت للهواة الأولى في أنه لا يفرق بين مستخدميه، لكنه في الوقت نفسه غير ديمقراطي. فإذا سألنا أنفسنا من يستخدم الإنترنت حقاً، نجد أن الشروط الأساسية التي تلعب دوراً كبيراً في انتشاره تتجلى في الوضع المالي والثقافي والاعتدال على استعمال الحاسوب الذي لا يتوفر لدى الكثير من الناس. لكن في النهاية علينا أن لا نفقد الأمل في أن الإنترنت سيجد طريقه، على المدى البعيد إلى معظم البشر. قد يطول هذا الأمر خمسين أو مئة سنة أخرى.

وإذا كنت عزيزي القارئ من مستخدمي الإنترنت فستجد إمكانيات هائلة لقراءة الصحف في الشبكة. إذ بإمكانك، مثلاً، أن أقرأ في مكتب "فكر وفن" في كولونيا صحيفة الأهرام المصرية وصحيفة "كومباس" الإندونيسية. ينطبق الأمر نفسه على صحيفة "النيويورك تايمز" وصحف ومجلات إيرانية كثيرة، عطفاً على "المصحف" الموجودة على شبكة الإنترنت أصلاً أو ما بات يعرف بالمصحف الإلكتروني.

بالطبع لا يمكن المقارنة بين القراءة على شاشة الحاسوب وقراءة صحيفة حقيقية أو مجلة أو كتاب. فالقراءة في الإنترنت مفهوم مثير للجدل. قد لا يعتمد مستخدم الإنترنت أكثر من خمس دقائق لقراءة مقال على الشاشة، ومن يريد أن يقرأ أكثر سيلجأ إلى طباعة ما يريد قراءته، هذا إذا كانت لديه الإمكانيات، وهم الأقلية. يدرك هذه الحقيقة كل معدي برامج الإنترنت الذين يصرون على أن لا تتجاوز أطول مقالة على الشبكة ثلاثة آلاف حرف. من هنا نجد أن إمكانيات الإنترنت محدودة في الواقع، على عكس ما يتصورها المرء نظرياً.

يمكن طرح الأفكار الكبرى والأحداث الهامة على شبكة الإنترنت، لكن المشكلة تظهر في التلقي المناسب لهذه القضايا. فالتبادل الثقافي، الذي يتجاوز نقل الخبر، مازال يعتمد على الإعلام التقليدي، لأنه يمكن معالجته هناك بطريقة أفضل. ربما يكون الإنترنت منافساً للمصحف، لكن الأمر يختلف مع الكتب والمجلات الرصينة. لا أحد سيقراً مقالة تفيد كرماني حول صعوبات ترجمة القرآن، وبعض المقالات الأخرى المنشورة في هذا العدد، على شبكة الإنترنت. فمن يجلس في مقهى من مقاهي الإنترنت، كما هو الحال في معظم مناطق العالم، لن يقرأ مثل هذه المقالات حتى لأسباب مالية. وبدون هذه المقالات العميقة لن يكون هناك تبادل ثقافي حقيقي. إذ ليس من الممكن أن تناقش الفروق الثقافية من خلال المقالات القصيرة التي لا تتجاوز ثلاثة آلاف حرف. هذا بغض النظر عن الإمكانيات النادرة الأخرى التي تقدمها المجلات، كالصور مثلاً. فمن يتصفح أي عدد من "فكر وفن"، سواء الأعداد الجديدة أو القديمة، سيكتشف أنه لا يمكن لأي موقع إنترنت أن يحافظ على الإخراج الأنيق للصور كما تفعل في المجلة. علاوة على ذلك فإن المقالات لا تبقى لفترة طويلة على شبكة الإنترنت، إذ تختفي خلال أشهر أو في أحسن الأحوال يتغير عنوان الصفحة. "فكر وفن" تطمح إلى أن توفر لقارئها الإمكانيات في العودة إلى المقالات المنشورة قبل سنتين أو خمس سنوات بل حتى قبل عشر سنوات.

والآن وبعد كل ما قلناه عن الإنترنت، ألا يمكن مجلة رصينة كـ"فكر وفن" أن تستفيد من الإنترنت؟ الجواب: بلى. فشبكة الإنترنت توفر للقاء فرصة للحصول على الأعداد التي نفدت على نظام الـ PDF، ومن يدفعه فضوله إلى قراءة العدد الجديد من "فكر وفن" فيمقدوره القيام بذلك عن طريق الإنترنت. ومن لا يحصل على المجلة عبر البريد أو من لم يكن قد سمع بها بعد يستطيع أيضاً من خلال الإنترنت الاشتراك فيها. (للتذكير الاشتراك مجاني).

لكل هذه الأسباب قررنا أن نفتح موقعاً خاصاً بنا على الشبكة العالمية. وبهذه المناسبة ندعوكم لزيارة موقعنا، بدءاً من شهر أيلول/سبتمبر المقبل، الذي سيكون بآربع لغات هي: العربية، الفارسية، الإنكليزية والألمانية وذلك على العنوان التالي: www.goethe/fikrun.de



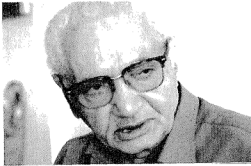
Stefan Weidner شتيفان فايدنر
الرقص على الحبل الغربي - الشرق ٢٦

H. Fähndrich هارتموت فندريش
عبور النص إلى الضفة الأخرى ٢٩

Doris Kilias دوريس كيلياس
رحلة مترجمة في أدب غيب محفوظ ٣١

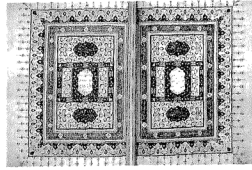
Laila Charmaa ليلي شماع
تجربة وكالة «الف» للترجمة ٣٤

Khalid Al-Maaly خالد المعالي
الجمل الطائر ٣٦



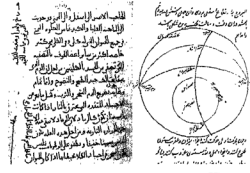
A. Mikkawi عبد الغفار مكاوي
الترجمة فعل صوفي ٣٩

Nagi Naguib ناجي نجيب
من الاقتباس إلى الالتزام ٤٣



Navid Kermani نفيد كرماني
حول إمكانية ترجمة القرآن ٤

Dag Hasse داغ هاسه
نقل الثقافة في العصر الوسيط ١٠



Gerhard Endress غيرهارد إندرس
الكندي وتعريب اللغة الفلسفية ١٤

Walter Benjamin فالتر بنيامين
المترجم ومهمته ٢٠



FIKRUN WA FANN, Nr. 79, 43. Jahrgang, 2004

فكر وفن، عدد ٧٩، السنة الثالثة والأربعون ٢٠٠٤

Herausgeber: الناشر:
Goethe-Institut e.V. معهد غوته

Redaktionsleitung: إدارة التحرير:
Stefan Weidner شتيان فايدنر

Redaktion: التحرير:
Ahmad Hissou أحمد حسو
Stefan Weidner شتيان فايدنر

Korrektur: المراجعة اللغوية:
Ahmed Farouk أحمد فاروق
Ahmad Hissou أحمد حسو

Layout: الإخراج الفني:
Graphicteam Köln - Bonn ميشائيل كروب
Michael Krupp بون

Satz und Gestaltung: الصف والإخراج:
M. Amin Mohtadi م. أمين المهدي
Mohtadi Verlag, Köln المهدي للنشر، كولونيا

Bildassistent: خدمة الصور:
Hella Roth هيللا روث

Druck: الطباعة:
Köllen Druck + Verlag, كولن للطباعة والنشر
Bonn بون

Kasparstr. 41 عنوان هيئة التحرير:
D-50670 Köln

E-Mail: البريد الإلكتروني:
Fikrwafann@aol.com

© 2004 Goethe-Institut e. V.
ISSN 0015-0932

Internet: إنترنت:

www.goethe/fikrun.de
www.qantara.de/ar

«فكر وفن» مجلة ثقافية تصدر مرتين في السنة وتوزع مجاناً. يحق لأصحاب المكتبات أن يبيعوا لاتنتجاوز قيمته ٢,٥ يورو/دولار



Werner Bloch فرنر بلوخ
مفاتيح الجنة ٦٠

Mark Simons مارك سيمونس
أهذا هو الاندماج المطلوب؟ ٦٤



Hussain Al-Mozany حسين الموزاني
يوميات بغدادية ٦٧

ابواب ثابتة

Claudia Ott كلاوديا أوت
حول ترجمة «ألف ليلة وليلة» ٧٨

Ahmad Hissou أحمد حسو
صدام بالألمانية ٨٠

تصميم الغلاف الأممي: Michael Krupp

تصوير: Markus Kirchgessner

صورة الغلاف الخلفي: Farshondeh Sharoudi: Garden in the Garden, From

the exhibition: Far Near Distance. Contemporary position of Iranian Artist, Haus

der Kulturen der Welt, Berlin 20.3.2004 – 04.5.2004

المقالات المنشورة في العدد لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة التحرير ومعهد غوته.



GOETHE-INSTITUT

حول إمكانية ترجمة القرآن

إشكالية اللغة المقدسة

الترجمة بين الماضي والحاضر

منذ أن بلغ النبي محمد القرآن، وعبر تاريخ التأثر به، تمسك بعض المسلمين بزعمهم أن القرآن لا يمكن ترجمته، ولا التعبير عنه بأسلوب نشري. ويقول العالم الإيراني، محمد تقي شريعتي، بأن هذا الرأي ساد بين العلماء المسلمين المتخصصين في علوم القرآن في كل وقت وفي كل مكان وأن السبب في ذلك هو انتقاء الألفاظ الجميلة، وعدم إمكانية تبديل أي لفظ بمرادفه في المعنى أو بما يناسبه، دون الإضرار بجمال التعبير أو بخصوصية معناه. كما يشير شريعتي إلى توافق الألفاظ، وتكوين الجمل، والتعبيرات الخاصة بالقرآن، والأسلوب، والتشكيل اللغوي، التي يستحيل تبديلها، والتي تبرهن على أن القرآن كلام الله. وإذا اعتُبر جانب استخدام أسلوب الدفاع في هذه المقولة كبيراً، فلها سببها بالفعل في خصوصية الخطاب القرآني، وناتجة من فهم عميق للغة الشعر. وفي ذلك قال البلاغي الروسي يوري م. لوتمان: "تتحقق فكرة الكاتب في تركيبة ذنية خاصة. إن ملاحظة الأسلوب المتلزم في تطبيق المذهب، وكذلك محسوسى الفكرة، والخصائص الفنية، كل على حدة، تنطلق من تصور خاطئ للأدب، وكأنه نوع من الإطالة والتنميق في عرض نفس الأفكار، التي يمكن التعبير عنها ببساطة وإيجاز". بكلمات لوتمان هذه نود أن نواجه بعض المتخصصين، الذين يستخرجون من القرآن ما يناسبهم فقط. "إن الفكرة لا توجد في اقتباس ما، حتى وإن أصابوا في اختياره، ولكن التعبير عنها يوجد في سائر التركيبة الفنية". بالمقارنة بين ترجمتين لإحدى السور تتضح صحة نظرية لوتمان. ففي سورة الإخلاص، وهي السورة رقم ١١٢ في القرآن، صيغ الإقرار بوحدانية الله بعبارة ذات جمال لغوي عظيم: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد". وفي القرن التاسع عشر ترجم الشاعر الألماني فريدريش روكرت Friedrich Rückert هذه السورة كالتالي: „Sprich: Gott ist einer / Ein ewig reiner / hat nicht gezeugt / und ihn gezeugt hat keiner". وفي ترجمة لفظ «الصمد» (الذي يصعب تحديد معناه)، بين روكرت أنه بعد في تردد عن معنى الكلمة، لئلا يخرج عن الخاصية الأدبية للفظ الأصلي. قد يكون ذلك مرفوضاً من الناحية العلمية أو اللاهوتية، إلا أنه لا يمكن تجاهل أنه، هو وحده من بين المترجمين الألمان، حالفه التوفيق في الحفاظ على النمط الشعري في القرآن.

وماذا يحدث لو قصرنا السورة على بلاغها السياقي؟ إنها في المقابل تبدو في ترجمة رودى باريت Rudi Paret، التي تُعتبر اليوم على كل حال الترجمة النموذجية، كالتالي: („Sag: Er ist Gott, ein Einziger, (Gott durch und durch er selbst?) (w. der kompakte) (oder: der Nothelfer?) (w. der, an den man sich (mit seinem Nöten und Sorgen) wendet, genauer: den man angeht). Er hat weder gezeugt, noch ist er gezeugt worden. Und keiner ist ihm ebenbürtig." أي: قل هو الله، الواحد، الله ذاتي الألوهية (أو النصير في الشدائد، الذي يتجه

ألا وهو أن وعد الله سيتحقق. إن التبليغ حدث من خلال ألفاظ مختارة بدقة، ومرتبطة ومتناسقة بطريقة غير متوقعة، وغير عادية. وما نتج عن ذلك من امتزاج المضمون الدلالي مع ما للجملة من مادة للصوت، والإيقاع، وموسيقى اللغة، يجعلها جديدة ومقنعة ومؤثرة بشكل خاص. إن محتوى المعلومات المُبلَّغ عنها أكبر مما في حالة التعبير عنها بصيغ لها نفس المضمون، ولكن قوة تعبيرها قليلة؛ فبالتطبع لا تعتمد زيادة المعنى على العلم الدلالي بالمدلول الخارجي (وعد الله)، وإنما هي مزيد من الإخبار الجمالي. إنها تُمكن السامع من المعاشية الحسية والوجدانية للرسالة المبلغة، وتوسع من مستويات الاتصال، وبالتالي من الرسالة نفسها، في حين أن الاتصال في الجملة، التي هي لمجرد التبليغ، يقتصر أساساً على المستوى الاستدلالي العملي. ويسير لومان عن ذلك بقوله: "في الآيات يمكن التعبير عما لا يمكن التعبير عنه في غيرها؛ فمجرد تكرار كلمة ما يجعل الكلمة نفسها متبينة"، وبينما يمكن ترجمة الفكرة المجردة لمقال ما في أية مجلة علمية متخصصة أي نقل المعلومة من حامل طبيعي إلى آخر، دون أن يتغير مضمون المعلومات، فإن النص الشعري مرتبط بالمدلولات المكونة له، ويعتمد على اختواء تركيبته للمعنى.

إن صعوبات ترجمة النص الشعري إلى لغة أخرى لا توجد في المستوى المفرداتي أو النحوي أو بصفة عامة في المستوى الدلالي فقط؛ ففي كثير من الأحوال يكون لمسألة الرنين وزن أكبر. إذ كلما وادت حيوية النص من خلال الانطباع العام لرنين حروفه، وإيقاعه، وموسيقى لغته، واقتراه من كونه نصاً موسيقياً، كلما بدت محاولة ترجمته أكثر استحالة. وبالنسبة للقرآن الكريم، الذي لا تبرز خصوصية ترتيبه من النص ذاته فحسب، وإنما تكون جليلة اعتباراً من أول آية، والذي لا يعتبر في الحقيقة مجرد نص يُقرأ، ينطبق ذلك بدرجة يندر وجودها في شعر لغات الغرب، مثلاً في قصيدة غوته "Über allen Gipfeln ist Ruh"، التي يكون تبليغ الرسالة الفنية فيها عبر موسيقى الآيات، وعبر التكرار الثلاثي للانتقال من الصوت العالي إلى الصوت الخفيض، أكثر بكثير من تبليغها من خلال المعنى الدلالي للآيات. إن مدى ما يثيره القرآن من معانٍ ووجدانات من خلال المادة السمعية والسياقات الإيقاعية، وعبر التجانس الصوتي، والسجع الصامت، وانسياب الكلام، والجناس، والمجانسة الاستهلاكية، والتوازن الصوتي لبناء النغمة، يمكن معاشيته في ترتيب أحد قراء القرآن في القاهرة أو دمشق، الذين يسمعونهم كثيرون من المسيحيين العرب أيضاً.

في محاولة بارتيت الممتلئة في العبدول عن الصيغة، لإبراز ما يبدو أنه المقصود، يتضح سوء فهم أساسي لتخصصه؛ للدراسات القرآنية بطريقة فيلولوجية مجردة أي وجود نص

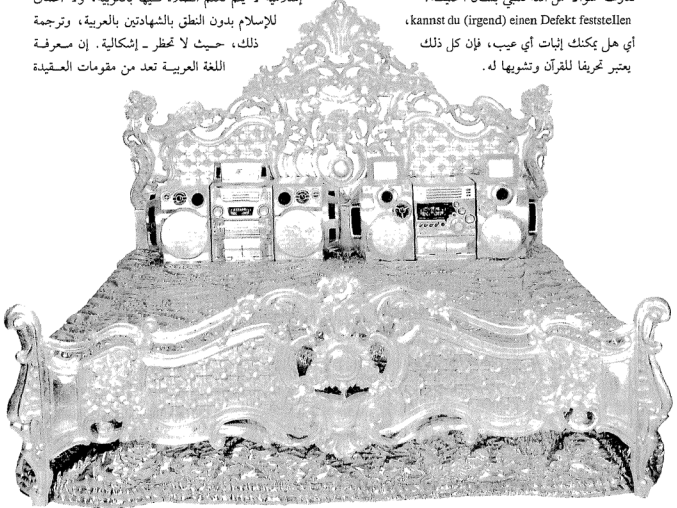
إليه المرء في شدائده وهمومه، وبمعنى أدق الذي يقصده الخلق). ليس له ولد، ولم يولد، وليس كمنه شيء. إن ما قرره جاكوبسون بالنسبة للشعر ينطبق على القرآن أيضاً. "لا يمكن ترجمته". ولكن من الممكن "القيام بنقل خلاق للمعاني"، على كل حال. إن سورة مثل سورة الإخلاص لا يمكن التعبير عنها باللغة العادية، دون الإضرار ببنيتها، إذ لا يزول جمال الآيات، وجاذبيتها الجمالية فحسب (وهذا ما نقر به بسهولة)، وإنما أيضاً رسالة السورة ذاتها، أي «الفكرة» كما يطلق عليها لومان.

من الخطأ الاعتقاد، مع بارتيت في أن المترجم يمكنه إغفال الصيغة عن قصد، حتى يؤدي المعنى بأمانة. إن ترجمة بارتيت، وبالدات في دقتها المثيرة للقلق، ليست سيئة فحسب، وإنما خاطئة، إذ إنها تعطي فكرة خاطئة عن القرآن، إنها لا تقدم لقارئها بأي حال نفس المضمون الإنبائي، الذي يحتوي عليه الآيات في نصها الأصلي. إن القول بأنه من الممكن نقل المعلومات عبر مضمون الرسالة فقط، وما الصيغة الشعرية إلا حلية خارجية، هو رأي يعتمد على قصور في فهم كنه اللغة الشعرية. إذ لو كان الأمر كذلك لفقدت اللغة الشعرية شرعية وجودها. ويقول لومان: "ولكن الشأن غير ذلك، فالبنية الفنية المعقدة المكتسبة من مادة اللغة (الطبيعية)، تسمح بتبليغ حجم المعلومات، الذي لا يمكن أبداً تبليغه بواسطة البنية اللغوية الأولية العادية". في القرن الثاني عشر الميلادي أكد المفسر والمتكلم فخر الدين الرازي أن مضمون المعلومات الذي يحتويه رسالة مصوغة بلغة شعرية، كما في القرآن، لا يمكن أبداً تبليغها بلغة عادية، وأن المعلومات مكتشفة فيها بطريقة ما، وأي ترجمة لها تبدو، على الأقل للوهلة الأولى، مستبعدة. وفي آرائه الموسعة إزاء إمكانية ترجمة القرآن، كتب الرازي: صحيح أن التوراة والإنجيل يتفقان مع القرآن في كثير مما يحتويه، مثلاً في تمجيد الله والإخبار عن الدار الآخرة، ولكن رغم ذلك لا يجوز في الصلاة التعبد بتلاوة نفس المواضع المشابهة في المضمون في الكتب المقدسة الأخرى. أي أن الرازي لا يرى ما يلاحظه من زيادة في المعنى - حسب ترجمة أقواله اليوم - في زيادة المعلومات الجمالية - بمعنى أنها لا يمكن إدراكها استدالياً. وفي ضوء ذلك يرفض الرازي حجة من يجيزون لغير العرب تلاوة القرآن في الصلاة بالفارسية لفهم معانيه، ويرى أنه لا مجال للمساواة بين من يدرك القرآن حسب المعاني فقط ويتلوها في الصلاة، وبين من يتلو تلك التعبيرات القرآنية.

إن الرازي مُحقٌّ في ذلك؛ فعندما يحكي القرآن في سورة الأعراف الآية ٤٤ قول أهل الجنة "قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً"، فإنه بذلك يبلغ بطريقة صحيحة تحوي وإعراباً عن أمر ما، وعاء سامعوه قبل ذلك، وقبل المؤمنين صحته،

إن الاعتقاد في عدم إمكانية ترجمة القرآن الكريم ليس مجرد عقيدة وضعت تعسفياً فحسب، وإنما هو تعبير عن خبرات الاستقبال، مشابه لما يعبر عنه - في الأدب الغربي منذ Diderot على الأكثر - بالشعور بعد قراءة إحدى القصائد الشعرية، التي تعلن أنها صيغت بطريقة لا يمكن تقليدها ولا ترجمتها. إن القرآن الكريم نفسه يشير إلى الأهمية الجوهرية للصيغة اللغوية في تبليغ الرسالة الإلهية فيقول: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليسين لهم" (سورة إبراهيم الآية ٤). إن تصور وحي، يكون طبقاً لمضمونه موحداً في جوهره، ويوحى إلى كل أمة بلغتها الخاصة، وفي صيغة متوافقة مع متطلباتها الخاصة، هو وحي خاص بدرجة لا يتعارض فيها مع الوضع التاريخي وقت إichاته. إن المسيحية على الأقل كانت وحدة دينية، لا لغوية قومية. ومن المرجح أن النبي كان يعرف أن البيزنطيين يتكلمون لغة غير التي يتكلم بها مسيحيو الحبشة. من المرجح أنه يندر وجود نص في تاريخ الأديان حرص على الإشارة إلى بديهيته أنه صيغ بلغة معينة. بيد أن ارتباط القرآن باللغة العربية منصوص عليه في القرآن نفسه، ويؤكد التاريخ الإسلامي إلى اليوم: فليست هناك تربة إسلامية لا يتم تعلم الصلاة فيها بالعربية، ولا اعتناق للإسلام بدون النطق بالشهادتين بالعربية، وترجمة ذلك، حيث لا تحظر - إشكالية. إن معرفة اللغة العربية تعد من مقومات العقيدة

مصاغ شعرباً، خارج صيغته المميزة. صحيح أنه لا يمكن لكل مترجم أن يحقق ما طلبه غوته في "Abhandlungen"، وبنيامين في مقالته: «المترجم ومهمته». (انظر إلى المقالة في مكان آخر من هذا العدد) وهو الإقدام على العمل المترجم لغويًا والانفتاح تجاهه، وإدراك الذات فيه، كما يقول غوته. وكذلك «بحب وجعل طريقة تعبيره عن المعاني بكل تفاصيلها ملموساً في لغة المترجم» كما يشرح بنيامين مقولة غوته هذه، ولكن إذا كانت ترجمة "يوم يكشف عن ساق" (سورة القلم، آية ٤٢) تعني عند باريت: Am Tag, an dem die Sache brenzlich wird، أي يوم يكون الموقف حرجاً، وترجمة إحدى معجزات الخلق في الآية ٦٦ من سورة النحل "من بين فرت ودم لبنا خالصاً سائفاً للشاربين"، تعني عنده: reine Milch, ein Süffiges getrunken، أي لبنا خالصاً، وشراباً مستساغاً. وترجمة "ولم يتخذ ولداً" في الآية الثانية من سورة الفرقان "الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً" .. تعني عنده: kein Kind zugelegt hat، أي لم يكتسب ولداً، واعتباره قول الله تعالى في الآية الثالثة من سورة الملك "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" سؤالاً من الله للنبي بشأن الخليفة: kannst du (irgend) einen Defekt feststellen، أي هل يمكنك إثبات أي عيب، فإن كل ذلك يعتبر تحريفاً للقرآن وتشويهاً له.



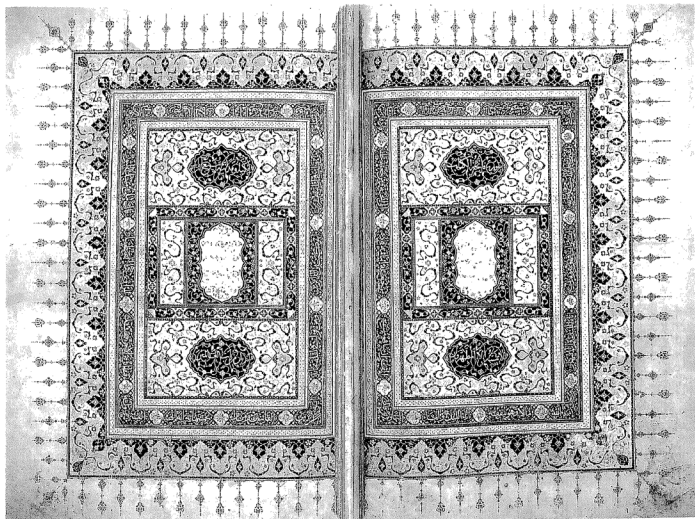
فرهاد موشيري، "سيريز ملكي"

Aus der Ausstellung: "Fütternde Nähe: Neue Positionen bauscheit Künstler: Haus der Kulturen der Welt, Berlin 20 03 04 - (19.05.2014)

Koine اليونانية، التي لم تكن اللغة الأم لواضعيها، كما أن النص العبري للعهد القديم لم تستخدمه دوائر لاهوتية واسعة إلا اعتباراً من عصر النهضة. ومن معجزة الإشراف، وشروع الحوارين بالوعظ بلغات أخرى، وعبر الأدب المسيحي القديم والقديس هيرونيموس Hieronymus و لوثر Luther إلى جماعات التبشير في القرن التاسع عشر، التي كانت قد حددت هدفها في ترجمة الكتاب المقدس إلى كل لغة حية، كانت ترجمة/نقل بشارة المسيح والحواريين إلى لغات الشعوب هدفاً أساسياً وثابتاً للمتبشرين والعلماء، أدى إلى طبعات للكتاب المقدس بلغات ولهجات تربو في الأثناء على ألفي لغة ولهجة مختلفة. إن نظرية وتطبيق الترجمة الغريبة تطور أساساً من ضرورة توجيه الشعوب الأجنبية إلى الإنجيل، كما أن كل محاولة للإصلاح داخل الكنيسة كانت تجلب معها المطالبة بصيغة مفهومة لكلمات الله. إن الضرورة الملحة في تبليغ الإنجيل كانت تظهر أحياناً حتى باللغة الفصحى، التي كانت غير موجودة، قبل ذلك، وبحروف هجاء مبتكرة لهذا الغرض. وفي العصر الحديث يظهر ذلك، حيث تقوم مطالب المتعنين الأدبية بأنها قليلة

الإسلامية. وعالم النحو، ابن الفراء (المتوفى عام ٨٢٢) كان يعتبر الاشتغال بقواعد اللغة العربية أرفع قيمة دينياً من دراسة الفقه الإسلامي.

صحيح أنه كانت هناك في الماضي آراء تجعل وجوب دراسة اللغة العربية أمراً نسبياً، إلا أنه لم تتحقق السيادة مثل هذا الحل الوجيه، والوارد في حديث للنبي، يعني "لغير العرب من أمي أن يقرأوا القرآن بغير العربية، فالملائكة ترفعه إلى الله بالعربية"، وحيث كان المسلمون يذهبون، كانوا يحملون معهم لغة القرآن، وإلى اليوم يندر أن يتطرق الشك جدياً في كون اللغة العربية، ولغة الإسلام في العبادة، لغة مقدسة، مشابهة في ذلك للعبرية في اليهودية المعاصرة، وللسنسكريتية لدى الهندوس، ومغايرة تماماً للغة يسوع المسيح في المسيحية، والتي لا يُعرف عنها إلا القليل، والتي تكاد لا تحظى إلى العصر الحديث باهتمام المفسرين (الأمر الذي لا يمنع من وجود لغات كنسية أخرى - كالسلافية القديمة في الطقوس الدينية الروسية، أو اللاتينية في القداس الكاثوليكي، أو الألمانية اللوترية في القداس البروتستانتي - تحفظ بوصفها لغة عبادة). إن العهد الجديد كتب بلغة



قرآن، من القرن السادس عشر الميلادي، إيران.

من كتاب: Hunt for Paradise: Court Arts of Iran, 1501-1576. Moqata Pich Perzoh and Palazzo Reale, Milan, 23. Feb-28. Jun. 2004

في العقود الأخيرة ازداد عدد ترجمات القرآن إلى لغات البلاد الإسلامية بسرعة، كما تكثر في الأثناء طبعات القرآن في ترجمات للمسلمين باللغات الأوروبية. ومن المحتمل الترحيب بذلك أو النظر إليه، باعتباره مهمة لخصائص الإيمان بالإسلام، على أنه أمر مؤسف.

على كل حال فإنه من العمى تجاهل أن مشروع كتابة بروتستانتية حديث قد انتشر في بلاد المسلمين أيضا. ورغم ذلك لم تحدث مطامح المسلمين في الترجمة أي تغيير في أن دور القرآن لا يزال دائما في البلاد العربية مختلفا عن دوره في بقية بلاد العالم الإسلامي، إذ بينما تتجاوز أهميته في الثقافة العربية نطاق الدين بكثير، لا يمكن القول بذلك بهذا الإطلاق بالنسبة إلى إيران على الأقل، رغم الترجمات المتوفرة الكثيرة. بالطبع يرثل القرآن في إيران، وبالطبع لا يتارع أي مسلم إيراني متدين أن للغة القرآن جمالا إلهيا، ولكن كنص يُتْلَق ترتيله يكاد يكون دور القرآن في المجتمع الإيراني، مقارنة به في البلاد العربية، دورا متواضعا، إذ يُسَبَّح في القرآن عن المواساة، والهداية، والإرشاد. ويتلى للتقرب من الله، ويتعبد به في الصلاة. ولكن إذا ما أريد إنشاد نص شعري جميل، والتلذذ بحدوثة اللغة، والاستغراق في المشاعر الدينية الصوفية، فيكون في الإقبال على أعمال الشعراء الفرس أمثال حافظ وجلال الدين الرومي. وربما لا يكون من قبيل الصدفة أن أحد مؤسسي المذاهب الفقهية الأربعة، الذي أجاز مبدئيا أداء الصلاة بلغة غير اللغة العربية، كان من أصل فارسي: إنه أبو حنيفة (المتوفى ٧٥٧)، وليس صدفة أيضا أنه كان هناك خواجه إيرانيون، كانوا لا يعتبرون من الضروري نطق الشهادتين بالعربية. وفي العصر الحديث يأتي مفكر غير عربي، هو المفكر الإصلاحية الإيراني عبد الكريم سوروش، الذي يعتقد نظرية أن اللغة العربية عرض من أعراض القرآن وليست من جوهره. وعندما تحدث عن هذه الفكرة في خريف عام ١٩٩٥ في ندوة "بيت ثقافات العالم Haus der Kulturen der Welt" في برلين، أثار الاستنكار والهتكم لدى العرب المشاركين في الندوة، ومن بينهم مفكرون مختلفون أمثال محمد أركون، نصر حامد أبو زيد، وعبد الوهاب المسيري، مع أن أول اثنين منهم على الأقل لا يُشَكَّ في أنهما ليسا من أتباع الاعتقاد الأعمى.

وبالمناسبة فقد جرت بالفعل مناقشات مشابهة في صدر الإسلام، وبينما كان العرب يتمسكون بعروية الإسلام، ومن خلال ذلك باستمرار تفوق اللغة العربية على كل اللغات الأخرى (وأيضا تفوق العرب على كل الشعوب الأخرى)، بحث المسلمون الفرس وخاصة عن البرهنة على أن الله لم يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات

بوجه خاص، فيما يسمى بالكتب المقدسة للشبيبة، وصيغ للكتاب المقدس خالية من الجماليات والصعوبات في صيغة لوثر.

ولكن الصورة في الإسلام مغايرة تماما: فترجمة القرآن إلى العربية الحديثة أو إلى إحدى لهجاتها العامية يعتبر نوعا من تدنيس الحرمات، وفكرة ترجمة القرآن لأغراض الدعوة في البلاد غير العربية خطرت لبعض المسلمين اعتبارا منذ عقود فقط. وكثر الميل إلى تعليم اللغة العربية لمن يدعون إلى الإسلام. وكانت ترجمات المسلمين للقرآن نادرة أصلا حتى القرن العشرين، وما كان يوجد منها كان ينذر تداوله، وكان ينشر غالبا في أوروبا. وكانت هذه الترجمات متوفرة فقط في صيغة ترجمة معاني الألفاظ بين سطور النص الأصلي، وفوق ذلك كان يشور الخلاف في كل وقت حول شرعيتها. ورغم أنه ساد في الماضي فعلا الرأي بعدم رفض ترجمة القرآن مبدئيا، إلا أنه على العكس من موقف أحبار اليهود، الذين أقروا ترجمة التوراة من العبرية إلى الآرامية، اعتبرت الترجمة عموما كمساعدة ضرورية ومؤقتة على كل حال، وللاستخدام المنزلي، ولأغراض التسمية أو للتفسير أو كاتقياسات مفرقة بما يوازيها من النص العربي، ولم تكن أبدا للطبقة الدينية أو للحفظ، بل ولا لنشر الإسلام. إن أول ترجمة فارسية كاملة للقرآن تنتمي - حسب علمنا - إلى القرن الثامن عشر، وأجزها في نيودلهي، بعيدا عن مراكز السلفية العربية، شاء ولي الله. وفي القاهرة أعرب العلماء في القرن العشرين عن اعتراضهم على ترجمات تركية وإنجليزية للقرآن. ومن بينهم المصلح محمد عبده (المتوفى ١٩٠٥)، الذي كان يخشى أن لا يستفيد من هذه الترجمات إلا المبشرون المسيحيون، كما يقول: "تعلم العربية من الواجبات في الدين الإسلامي، ودعوتنا إلى القرآن دعوة إلى اللغة العربية". وفي تركيا واجه مصطفى كمال أتاتورك بمشروعه في ممارسة الإسلام بالتركية، معارضة كبيرة، وعندما طلب من الشاعر الكبير محمد عاكف ترجمة تركية رسمية، يقال إن هذا فضل الحياة في المنفى في مصر على القيام بذلك. وكذلك كان كثيرون من البشريين المسيحيين يعتبرون عدم إمكانية ترجمة القرآن العنصرية الكبيرة للإسلام، بل وكتب روكرت يقول: "تختص كتب المسيحيين بميزة كبيرة، تقف أمامها كتب الإسلام صامتا في خجل، ميزة قراءتها بكل لغات الشعوب بسهولة، وترجمتها في كل أنحاء العالم. إن جمال كلام القرآن يضيح دون إنقاذ، وأما الكتاب المقدس فتولد أصالته من جديد. ولهذا فإنه يميل أكثر من ذلك إلى نشر البركة، كالسيرة التي تثبت نباتا حسنا في كل مرعى".

الإعجاز أي صفة الإعجاز اللغوي للقرآن، التي تُعد الدليل الوحيد لإعجاز الإسلام، قد قدمت مساهمة خاصة تماما في هذا الموضوع الاساسي في الأبحاث البشرية. إن البرهنة اللاهوتية لا تُعد بالنسبة لأي مسيحي كثيرة الغرابة: أومن بالقرآن، لأن لغته كاملة تماما، لدرجة أنها لا يمكن أن تكون من نظم أي إنسان. لا شك في إمكان تسمية هذا البرهان نوعا من الدليل الجمالي على وجود الله. وما يطابق ذلك في دائرة الثقافة الغربية يتندر وجوده في مجال الدين، والأولى وجوب التفكير في الانطباع الذاتي الذي تخلّفه بعض المؤلفات الموسيقية لباخ أو موزارت. وليس صدفة أن يجتج بعض السامعين إلى أن يصفها بأنها "إلهية".

إن الدليل الجمالي على حقيقة الدين، وادعاء أي جماعة أنها تسمع كلام الله، وعلى الأخص في لغة إنسانية رائعة هو نوع من التشويق، رغم الاعتراضات المحتملة، والنسبية، والشروح السيكولوجية الدينية، التي يمكن أن تخطر ببال الطرف المحايد. إذ منذ أقدم انهيار لبابل، تُعمل البشرية الفكر فيما ضاع، وتحلم باستعادة لغتها الواحدة الكاملة. وفي نطاق الشفافة اليهودية - المسيحية سيطر البحث عنها على الأذهان في كل الأزمنة بعد ميلاد المسيح، وترسب ذلك في نظريات لا تُعد، وروى، وفلسفات لغوية، ومشروعات عملية، أمثال هذا الحلم وُجدت في جميع الحضارات تقريبا، ولكن العرب، والمسلمون منهم، لم يشتركوا في البحث. إذ إن إمكانيات البحث عن اللغة الكاملة، واحتمال ابتكار مثل هذه اللغة لم يُسل في أي وقت في تاريخ الفكر الإسلامي العربي على ما يبدو موضوعا لأبحاث علمية، أو أبحاث تتعلّق بفلسفة اللغة، أو لأبحاث سيميائية. توقف العرب عن أن يحلموا، فلقد وجدوا هذه اللغة. في القرآن الكريم، كما كان معظمهم، ولا يزالون، يعتقدون، تحقّق حلم البشرية في اللغة الكاملة، إنها، بالنسبة لهم، لغة السماء نزلت إلى الأرض.

ترجمة: محمد الحشاش

نفيد كرماني: باحث في الدراسات الإسلامية، كتب أطروحة الدكتوراة عن «جماليات القرآن». يعمل حاليا ككاتب وصحفي. نشرت هذه الدراسة بشكل مختصر في صحيفة «نوه توريشر ستايتون» السويسرية.

الأخرى، وأن غير العرب، وخاصة اليونانيين والفرس يستطيعون التقدم بلغة أكثر غنى، وشعر أكثر جمالا من العرب. هذا الجدل، الذي كثيرا ما كانت له خلفياته السياسية والاجتماعية، امتد قرونا عديدة، وخلف أثارا أدبية وفيرة. وفي ذلك استغل الجانب العربي تماما أن الله كلم البشرية بالعربية، ولم يُكر الجانب الآخر ذلك، إلا أنه رفض النتيجة التي استخلصها محبو العرب أمثال ابن فارس من ذلك: إن الله اختار اللغة العربية، لأنها أجمل وقعا وأكثر ثراء وروعة، وأنها أم جميع اللغات التي علمها الله لأدم، ولغة أهل الجنة. إنها اللغة الوحيدة التي لا قصور فيها - ويمكن بها التعبير عن كل شيء. بأكثر الطرق وضوحا وجمالا. إن الخطأ في نظرية أصل اللغة هذه، التي انتشرت بين علماء المسلمين بشكل واسع، أدى إلى أنه كان على آدم منذ أن علمه الله أن يتكلم السريانية. وبعد الطوفان أُتيح لإسماعيل وذريته التكلم بالعربية، لأن الله قبل ندم إبراهيم. ولا يستطيع إجادة العربية حقيقة إلا من كان منهم نبيا، فالإنسان العادي لا يستطيع استخدام كل دقائق التعبير والقواعد، ولا معرفة كل أسماء الأسد الخمسمائة، التي لكل منها معناه المغاير لمعاني الأخرى، ولا التفرقة بين أنواع الضراء الأربعمئة المختلفة، أو بين الالفاظ المائتين للحية، أو بين الأسماء السبعين للصحور. إن خاصية إعجاز القرآن لا تكمن حسب هذا المنطق إلا في التطبيق الكامل للغة العربية (الأمر الذي يسببه يرفض أنصار هذه النظرية وجود ألفاظ غير عربية في القرآن). وتختلف عربية القرآن عن العربية التي كان يتم التحدث بها في عهد النبي، ولهذا، وحسب ما ورد في الأثر، سأل عمر بن الخطاب، الرسول: "ما السبب في أنك أفصحنا رغم أنك لم تفادنا أبدا؟"، فأجاب: "إن لغة إسماعيل كانت قد انقرضت، ولكن الملك جبريل أعادها وعلمني إياها، وهكذا وعيشتها جيدا". في هذا التراث الفكري تُعد لغة القرآن ماثلة للغة الملائكة ولغة الجنة. وأما الكتب المقدسة الأخرى فقد تُرجم كل منها للنبي المختص من هذه اللغة العربية الأصلية - وهنا بالضبط يرى عدم كفايتها.

ومن ناحية تاريخ العقيدة، فإن نظرية أصل اللغة التي تناولناها هنا مهمة بدرجة عالية؛ فيها أجاب بعض العلماء أمثال ابن فارس، والشافعي، والسيوطي، في تضمين على السؤال المشهور عن اللغة الكاملة. وبغض النظر عن هذا النموذج المتعلق بتاريخ اللغة، والذي لا يخلو، أحيانا، من الإعجاب بالقومية (فأصحاب الافتخار بالثقافة الفارسية مثلا لم يريدوا أبدا الإقرار بأن البشر قبل بناء حصن بابل قد تكلموا العربية) وتوجيه النظر إلى الشفافة العربية الإسلامية ككل، فسنجد أن هذه مع نظرية

نقل الثقافة في العصر الوسيط الفكر اليوناني والمصالح الإسلامية والمسيحية

«Greek Thought, Arabic Culture»، للمستعرب ديميتري غوتاس Dimitri Gutas، وهو أمريكي من أصل يوناني، مثلاً واضحاً على إجادته التعامل المنهجي مع هذه الأسئلة. ويتناول الكتاب حركة ترجمة إسلامية مبكرة كانت تعد نموذجاً احتذته حركة الترجمة الأسبانية. وإذا ما قرأنا الكتاب باعتباره طرحاً منهجياً ليس فقط في مجال دراسات اللغة العربية بل وأيضاً في مجال دراسات القرون الوسطى، فسينتج ذلك لنا المجال من أن نطرح السؤال عن دوافع حركة الترجمة الأسبانية.

في الفترة من القرن الثامن إلى العاشر الميلادي تم في بغداد، تلك العاصمة التي تأسست عام ٧٦٢م في ظل الخلافة العباسية الفتية، تم نقل عدد كبير من النصوص اليونانية في مجالي العلوم والفلسفة إلى العربية. ويمكن تميز كتاب غوتاس في تعامله مع عملية النقل والترجمة والتي امتدت لقرنين بإشراف وتمويل النخبة الحاكمة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، وباعتبارها عملية مخططة ومنفذة بوعي من قبل الفاعلين في الإمبراطورية، وبوصفها حركة مرتبطة بدرجة كبيرة ببنية المجتمع البغدادي. يصف غوتاس كيفية وصول العباسيين للحكم بعد إسقاطهم للخلافة الأموية وكيفية استخدامهم للترجمات كوسيلة إيديولوجية لتبرير وتثبيت حكمهم. كانت الترجمات بمثابة سلاح ضد الخصوم سواء من العرب أو الفرس، لدى الرعية المسيحية وبين رجال الدين المسلمين. كانت دعاية العباسيين تقول بأنهم أحق وريث لكل الخلافات السابقة عليهم، ولكل العلوم الموروثة وبخاصة العلوم اليونانية.

في الوقت نفسه تمت في أوساط وطبقات مختلفة من المجتمع البغدادي حاجة ملموسة إلى العلوم اليونانية: لدى الكتبة في الإدارات ولدى التجار وكذلك بين العلماء. كان الناس على استعداد لدفع مبالغ كبيرة للحصول على كتب الفلك أو الرياضيات أو الطب. وتبعاً لذلك لم تعد الأسر الحاكمة هي الممول الوحيد للترجمات، بل قام بذلك أيضاً رجال الجيش الأغنياء والعلماء الذين يعملون لحسابهم الخاص. وتظهر حركة الترجمة على هذا النحو بوصفها عملية اجتماعية معقدة، كان لها تأثير واسع النطاق وهو أن

تعد حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في إسبانيا واحدة من الأساطير التأسيسية للثقافة الأوروبية، فلهذه الحركة مكانة سامية في تاريخ العالم القديم، بوصفها المحرك الأول للنهضة في القرن الثاني عشر، والانطلاقة الحقيقية للغرب في مجال العلوم الطبيعية والإشارة لثقافة جديدة مثقفى العصر الوسيط، وكبديلة للفترة الطويلة التي ساد فيها التصور الأرسطي عن العالم في الغرب، أو بمعنى آخر، بداية للعصر الوسيط الطويل الأمد الذي سينتهي بانتهاء المجتمع الإقطاعي الزراعي. رغم ذلك، غالباً ما يتم وصف الحدث، أي حركة الترجمة، دون توضيحه وشرحه؛ إذ كثيراً ما يأتي ذكره دون أن يتم فهم المقصود منه. نقرأ عن الدروب التي تحولت فيها المعرفة من أثينا إلى الإسكندرية ثم من بغداد إلى طليطلة ونسمع عن مترجمين كبار مثل غيرهارد فون كرىمون، لكننا لا نعرف الكثير عن أسباب ودوافع هذه الحركة. وليس هذا بالأمر المدهش، لكن ذلك النقص المعرفي هو غالباً الذي يشكل طابع ذاك الحدث الذي يعد بالنسبة لحاضرنا أسطورياً.

لم يتوصل البحث التاريخي لسرد الحادثة، إلى الدرجة التي نجعله يستطيع أن يحدد بدقة تامة مكانة وتصنيف حركة الترجمة. في العقود الأخيرة قام باحثون من الأسبان والإنكليز على وجه الخصوص، مثل فرانيسكو هيرنانديث وتشارلز برونيت بجمع معلومات جديدة عن حياة وعمل المترجمين من المصادر. ويمكننا توضيح العوائق التي تواجهها عملية البحث من خلال مثال، علينا فقط أن نفكر في عدد الأشخاص الذين كانوا يدعون «يوحنا» في مدينة قشتالة في العصور الوسطى والذين يمكن أن ننطق عليهم مواصفات المترجم يوحنا الإسباني «Johannes Hispanus»، كذلك فإن وضعية المصادر البحثية فيما يتعلق بالمجال الفكري غير ملائمة، حيث لا يوجد لسأسف سوى عدد قليل من وثائق هذه الفترة، تتناول الترجمات وتتيح إلقاء نظرة من الخارج على هذه الظاهرة.

ونظراً لهذه العوائق لا بد من التعامل مع الأسئلة المتعلقة بأسباب ودوافع حركة الترجمة بذكاء وبمدخل منهجي سليم. ويعد كتاب «الفكر اليوناني والثقافة العربية

دراسة العلوم القديمة لسعدة قرون قد أصبحت لفترة طويلة جزءاً جوهرياً ومهماً على الثقافة الفكرية الإسلامية.

كتاب «الفكر اليوناني والثقافة العربية» لا يأخذ الغرب في اعتباره، رغم ذلك يمكن قراءته باعتباره إسهاماً في مجال كتابة تاريخ العصور الوسطى في أوروبا، ليس فقط لأن العالم العربي يعد أحد المصادر الثقافية الكلاسيكية المباشرة، إلى جانب الرومان والإغريق، ولكن أيضاً نظراً للمنهج الذي يتبعه الكتاب. قد لا يتبدى الأمر كذلك للوهلة الأولى نظراً لأن غوتاس يرفض قطعياً وضع أساس نظري لتحليله لحركة الترجمة. ترك مقدمة الكتاب نظريات التراتبي الثقافي والترجمة جانباً، وفي نهاية الكتاب تظهر هذه النظريات ظهوراً سريعاً في صورة جدول اصطلاحي بشأن استخدام تعبير «الإبداع» بدلاً من «الامتلاك Appropriation»، فمن الأفضل تناول نقل العلوم اليونانية إلى الثقافة العربية باعتبارها إبداعاً من قبل النخبة السياسية في بغداد أكثر منها امتلاكاً لموروث أجنبي.

ومن الواضح أن منهج غوتاس رغم هذه الإشارة السابقة أكثر حسماً، فهو لا يتعامل مع الترجمات بوصفها نتاجاً للفصل الفكري لبعض المثقفين، ولا بوصفها جزءاً من تطور العلوم العربية، وهو لا يصف الترجمات وفقاً للطبقة الاجتماعية أو تبعاً لتاريخ المؤسسات، ولا ينحى أي منحى تحديدي. المصالح السياسية والإيديولوجية لفئات اجتماعية معينة ومسلكتها العقلاني تمثل القوى الفاعلة في تاريخ «غوتاس».

ربما يكون هذا الإسهام المصحوب بكثير من الحساسية لخصوصية الموضوع الاستشرافي قد استطاع أن يحصل نتائج أكثر بكثير من كل محاولات التفسير السابقة عليه. والأداة المنهجية التي استخدمت، دون إدعاء لأصالتها، كان من الواضح جداً أنها ملائمة للمادة البحثية. لكن هل تصلح هذه الأداة المنهجية لعملية الاتصال الثقافي العربي اللاتيني في الغرب في فترة القرون الوسطى؟

لم تجر حتى الآن أية محاولة وضع أي تحديد إيديولوجي أو اجتماعي تاريخي لحركة الترجمة في أسبانيا (مقارنة بحركة الترجمة اللاحقة في عهد فريدريك الثاني)، ولعل ذلك يرجع على الأغلب إلى أن التفسير التقليدي يتمتع بصداقة لا تبارى ويتمثل في التالي: الترجمات في طليطلة وبامبلونا وبرشلونة ومدن أسبانيا الأخرى كانت عمل أفراد، كانت إبحاراً لعدد قليل من رواد الفكر، نزحوا إلى هذا البلد ذي الحدود الإسلامية المسيحية المتاخمة، نتيجة لاضطرابهم الفكري وفضولهم العلمي، أمّلين في سد فجوة ضخمة في مرجعيات العلوم الغربية، وبخاصة في مجال العلوم الطبيعية، من خلال الأعمال العربية، ومن هؤلاء: الإنكليزيان أدلر آف باث وروبرت آف كيتون،

وهيرمان فون كاترينا من فلانسيا، والإيطاليان بلاتو دي تيفولي وغيرهارد فون كرمونا.

من المحتمل أن هذه الصورة مثالية جداً بحيث صار تأثير العوامل الفكرية المحضة فيها مألوفاً. وينطبق ذلك بخاصة على طليطلة، التي تمت فيها معظم ترجمات القرن الثاني عشر على فترات متباعدة: ترجم غيرهارد فون كرمونا وحده سبعين عملاً من العربية إلى اللاتينية وترجم زميله الإسباني دومينيكوس غونديسالينوس نصف دسنة كتب. ومن بين هذه الأعمال نجد كتباً ذات حجم موسوعي، قد تحتاج لنسخها على يد عدد من الكتبة سنة كاملة، ناهيك عن الترجمة ذاتها.

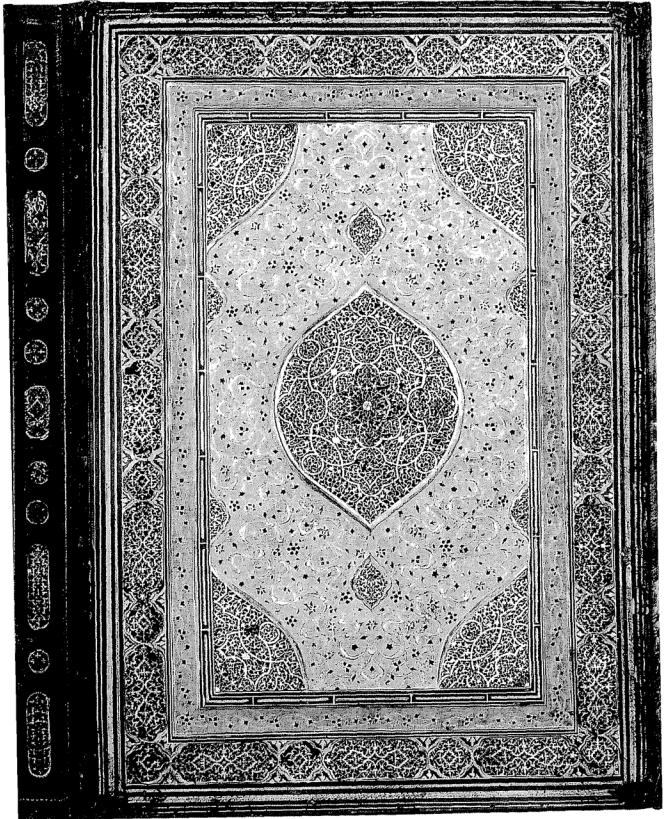
كان المترجمان يستمدان العون من العلماء اليهود والمسيحيين المعرّين، وكانا يحتاجان إلى المال لدفع نفقات لمعلمي اللغة والورق والكتبة، وكان لا بد أن يعفيا من واجباتهما اليومية، حيث أن كليهما أي غيرهارد فون كرمونا ودومينيكوس غونديسالينوس، كانا ينتميان إلى الدائرة الصغيرة المكونة من رجال الدين ذوي التعليم اللاتيني في كاتدرائية طليطلة التي جمعت قساسة من مختلف البلدان وسارت على نخط الإصلاح الكاثوليكي الفرنسي، وكان غيرهارد شماساً ومعلماً بينما احتل دومينيكوس منصباً أعلى وهو رئيس الشمامسين. كانت الكاتدرائية منذ استعاد المسيحيون السيطرة على طليطلة عام ١٠٨٥ هي مركز السلطة في المدينة، وامتد مجال نفوذها خارجاً عن حدود المدينة ليشمل كل شبه الجزيرة الإيبيرية. لم تكن الترجمة عملاً شخصياً، بل كانت مسألة تخص الكنيسة.

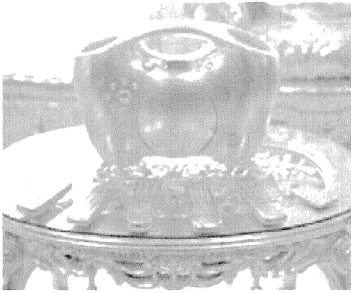
لكن ما هي المصالح السياسية التي كان يسعى كبير أساقفة طليطلة إلى تحقيقها؟ يخمن البعض (ومهم ريتشارد ليماي مثلاً) أن يكون كبير الأساقفة قد رأى في الترجمات وسيلة جيدة لمحاربة العدو الإسلامي، وأنها ذخيرة ثقافية لدحض "التعاليم الخاطئة". لكن جيوش المسلمين في الجنوب لم تكن هي العدو الحقيقي لكبير الأساقفة في القرن الثاني عشر الميلادي، بل كان كبيراً أساقفة براغا Braga وسانتياغو دي كومبوستيلا، كانا هما العدوين الخصمين المعارضين للمركز المتميز الذي تتمتع به طليطلة كعاصمة دينية في شبه الجزيرة الإيبيرية. في خمسينيات وستينيات القرن الثاني عشر، حينما انتعشت حركة الترجمة في طليطلة، كان بإمكان كبير الأساقفة أن يحقق مجموعة من الأهداف السياسية المتميزة.

الذراع اليمنى لآول أسقف لطليطلة، ذراع القديس الشهيد أوغينيوس من القرن الأول الميلادي، نُقلت من سان دوني من أعمال باريس إلى طليطلة، وهي رفات لم تقع كل رجال الكاتدرائية بأنها حقيقية، حيث أنه لم يكن معروفاً أن هناك أساقفة في القرن الأول الميلادي وأول أسقف يحمل

السابع وسانشو الثالث في الكاتدرائية، وبذلك اقتربت
 طليطلة من هدفها بأن تصبح بانثيون أسبانيا. وفي هذه
 السنوات بدأ العمل في بناء المبنى الجديد للكاتدرائية وتم
 الانتهاء منه بعد عدة عقود.
 كان غير هارد فون كيريمونا ودومينيكوس غونديساليوس من
 رجال الكاتدرائية وبالتالي انضموا إلى تلك النخبة السياسية
 النشطة التي تطلعت إلى تحقيق السيادة على مسيحي

اسم أويغينيوس عاش في القرن السابع. لكن كان لهذه
 الرفات معنى رمزياً مهماً. فمن المفترض أن تستعيد طليطلة
 المكانة التي تمتعت بها سابقاً في الامبراطورية القوطية
 الغربية في أواخر العصور القديمة والتي ألت لـ «سان
 دوني» في فرنسا في تلك الفترة، حيث كانت المركز
 السياسي والروحي للمملكة. حققت طليطلة نجاحاً آخر في
 هذا الاتجاه، حيث تم دفن جيشماني ملكي قشتالة الفونس





ترجمة مستقلة: محمد جعفر صليحي - خبير
 Eastern Christianity in Arabic
 Near Eastern Studies Program, The University of Chicago
 and the Islamic Studies Center, The University of Chicago

شيئاً من مذاق الحكمة التي يحتقرونها وهم سكارى
 بخيالاتهم الدنيوية".

كان برنامج غونديساليوس مسيحياً تماماً، ولم تكن له أية
 صلة بالحرية الثقافية التي يراد نعت المترجمين الأسبان في
 ذلك الحين بها. "في الأماكن الخفية للغة العربية واليونانية"
 وجد غونديساليوس مصدراً يستطيع من خلاله أن ينسج
 نصوصاً لاتينية ذات تأثير، في أسبانيا المعربة والتي تعاني
 من نقص النصوص اللاتينية، هذا المصدر الذي كانت له
 ميزة جعل طليطلة أقوى وأضعف مركز براغا وسانتياغو.
 وحتى لو لم يصيغ المرء هذه النصوص دائماً بالدعاية
 المناسبة للحكمة المسيحية، فقد كانت الرسالة التي لا يمكن
 تجاهلها من قبل الرعية المسيحية والأساقفة الأعداء والأمراء
 الأسبان والبابا تتلخص في أن رجال الكنيسة في طليطلة
 يتمتعون بالزعامة الروحية الفعلية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

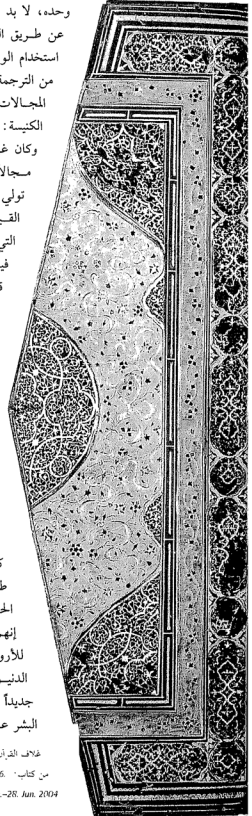
ترجمة: أحمد فاروق

داغ هاسه: مدرس في جامعة فورتسبورغ، متخصص في تاريخ الفكر
 العربي واللاتيني في العصر الوسيط.

أسبانيا، ولم تفشل في ذلك. كان غونديساليوس هو
 صاحب الذهن الأكثر استقلالية، وله منصب أعلى
 ومؤلفات بقلمه. لقد حان الوقت الآن كي ننظر إليه
 باعتباره كبير المنظرين الإيديولوجيين للأسقفية وليس
 باعتباره مجرد كاتب ذي اهتمامات فلسفية دينية. لقد
 ترجم أعمالاً عربية عن "الروح" وكتب مؤلفه الخاص عن
 هذا الموضوع "... كي لا يفني المؤمنون كل جهدهم من
 أجل خلاص أرواحهم بالإيمان
 وحده، لا بد لهم أن يدركوا الروح
 عن طريق العقل". هنا يتم
 استخدام الوسائل الحديثة المكتسبة
 من الترجمة لاحتكار تفسير أكثر
 المجالات خصوصية لدى
 الكنيسة: وهي روح المسيح.

وكان غونديساليوس لا يجد
 مجالاً للشك في ضرورة
 تولي الكنيسة الدور
 القيادي، لأن الأوقات
 التي كان البشر يتمتعون
 فيها بالثقافة والحكمة
 قد ولت: "يا له من
 زمن ماض سعيد،
 ذلك الذي ألجب
 كثيراً من الحكماء،
 كانوا مثل النجوم
 التي أضاءت
 ظلام العالم.
 وكانت العلوم
 العديدة التي
 أسسوها بمثابة
 مشاعل لإنارة عقولنا
 الجاهلة المظلمة".

كان رجال الكنيسة في
 طليطلة هم الورثة
 الحقيقيون لهذه الحكمة،
 إنهم هم الذين أتاحوا
 للأرواح الغارقة في الأمور
 الدنيوية، أن تجد مدخلاً
 جديداً للعلم "حتى يتمكن
 البشر على الأقل من أن ينالوا



غلاف القرآن الكريم. القرن السادس عشر الميلادي. إيران.

من كتاب: "Hunt for Paradise: Court Arts of Iran, 1501-1576".

Mosco Fuld Pozzoli and Palazzo Reale, Milan, 23 Feb.-28 Jun. 2004

الكُندي وتعرّيب اللغة الفلسفية

التأثير الإغريقي والعربي في نشأة الثقافة الإسلامية

السياسية والحكم المطلق للدولة. وكلاهما كان مرفوضاً من قبل ائتلاف التمسكين بالأصول والتقاليد الإسلامية. قوبلت العقلانية المطلقة بمجموعة من المبادئ ليست أقل إطلافاً منها وقد تأسست على السنة النبوية.

كانت حركة نشر العلوم الإغريقية هي ثاني حركة في عملية استقبال وتعرّيب التراث العلمي التي استمرت لقرون. في المرحلة الأولى، بعدما قاد المسلمون الإيرانيون الثورة العباسية إلى النصر عام ٧٥٠م، ارتفع شأن الإيرانيين ليصبحوا ضمن النخبة في الدولة الحاكمة الجديدة. ولم تقتصر جهودهم فقط على إدخال التقاليد الإيرانية في التنظيم السياسي وآداب البلاط، بل أدخلوا أيضاً تقليداً يختص بالعلوم التطبيقية. عندما تأسست بغداد عام ٧٦٢م بالقرب من موقع قصر الساسانيين القديم، وعند مفترق الطرق المؤدية إلى بيزنطة الإغريقية غرباً وإلى إيران شرقاً، كان الفلكيون الفارسيون يطلّبون قراءة طالع الزمان والمكان، كانوا خبراء في التنجيم سواء تعلق الأمر بالطلّال اليومي أو بعلم الفلك ذي الصبغة السياسية الدنيوية الرفيعة المستوى، والذي يمكن من خلاله حساب السنين والتغيرات الكبيرة في حركة الكواكب، وبالتالي تحديد مصير الأسر الحاكمة والشعوب. في الوقت نفسه كان الأطباء الذين يتحدثون الآرامية - وهي اللغة التي كان الناس يتفاهمون بها في الشرق الأدنى القديم حتى دخول الإسلام - يستدعون من مستشفى غوندشاپور في جنوب بلاد فارس ليتولوا مسؤولية الرعاية الصحية في العاصمة بغداد. وكان المسيحيون الساطرة الذين لقوا منافسة من أصحاب مذهب الوحدانية الطبيعية في الهلال الخصيب، أكثر تأثراً بالحضارة الإغريقية منذ العصور القديمة لبعثة الإسكندر الأكبر الاستكشافية باتجاه الشرق، وخلفائه على الإقليم الروماني وخلفائه البيزنطيين. وفي تنافسهم مع أصحاب العلوم التطبيقية من الفرس عرض العارفون باللغة اليونانية كنوز العلم القديم الأكثر ثراءً وأصالة، والتي ظلت تحيا من خلال اهتمام قلة محدودة من الأطباء والفلكيين ورجال الدين المسيحيين بها، وعند أول إشارة بالعدم الرسمي تم إخراجها من مكتبات وأديرة ومستشفيات الشرق الأدنى. وفي الجيل التالي بدأ الأطباء والمعماريون وعلماء الهندسة

ربما كان ذلك في ثلاثينيات القرن التاسع الميلادي، حين وقعت مشكلة ما في الدار الكبيرة التي يملكها الكندي. استقبل أحد المستأجرين زوراً من الرف، وأقامت العائلة كثيرة العدد في البيت المتواضع. لكن فجأة ظهر رسول من الكندي صاحب الدار عند الباب مطالباً بزيادة كبيرة في الأجرة عن مدة إقامة الضيوف. انفجر الساكن محتجاً. لكن صاحب البيت أصر على موقفه وحسب حسبته: "الحصا الذي تدعو إلي ذلك كثيرة وهي قائمة معروفة. ومن ذلك سرعة امتلاء البالوعة، وما تفتيتها من شدة المؤنة. ومن ذلك أن الأقدام إذا كثرت، كثر المشي على ظهر السطوح الطينية وعلى أرض البيوت المخصصة والصعود على الدرج الكثيرة. فينتشر لذلك الطين وينقل الجص وينكسر العتب، مع انثناء الأجذاع لكثرة الوطء..." (البخلاء).

وبعد ذلك بفترة وجيزة صار يُخل الكندي حديث أهل المدينة، وقالوا ألا يستحي وهو رجل ذو أصل عربي قديم أن يخون مبدأ الكرم العربي؟ وقد جعله دفاعه الطريف عن حقه في الأجرة الزائدة أهلاً للحصول على فصل كامل في كتاب «البخلاء» للجاحظ الذي عاصره وكان معروفاً بسلطة لسانه. في كتاب «البخلاء» جاور الكندي عدداً غير قليل من الموالي، معظمهم من أصول إيرانية، وكل هؤلاء الموالي كان لديهم شغف بالعربية وكانوا منافسين ناجحين للعرب «الأصليين» في اللغة والأسلوب، رغم عدم قدرة بعضهم على نطق العربية نطقاً صحيحاً؛ في ذلك الوقت كان استهزاء العرب بالموالي مصحوباً بإعجاب متردد بإتقانهم للعربية. وفي الواقع لا يعتبر كتاب الجاحظ الشهير مجرد شهادة متميزة للأسلوب الأدبي فحسب، بل يعد أيضاً شاهداً على الصراعات الاجتماعية في المراكز الحضرية للدولة العباسية. تنافست "شعوب" الدولة العباسية مع العرب الأصليين من أجل الحصول على حقوق متساوية ومن أجل أن تكون لهم سلطة دينية وتأثير سياسي، وكانت اللغة العربية هي وسيلة التنافس. ضمت حركة الشعبية قضاة ورجال دين ونحاة يستخدمون العربية كوسيلة للحصول على المساواة الاجتماعية. وارتبط بهم مجموعة من العرب ممن تبين لهم أن العلوم القديمة تعد أداة للسيطرة

والفلكيون يجدون في الكتب اليونانية ثروة لم يروا لها مثيلاً في دقة المنهج والملاحظة واكتمال البيانات. علم فلك مزود بنماذج حسابية لحركة النجوم، ورسوم ومخططات علمية تستند إلى فرضيات فلسفية - نموذج موحد لحركة دائرية منتظمة في العالم العلوي - وللتعاطف الكوني بين العالم العلوي والعالم السفلي، بين الكون والإنسان بوصفه صورة مصغرة للعالم، بين الطبيعة والإنسان، وكل ذلك في تناغم مقدر مسبقاً، وعناصر الطبيعة الأربعة، والفصول والزواتر الجسدية للإنسان تشير إلى القانون الكوني للعلم العقلاني. واستفادت نشأة الثقافة الحضريّة من هذه الثروة من أجل أن تحافظ على مستواها، وتقدم عملية الأسلمة منتجة ما نسميه بالإسلام الكلاسيكي، والذي نتج عنه أول عملية تفسير للتعالم الإسلامي والإغريقية. وهذا قد أدى بدوره إلى استخدام العلم القديم، الذي كان في هذا السياق حديثاً لوضع التشريع الإسلامي، ولتحديد مواقيت الصلاة وحساب التقويم القمري للسنة الهجرية ووجهة القبلة إلى مكة في كل بقعة من بقاع الخلافة. بإدخال هذه الجوانب التطبيقية كان علم الفلك الإسلامي في عصر الخليفة المأمون في طريقه لتحقيق ما سماه أحد الباحثين المحدثين بـ "مستوى من التنظيم الإداري والملاحظة العملية والاستشراف النظري لم تجد لها معادلاً في أوروبا حتي القرن السادس عشر". (ك. ب. مويسغارد).

كانت العربية هي لغة الدولة ولغة المؤسسات الدينية والسياسية للإسلام، وكان للعربية أن تبقى. فاللغات القديمة الشائعة والتي حلت منذ زمن بعيد محل اليونانية حتى في الأوساط المتعلمة قد تراجعت، وبخاصة الآرامية (جنباً إلى جنب مع القبطية في مصر) التي تواجدت طوال الوقت بجوار العربية المنطوقة، ثم تمت إزاحتها أثناء موجة التحول. لكن حتي الفارسية قلت أهميتها، خاصة في غرب إيران، وأصبح استخدامها قاصراً على الإدارات، بعد ظهور الأسر المستقلة في الشرق. وتبعاً لذلك كانت هناك حاجة متنامية للترجمات. كانت هناك ترجمات عن الفارسية (البهلوية، أو الفارسية الوسطى) في ذروة انتعاش التأثير الإيراني من آخر العصر الأموي إلى بداية العصر العباسي، ترجمات من التاريخ والأدب الإيرانية، ومن أدبيات أخرى عن حياة البلاط، وجداول فلكية، وأيضاً بعض المواد الإغريقية عن المنطق والأخلاق العامة. لكن حركة الترجمة اللاحقة عليها تتيح سيناريو أكثر تنوعاً. فالأطباء المسيحيون ترجموا أبقراط وغالينوس من اليونانية إلى الآرامية السورانية، وفي بعض الحالات تكررت ترجمة الكتب الأساسية في علم التنجيم والفلك والرياضيات، وهنا تدخل الفلسفة إلى الصورة في نطاق مختلف تماماً، وسنعود لذلك مرة أخرى.

في الأدبيات الأولى، التي تم تخليدها في كتب للعامّة، تكوّن الانطباع بأن هناك أكاديمية يرأسها الخليفة وتضم مجموعة من الباحثين ذوي الحلي ينقبون عن الكتب القديمة ويترجمونها في تعاون مشترك متناغم، وفي وقت فراغهم يتناقشون مع رجال الدين الإسلامي حول خلود العالم والروح الأبدية. لكن حقيقة الأمر، أن أهمية حركة الترجمة على المستوى الفكري والاجتماعي كانت أشبه بوادي السيليكون Silicon Valley والتنافس الأمريكي الياباني الحالي في قطاع التكنولوجيا الدقيقة. وفي الواقع كان التنافس متعدد الأوجه. بين الطرفين الإيراني والإغريقي، بين الملحن وأصول العلوم الطبية والرياضية، بين النساطرة من أهل فارس والوحدانيين الطبيعيين من سوريا، ولا يفوتنا أن نذكر صابئة حران. تعقد هذا التنافس مع ظهور حركة الأصوليين الإسلاميين، التي تستند إلى نصوص الأحاديث النبوية المقدمة. واللغة العربية التي كانت تنجس في ذاك الحين إلى إرساء قواعدها الأساسية من خلال نحو معياري، كانت هي الوسيلة المستخدمة لجزء كبير من هذا النشاط التنافسي، وتم استغلالها بوصفها وسيلة للاتصال في الدولة الدينية المركزية. وتنافس العرب مع أبناء الحضارات القديمة في مجالات العلوم الإسلامية ورسائل الصالحين وفي مقدمات علم النحو المؤسسة على قواعد منهجية. وكلا الطرفين استخدم العربية، لغة الوحي، بوصفها الوسيلة المعترف بها للتعبير الأدبي والعلمي. وكلا الطرفين ادعى معرفة متكافئة بالقرآن والسنة النبوية، واتقانا متكافئاً للبلغة اللغوية ومعايير النثر الجيد. في هجوم العرب على مقولات الشعوبية (مذهب الشعوبية) هناك احترام مشوب باستهزاء. من ناحية أخرى فإن أدب الحكمة اليوناني القديم قد دخل في تنافس مع الأمثال العربية، وتبارت آداب البلاط الإغريقية والفارسية مع التراث النبوي، أي مع الحديث الذي يشكل أساس السنة النبوية، وهيمنت الأدوات الطبية العلمية في مواجهة الأساليب التقليدية في العلاج، وطفى الحساب الرياضي الفلكي محل الفلك العربي الذي يعتمد على رصد النجوم في السماء، ولكل الأغراض العملية تم استخدام الجبر وواجه نظام الأرقام الوضعية الهندية صعوبة كبيرة أمام طريقة الحساب ولغة الإشارات الرقمية التي كان يستخدمها التجار. الجاحظ نفسه الذي أدان الغرياء من غير العرب وتحيزهم، ويعبد من أحد أساتذة الأسلوب العربي، وناقداً حاداً للخطاب الثقافي لنظراته في مجال الدين والفلسفة، كتب كتاباً عظيماً هو «البيان والتبيين»، وغرضه الوحيد من هذا الكتاب هو إثبات تفوق مواهب العرب وكفاءتهم في أمور اللغة والأسلوب، مقارنة بالنخبة الجديدة ذات الأعراق المختلطة من الفرس والإغريق. في هذا الكتاب وفي مواضع

ملك العرب»، والذي يدور حول طالع الخلافة العبرية؛ وكان بالإمكان استخدام نموذج التنجيم السنوي للنبره بنهاية قريبة للخلافة العربية أو باستمرارها لقرون ستة، في حين أن بني موسى الذين كان يرعاهم يحيى بن أبي منصور المنحدر من أصول فارسية، كانوا أكثر تلطفاً مع مجموعات علماء الفلك الإيرانيين، وبشكل عام مع الشعوبية التي دعت إلى مساواة المسلمين الإيرانيين في الحقوق والمراتب المتدمجين في إمبراطورية الإيمان.

كلا الفريقين قاما بتوظيف المترجمين للحصول على منابع العلم اليوناني. دفع بنو موسى لامثال حنين بن اسحق وحيث بن إحسان وثابت بن قرة، وهم أفضل مترجمي عصرهم، ٥٠٠ دينار شهرياً للترجمة والمواظبة على العمل - وهو مرتب هائل (حتى لو بالغنا بعض الشيء) - وقام بنو موسى أيضاً بتمويل بعثات إلى الأراضي البيزنطية للبحث عن نصوص لعلوم الأوائل. وكان البحث عن نصوص المؤلفين اليونانيين أيضاً مجالاً للتنافس، فمثلاً قام أحمد بن المعتصم الذي كان الكندي يعمل تحت رعايته بتكليف مترجم بترجمة كتاب «الميكانيكا» للعالم السكندري بابوس، وفي الوقت ذاته قام بنو موسى بترجمة كتاب هيرون عن الموضوع نفسه. وإلى جانب مؤسسة الخلافة ومكتبة بيت الحكمة التي تحولت بفضل الخليفة المأمون إلى مركز لأبحاث الفلك الحضري والرياضي بإشراف الحراني سالم، والإيراني يحيى بن أبي منصور وسهل بن هارون (وهو شعوبي أيضاً ومن الشخصيات التي خلدها المجاهد في كتاب البخلاء)، وإلى جانب البيمارستان البغدادي - الذي قام فيه أطباء مسيحيون وإيرانيون من غواندشاپور بممارسة نشاط مشابه يتألف من التعاليم الطبية والترجمة - كانت حركة الترجمة تحول من قبل أفراد. لم يكن كل الممولين علماء بارعين مثل الكندي وبني موسى، لكنهم كانوا أكفاء وخصصوا دعمهم للترجمة، رجال مثل علي بن يحيى أو ابن المنجم، ابن أبي منصور، وهو أحد ممولي حنين، وكانت مكتبته الخاصة تقارن بمكتبة الخليفة وخزانة الحكمة تلك المكتبة العلمية التي كانت ملكاً لوزير المتوكل الفتح بن خاقان، أو مكتبة المتكلم الحسن بن موسى من بني نوخت، وهي عائلة إيرانية من المنجمين، قاموا بتعيين الحراني ثابت بن قرة (مثملاً فعل بنو موسى) والجليل الأصغر من جماعة حنين.

وفي مقابل التيار الإيراني من الفلكيين والمنجمين الأوائل وتحالف العشائر المسيحية الآرامية من جنوب إيران والعراق، كان يمكن التعرف على مجموعة مختلفة على صلة بالكندي. هؤلاء الذين ورد ذكرهم كانوا رجالاً من هذا الجزء من الشرق الأوسط الذي تأثر بالحضارة الإغريقية، ولديهم خلفية إغريقية بيزنطية، أما الآخرون الذين يمكن

الندماء الخاص بالسلطة الجديدة. فلنستمع ببعض الجمل من مقدمة رسالة الكندي في وحدانية الله وتناهي جرم العالم، والمهداة إلى الشاعر علي بن الجهم: "حاطك الله أيها الأخ المحمود بصنعه وسدك بتوفيقه، وحرسك بعافيته من كل رائل، ووفسك بتطوُّله لأزكى عمل وبلغك من معرفته قرار رضوانه ومستحق إحسانه. فهمت ما سألت من وضع ما كنت سمعني أوضحه بالقول... وأنا أسأل وأعب الخيرات وقابل الحسنات أن يوفق لملوك، ويحسن من هدايتك إلى سبيل الرشاد البعيدة من أهوال المعاد. ولعصري ما هذا الموضع بمستغن عن الإطالة والإطناب إلا عند من بلغ درجتك من النظر وحسن المستعبر وأيد بمثل فهمك وحُسن من الهوى يمثل عزمك."

وكان الكندي نموذجاً لعالم علي دراية واسعة بالأدب، قد يكون له وقع مؤثر، لكن العالين بأسرار لغة الأدب، لم يتأثروا بقدراته الأدبية، وكتب الجاحظ نصاً تهكمياً عن "الجهل الفائق ليعقوب بن اسحق الكندي".

مع ذلك لم يستغرق الأمر طويلاً ليحقق الكندي نجاحاته، فقد كان رجلاً موسراً، ومعلماً للأمبر أحمد ابن الخليفة المعتصم (حكم من ٨٣٣ - ٨٤٢م)، وقد أهدى إليه بعضاً من أعماله. ربما قد يكون أقل غنى من بني موسى، الأخوة الثلاثة الذين ينحدرون من أصول أدنى منه، لكنهم تعلموا على يد الفلكي يحيى بن أبي منصور، وهو أحد العقول الرائدة في بيت الحكمة، وبلغ أصبحوا أكثر علماء الرياضيات في عصرهم شهرة، وبلغ الدخل السنوي لأبرزهم وهو جعفر ٤٠٠ ألف دينار من ممتلكات في بلاد فارس ودمشق ونواح أخرى. دارت بين الكندي وبني موسى منافسة ضارية من أجل الشهرة العلمية، وكانت هناك عداوة مرة بين الأخوة والكندي لأن المعتصم فضله عليهم كمعلم لابنه. وعندما انقلب الحال في عام ٨٤٨م وشى الأخوة بالكندي لدى الخليفة المتوكل وقاموا بمصادرة مكتبته لصالح استخدامهم الشخصي. لكنهم فشلوا في إثبات كفاءتهم العملية في الهندسة الميكانيكية عند تنفيذهم لمشروع حفر قناة طموح، وكانوا على وشك التوقف عن العمل لولا أن ذمياً لهم من علماء الرياضيات أنقذهم من الفضيحة، ولكن بشرط أن يردوا كتب الكندي لصاحبها الذي هو أحق بها. وتظهر هذه القصة الغربية جداً في حكاية ألفها أدباء القرن العاشر الميلادي، ويتطابق فيها شخص أحمد بن المعتصم بالخليفة المستعين، وتقول الحكاية إن بني موسى قد عارضوا توليه الخلافة عام ٨٦٢م، كنوع من الانتقام اللاحق.

ويمكننا أن نضيف إلى ذلك أن الكندي الذي كانوا يسمونه «فيلسوف العرب» لأصوله العربية من قبيلة كندة، قد أظهر معاداة شديدة للإيرانيين وللشعوبيين في كتابه «رسالة في

[illegible]

Fikrun wa Fann ۱۸ فکرو فن

مع القواعد الاجتماعية، وهي تأمس بذلك لأطر لوضع الحدود الخارجية من خلال النقاش، وللتأثير الداخلي من خلال أسس التدريس. وأدى تشكيل تلك المؤسسات المدنية والعسكرية والدينية والعلمية، بصورة حتمية إلى ظهور الصراعات بين الجماعات التي تتنافس من أجل الحصول على السلطة - وأول وأشهر مثال على ذلك هو محاكم الفتش التي أقامها الخليفة المأمون، المعروفة بفترة المحنة - وكان يتم الاستناد فيها إلى نموذج مستمد من خطاب معين. بعد الكندي بسجل بدأ ابن قتيبة هجومه على الهلنستين من الكتاب، وفي الجبل التالي عليه، كانت المناقشات بين النحاة والمناطق والنحاة الشائرين بالنطق (...). تجري على قدم ومناق.

بالنسبة لجبل الكندي وجماعته من أهل الفلسفة والعلوم، كانت الفلسفة تعبر عن وعي طبقة، وثبت الإسهام الثقافي للعلماء لأول مرة في تاريخ الحضارة الإسلامية. كانت الفلسفة اليونانية في مواجهة آداب البلاط وأخلاق الأمراء الإيرانية، مثلما كان العلم الإغريقي في مواجهة المعرفة التقنيّة الإيرانية. لكن، أولاً وقبل كل شيء استعادت الفلسفة دورها الرفيع الشأن كطريقة للحكم، بوصفها «فن الفنون» و «علم العلوم»، كما هو الحال في تعريفها التقليدي، حيث أنها تحدد الغاية النهائية للعلوم المنفردة. ولأول مرة يبين أن الفلسفة التي هي أكثر الأنشطة العقلية نقاء، هي نشاط يخدم الإسلام.

آية فلسفة؟ عندما بدأ العرب المسلمون في التعرف على الفلسفة اليونانية، تحصلوا على مجموعة من المشكلات الفلسفية وحلولها. والمشكلات والحلول كانت موجودة في فلسفة أفلاطون وأرسطو. أفلاطون أثار معظم الأسئلة الفلسفية ووضع أرسطو المواد والأساليب للإجابة عليها. رغم ذلك فإن ما نقل إلى العرب كان مجموعة مختارة من كتابتهما، مجموعة منتقاة من أعمال أفلاطون التي تم القضاء على معظمها نتيجة للتوجس المسيحي إزاء المعتقد الأفلاطوني الذي تم تدريسه في أثينا والإسكندرية، انتقاء هيمنت عليه العلوم الطبيعية وعلوم الطبيعة وماوراء الطبيعة الأرسطية، وكان مصحوباً بشروح الفلاسفة المشائين والأفلاطونية الجديدة، وهو في نهاية المطاف انتقاء ملحق بالكتابات الأفلاطونية الجديدة المنسوبة إلى أرسطو. ولم يستمر التراث الأفلاطوني وحده، ففي بغداد مثلما كان الحال في أثينا والإسكندرية، كان يُنظر إلى أرسطو وكذلك إلى أفلاطون والأفلاطونيين الجدد على أنهم يسعون إلى حقيقة واحدة، حقيقة تم دعمها بجهود استمرت قروناً عديدة من أجل تطويع هذه التعاليم وجعلها متوافقة مع آراء الفلاسفة المسيحيين والفلاسفة المسلمين من بعدهم، لتتماشى مع معتقداتهم وحل معضلات الفكر الديني.

كان الحل التوفيقى الأول الذي قدمه الكندي للمصادر المتعددة والمتباينة بمثابة بداية الفلسفة في الإسلام. ويتقديم الحسج التي تبين إمكان توافق العلم الديني مع العلم العقلي (ليس فقط بالنسبة للإسلام)، وبشكل واضح من خلال التفسير المجازي للقرآن، استطاعت فلسفة الكندي أن تستمر وتبقى كمدرسة تتمتع بتقدير كبير في أوساط العلماء المختصين، من الرياضيين والفلكيين والأطباء والكتاب الذين يعملون في إدارات الدولة وفي البلاط. وينحول عمله إلى أدب، ظل في هذا المزيج العربي الإيراني اليوناني مرجعاً كلاسيكياً للأدب، وبسط الأسس للأخلاق العقلانية، الأخلاق الأفلاطونية للمعرفة. لكن الخطوة التالية نحو فلسفة إسلامية ظلت باقية. الفلسفة التي تسعى لإثبات الرحمة الإلهية، من خلال بعث الرسول في نقطة الذروة من تاريخ الخلاص، خطة الله في التاريخ، فلسفة الجماعة الدينية. كان الفارابي (المتوفى عام ٩٥٠م) هو واضع هذه الفلسفة في القرن اللاحق، وكان ابن سينا (المتوفى عام ١٠٣٧م) هو الذي قام بمعالجتها في موسوعة جديدة. لم يقتصر عمل الفلاسفة فقط على الاستقالات بالفلسفة عن العلوم التطبيقية، بل نبذوا لاهوت الخلق لصالح النموذج الأرسطي الموحد للفيزياء، مدافعين عن مبدأ الخلق الأبدي، رافضين بذلك وجهة النظر التقليدية الخاصة بالخلق في الزمن، لكن علماء الدين أيدوا حجج معارضي الفلسفة. لكن لإصراهم على صلاحية هذا العلم البرهاني، لم يسع الفلاسفة إلى التوفيق بل إلى التنافس. برنامج الكندي للدعاية للفلسفة كان برنامجاً إدماجها داخل الإطار الاجتماعي في السلطة العربية المسلمة، واستمر في هذا البرنامج تلميذه في الشرق الإسلامي أبو زياد البلخي وأبو الحسن الأميري، وفي النهاية دمجه مع الميتافيزيقا الجديدة لابن سينا. لكن بدون الأساس الذي وضعه الكندي، لم يكن من الممكن لأحد من جاؤوا بعده تصور وجود فلسفة تجعل من اللاهوت مجالاً لها، وتضع الوحي في مجال التفكير العقلاني. وأخيراً بدون إنجاز الكندي في تنظيم وإبراز أهمية تعريب اللغة الفلسفية، بل ويمكن أن نتحدى فنقول: لو لم يبق الكندي وحلقته ومن أكملوا عملهم بنحت لغة الفلسفة العربية عن المصادر اليونانية، لما كان للغرب الأوروبي والعالم العربي، من العصور الوسطى وإلى يومنا هذا، أن يجدوا لغة مشتركة في محاولة وضع تسميات لمبادئ الوجود وحالة الإنسان.

ترجمة: أحمد فاروق

غيرهارد إندرس: استاذ معروف في مجال الدراسات الاستشرافية في جامعة بوخوم. متخصص في تاريخ الفلسفة العربية.

المترب جم ومهمته

قابلية النصوص للترجمة

بالترجمة من حيث الجوهر ويتطلبها أيضاً، بناءً على ذلك، ووفقاً لأهمية هذا الشكل. مسبقاً لا يمكن حسم السؤال الأول إلا بصورة إشكالية والثاني بصورة قطعية. والتفكير السطحي وحده هو من يحسبهما تماثلي المعنى حين ينكر المعنى المستقل للسؤال الأخير. ويمكن الإشارة إزاء ذلك إلى أن بعض المفاهيم النسبية ستحتفظ بمغزاها الجيد، وربما الأفضل إذا لم توقف منذ البداية على الإنسان فحسب. وعلى هذا النحو يجوز التحدث عن حياة أو لحظة لا تنسى حتى لو نسيها الناس كلهم. وإذا ما طالب جوهرهما بعدم النسيان فسيكون ذلك الإسناد ليس خاطئاً، بل مجرد مطلب بعدم التوافق مع الإنسان، متضمناً في الوقت نفسه إحالة إلى مجال يمكن أن يتوافق معه. وهو ذكر الله. وطبقاً لذلك تبقى إذن قابلية ترجمة الأشكال اللغوية جديرة بالاعتبار، وإن كانت غير قابلة للترجمة بالنسبة للناس. ليس على الأمثال اللغوية أن تقف حقاً عند درجة معينة من خلال مفهوم صارم حول الترجمة؟ وفي حالة انفصال كهذه يطرح السؤال فيما إذا كان لابد من ترجمة الأشكال اللغوية المحددة. فالعبارة القائلة: بأنه إذا كانت الترجمة شكلاً فيجب أن تكون قابلية ترجمة بعض الأعمال أمراً مرتبطاً بها ارتباطاً جوهرياً.

إن القابلية للترجمة تناسب بعض الأعمال، وهذا لا يعني أن ترجمتها أمر جوهري بالنسبة لها، إنما تفصح هذه القابلية للترجمة عن دلالة محددة يتضمنها النص الأصلي. ومن البديهي القول إن الترجمة مهما كانت جيدة لا يمكن لها أن تنطوي على أهمية بالنسبة للأصل. ومع ذلك فإنها تقيم علاقة أولية مع النص بفعل قابليته للترجمة. وهذه العلاقة تكون أشد عمقاً بقدر ما هي عدية الأهمية بالنسبة للأصل نفسه. ويمكن أن يقال عنها إنها علاقة طبيعية، وبدقة أكثر هي علاقة الحياة. ومثلما ترتبط مظاهر الحياة عميقاً بما هو حيوي، دون أن تعني له شيئاً، تنشأ الترجمة عن الأصل. وهي لا تنبثق في الواقع من حياته، بل من "بقائه حياً". فالترجمة متأخرة عن الأصل، وما يميزها، لاسيما في الأعمال المهمة، هي أن هذه الأعمال لم تعثر قط على مترجمها المختار في زمن نشوئها، مما يميزها هو مرحلة بقائها في الحياة. وبموضوعة خالية تماماً من أي استعارة ينسني الإحاطة بفكرة الحياة نفسها من ناحية

لا يمكن للاعتناء بالعمل أو الشكل الفني، في أي مكان كان، أن يكون مشمراً بالنسبة للمتلقى فيما يتعلق بمعرفة العمل الفني نفسه. ولا يكفي أن تحرف كل علاقة بجمهور محدد أو بممثليه عن الجادة الصحيحة، بل حتى مصطلح المتلقى «الثاني» مضر في جميع المعالجات الفنية النظرية؛ لأن هذه المعالجات ملزمة فقط بافتراض جوهر الإنسان ووجوده عموماً افتراضاً مسبقاً. وهكذا فلن الفن أيضاً يفترض سلفاً الجوهر الذهني والجسدي للإنسان؛ لكنه لا يقيم اعتباراً لانتباهه في أي إنجاز من إنجازاته. إذ ليس هناك أي قصيدة تتوجه نحو القارئ، ولا أي لوحة تستهدف المشاهد ولا قطعة سيمفونية تخاطب المستمعين.

فهل تستهدف الترجمة القراء الذين لا يعرفون الأصل؟ يبدو أن هذا يوضح على نحو جلي التباين النوعي بين الأصل والترجمة في المجال الفني. وفوق ذلك كله يظهر السبب الوحيد الممكن وهو إعادة قول "الشيء ذاته". ما الذي "نقله" وما الذي يمكن أن يُنقل؟ إنها تفعل القليل جداً لمن يفهمها، لأن جوهرها هو ليس الإبلاغ وليس القول. ومع ذلك ليس في وسع تلك الترجمة التي تسعى إلى التوسط إلى نقل الإبلاغ وحده؛ أي ما هو غير جوهري. وهذه أيضاً علامة التعرف على الترجمات السيئة. بيد أن هذا الذي يقف خارج الإبلاغ في القصيدة - وحتى المترجم السيئ يعترف بأن هذا يشكل جوهرها - ألا يعتبر على العموم أمراً غامضاً، شعرياً، غير قابل للإدراك؟ ألا يقوم المترجم بالنقل وحده عندما يقوم بالنظم كذلك؟ وهنا تكمن في الواقع العلامة الثانية للترجمة السيئة التي يمكن أن تعرف بأنها نقل غير دقيق لمحتوى غير جوهري. وسيتبي الأمر على هذا المثال طالما تعهدت الترجمة بخدمة القارئ، وإذا كانت موجهة إلى القارئ فلا بد من الأصل أيضاً. وإذا لم يبق النص الأصلي من أجل ذاته، فكيف يمكن فهم الترجمة من خلال هذه العلاقة؟

إن الترجمة شكل، ولكي تفهم على هذا النحو فلا بد من الرجوع إلى الأصل، لأن فيه يكمن قانونها أكثر مما يكمن في قابلية الأصل للترجمة. والسؤال عن إمكانية الترجمة ينطوي على معنيين. فهو يمكن أن يعني: في ما إذا كان النص سيغير أبداً على مترجمه الكفاء ضمن جملة قراءه؟ أو، وهذا هو أصل المشكلة، في ما إذا كان يسمح

سدافاً مع بعضها فيما يخص ما تريد قوله، بغض النظر عن جميع الصلات التاريخية.

وبمحاولة التفسير هذه يبدو أن الرؤية المنصبة على طرق ملتوية لا فائدة من ورائها أخذت تصب من جديد في نظرية تقليدية للترجمة. إذا ما برهنت الترجمات صلة القرابة بين اللغات، فكيف لها أن لا تنقل شكل النص الأصلي ومحتواه بأكبر قدر ممكن من الدقة؟ بلا شك أن هذه النظرية لم تشغل نفسها بمفهوم الدقة، وبناءً على ذلك لم تستطع الكشف عما هو جوهري في الترجمات. بيد أن صلة القرابة بين اللغات في ترجمة تبرهن في الحقيقة على ما هو أعمق وأشدّ تحديداً ما يحمله التشابه السطحي الغامض لنصين شعريين. ولكي نفهم العلاقة الحقيقية بين الأصل والترجمة لابد أن نأخذ بعين الاعتبار قضية ينتظر هدفها مع الاستدلالات التي يبرهن فيها النقد العرفي على استحالة «نظرية التطبيق» (Abbildtheorie)، إذا ما اتضح هناك بأن ليس ثمة موضوعية في المعرفة، بل ليس هناك حتى حق بالمطالبة بالموضوعية، إذا ما قامت على التصوير الحرفي للواقع، فيقوم البرهان هنا على استحالة أي ترجمة تسعى في جوهرها إلى التشابه مع الأصل. لأن الأصل في ترجمة ديومسته، والذي لا يمكن أن تطلق عليه هذه الصفة لولا التحول والتجديد اللذان يشهدهما ما هو حيوي فيه، يكون خاضعاً للتغيير؛ فثمة تضيق متأخر للكلمات المحددة المعاني. فبغض النظر عما كان يشكل مغزى للغة شعريّة في زمن كاتب ما، فإنه سيضمحل فيما بعد، لتنشأ من ما هو مسطر شكلياً نزاعات مضمرة جديدة. فما كان يافعاً غضاً آنذاك يستهلك فيما بعد، وما كان مستخدماً سيصبح وقعه قديماً مهجوراً. فبالبحث عن جوهر تحولات كهذه وكذلك عما هو ثابت المعنى في ذاتية الأجيال اللاحقة بدلاً من البحث عنه في خصوصية اللغة وتناجها يعني - مع الاعتراف حتى بأشد التحليلات النفسية فجاجة - تبديل أساس القضية وجوهرها، ويمكن القول بصراحة إن ذلك يعني إنكار أشد القضايا التاريخية فعالية وخصوصية بفعل قصور التفكير. وحتى لو أراد المرء أن يجعل آخر جرّة قلم للمؤلف بمثابة رصاصة الرحمة للعمل الفني فإن ذلك لن ينقذ نظرية الترجمة الميتة تلك. فمثلما تتغير نبرة الأشعار العظيمة ودلالاتها عبر القرون تتغير تاماً تغيير أيضاً اللغة الأم للترجم. وبينما تدمم كلمة الشاعر متجاوزة عصره يكون قدر الترجمة المقتردة النمو داخل لغتها أو الاندثار في اللغة المتجددة. وهكذا تصبح بعيدة عن أن تكون بمثابة المعادلة الصمّة للغتين خافتين، بحيث أنها ستقع على خصوصيتها المتميزة من بين جميع الأشكال وتنتسب إلى النضج المتأخر للمفردة الأجنبية، أي على مخاض مفردتها.

وديومة الحياة في العمل الفني من ناحية أخرى. كون أن الحياة لا تحسب من نصيب البدن الحي وحده فذلك أمر قد افترضته حتى عصور التفكير المضطرب والتحيز. لكن الموضوع لا يتعلق بتوسع سلطة الحياة في ظل ضعف صولجان الروح مثلما حاول فشنر Fechner، ناهيك عن أن الحياة يمكن تعريفها عبر اللحظات الحيوانية الأقل حسماً، مثل الإحساس، الذي يدلل عليها أحياناً، إنما فقط يعترف بالحياة لذلك الشيء الذي يتمتع بتاريخ دون أن يكون مسرحاً للتاريخ، حينئذ ينال مفهوم الحياة نفسه حقّه. إذ أن دائرة الحياة تحدد في نهاية المطاف من خلال التاريخ، وليس من خلال ما هو متأرجح مثل الإحساس والنفس. لذلك تكمن مهمة الفيلسوف في فهم الحياة الطبيعية برمتها عبر شمولية التاريخ. وهل هناك أكثر سهولة، بما لا يقارن، من التعرف على ديومة الأعمال الإبداعية على الأقل مقابل التعرف على ديومة المخلوقات؟ إن تاريخ الأعمال الفنية العظيمة يعرف عملية نشوئها من خلال المصادر، أي تكوينها في عصر الفنان وحسبة ديومتها الأبدية من حيث المبدأ بالنسبة للأجيال اللاحقة؛ هذا يعني أنها حيث ما تتجلى تحظى بالشهرة. والترجمات التي هي أكثر من مجرد نقل تنشأ عندما يصل العمل الفني إلى زمن شهرته أثناء الاستمرارية. فهي لا تخدم هذه الشهرة مثلما يدعي المترجمون السيئون لعلهم، بل إنهم يدنون بوجودهم لها. وبها تصل حياة الأصل إلى ازدهارها المتأخر الشامل والمتجدد على الدوام، ويتحدد هذا الازدهار باعتباره ازدهاراً لحياة راقية متميزة من خلال صلاحية جيدة متميزة. فالحياة والصلاحية لا تتجدد علاقتها الملموسة على ما يبدو، والمتنصلة إلى حد ما عن كلّ معرفة، إلا عندما يتم البحث عن حيّز راقٍ للهدف الذي تسعى إليه جميع الصلاحيات المنفردة للحياة، وليس في حيّز الهدف نفسه. فكلّ المظاهر العملية للحياة، شأنها شأن صلاحيتها هي في الأخير أمر عمليّ ليس للحياة نفسها، إنما للتعبير عن جوهرها ولعرض دلالاتها. وهكذا فإن الترجمة في نهاية الأمر شيء عمليّ للتعبير عن العلاقة الوطيدة للغات ببعضها. ومن المستحيل للترجمة أن تكشف هذه العلاقة الحفية أو تقيّمها، لكنها تستطيع تمثّلها عندما تحقّقها جينياً أو على نحو مركز. وفي الحقيقة أن عرض مدلول من خلال محاولة عرض حالة أصلية لنواة مصدره - كما هو الحال مع المجالات غير اللغوية للحياة - من المحتمل أن يصعب العثور عليه، لأن هذه الحياة تدرك من خلال التناظر والعلامات أمثاطاً أخرى للدلالة أكثر من التحقق المركز بمعنى التحقق السابق الذي أشرنا إليه، إلا أن تلك العلاقة الداخلية المتخيلة للغات هي علاقة تقارب متميّز يقوم على أن اللغات ليس غريبة عن بعضها، إنما متجانسة

وضع حلّ لا زمني وغير مؤقت لهذه الغرابة، أو أن هذا الحلّ لن يكون على أية حال ما يسعى إليه المرء بصورة مباشرة. لكن وبشكل غير مباشر يستطيع نحو الديانات الكامن في اللغات إخصاب البذور المستترة للغة راقية. إن الترجمة إذن، مع أنها لا تطلب بدوام تركيبتها وبهذا لن تكون شبيهة بالفنّ، لا تنكر اتجاهها نحو مرحلة أخيرة نهائية وحاسمة لتقدها اللغوي برمتة. وفيها يرقى الأصل إلى أفق لغة عال وصاف معاً، لا يتمكن بلا شكّ من البقاء فيه بصورة دائمة، والذي لا يتمكن أبداً من الوصول إليه في أجزاء شكله جميعها، إلا أنه مع ذلك يشير إليه على الأقل بطريقة راقية وملحة أكثر مما يشير إلى مجال استجابة اللغات وتوافقها العاجز والمحدد مسبقاً. وهو لا يصل إليه ببساطة، لكن في هذا المجال ثمة ما هو أكثر من مجرد إبلاغ في الترجمة. ويمكن بدقة تحديد هذه النواة الجوهرية في الترجمة باعتبارها الشيء العصي على الترجمة من ناحية أخرى. ويقدر المرء أن يستخلص منها ما يشاء من الإبلاغ ثم يترجمها، لكن ذلك الشيء الذي يهدف إليه عمل المترجم الحقيقي سيبقى ثابتاً في مكانه. فهو غير قابل للترجمة مثلما هي كلمة الشاعر في الأصل، لأن نسبة المحتوى إلى اللغة مختلفة تماماً في الأصل والترجمة. وإذا ما شكل الأصل والترجمة وحدة معينة في البدء مثل وحدة القشر والثمر فإن لغة الترجمة ستحيط بالمحتوى كما المعطف الواسع الطيأت. إذ أنها تدلل على لغة أرقى منها، وبذلك ستكون فعّالة وغريبة وغير متناسبة مع محتواها نفسه. وهذا الانكسار يحول دون النقل مثلما يمكنه في الوقت ذاته. إذ أن كلّ ترجمة لعملٍ فنيّ في فترة زمنية محددة من تاريخ اللغة تمثّل، بالنظر إلى ناحية محددة من المحتوى، تلك الترجمات في جميع اللغات الأخرى. إن الترجمة إذن تغرس الأصل في مجال لغويّ نهائيّ – تهكمي من هذه الناحية، لأن الأصل لن يتزحزح عن مكانه في هذا المجال عبر أية ترجمة مهما كانت، بل يمكن أن يستخلص منه كلّ مرة من جديد وعبر أجزاء مختلفة. ولعلّ مفردة "تهكمي" تذكر بأفكار الرومانسيين ليس بدون سبب، فهؤلاء كانوا يمتلكون نظرة متميزة إلى حياة الأعمال الأدبية قبل غيرهم، هذه الحيلة التي تشهد لها الترجمة شهادة حيّة. بالطبع أن هؤلاء الرومانسيين لم يدركوا الأمر على هذا النحو، بل كانوا يصبون جلّ اهتمامهم على النقد الذي يشكّل بدوره لمحّة، وإن كانت قصيرة، من ديمومة العمل الفنيّ. وإن كان لا يمكن تقويم نظريتهم حول الترجمة، إلا أن علمهم الرائع الترجمة كان يأتي متلازماً مع الشعور بجوهر هذا الشكل ومكانته. وهذا الشعور – حسبما يدلّل كلّ شيء على ذلك – ليس من الضروري أن يكون موجوداً بقوة لدى الشاعر وحده، ولعلّ هذا الشعور

وإذا ما أفصحت الترجمة عن صلة قرابة بين اللغات فإن ذلك يحدث بشكل مختلف عن التشابه الواهي غير المحدد بين التقليد والأصل. فكم من الممتع القول بأن التشابه لا ينشأ بالضرورة بفعل القرابة. ومن هذه الناحية فإن مفهوم القرابة اللغوية يكون في هذا السياق متوافقاً بالكامل مع استخدامه الدقيق أكثر مما يمكن تعريفه تعريفاً واضحاً من خلال مساواة النسب في كلا الحالتين، على الرغم من أنه سيبقى ضرورياً بالطبع لتعريف الاستعمال الحصريّ لمفهوم النسب. فباين يمكن البحث عن صلة القرابة بين لغتين، بعيداً عن صلتها التاريخية؟ إن ذلك لا يتحقق على أية حال في تشابه الأشعار ولا في تشابه مفرداتها، إنما تكمن القرابة غير التاريخية للغات في أن هناك شيئاً واحداً في كلّ واحدة منها يوجد فيها كلّها مجتمعة وهو في الواقع الشيء المراد نفسه، ومع ذلك فإن أي واحدة من هذه اللغات غير قادرة بمفردها على الوصول إليه إلا عبر كليّة الأغراض والمعاني المكملّة لبعضها: أي اللغة الخالصة. فبينما تعارض جميع العناصر المتفرقة للغات الأجنبية، من مفردات وجمل وأنسق؛ فإن هذه اللغة تكمل بعضها في مقاصدها In-tentionen نفسها. وهذا القانون الذي هو من أهم قوانين فلسفة اللغة يفرّق في قصده، لكي يفهم بدقة، بين ما هو «مقصود» Gemeinten وطريقة «القصْد» Meinen، وفي مفردات مثل «Brot» و «pain» يكون المقصود هو نفسه، لكن الطريقة التي يقصد فيها تكون على العكس من ذلك. ففي طريقة القصْد تكمن حقيقة أن ثمة دلالة مختلفة في كلا المفردتين الألمانية والفرنسية بحيث لا يمكن إبداهما ببعضهما، بل أنهما يتعارضان مع بعضهما في نهاية المطاف؛ بيد أنهما من ناحية ثانية، إذا ما نظرنا إلى الأمر بصورة مطلقة، يتماهيان ويعبران عن المعنى ذاته في المقصود. وبينما يتعارض نمط القصْد في هاتين المفردتين تعارضاً شديداً، فإنهما تكملان بعضهما في كلا اللغتين اللتين تنتميان إليهما، والحقيقة أن نمط القصْد هو الذي يكمل المقصود. وفي اللغات المتفرقة غير المكملّة لبعضها لا نعرّ على «مقصودها» أبداً في استقلالية نسبية، أي في بعض المفردات المتفرقة أو الجمل، بل إنه يكون دائماً في حالة تحوّل إلى أن يتلوّن من تناسق جميع أنماط القصْد متحوّلاً إلى لغة خالصة؛ وطوال ذلك سيبقى كامناً في اللغات. لكن إذا ما تمّت هذه اللغات حتّى نهاية تاريخها السرمدي، فستكون الترجمة المتحمسة إلى ديمومة الأعمال الأدبية وإلى الانتعاش اللامتناهي للغات، معتمدة دائماً وأبداً على القيام بالتجربة على ذلك النمو المقدس للغات: أي كم سيكون مكنونها بعيداً عن الإيحاء وكم ستكون معرفتها بهذا البعد حاضرة. بذلك نكون قد اعترفنا بأن كلّ ترجمة هي إلى حدّ ما طريقة مؤقتة للتعامل مع غرابة اللغات. وسيخفف المرء في



فانتر بربان، تصوير - G   le Fretaud

diversit  , sur terre, des idiomes emp   che personne de prof  rer les mots qui, sinon se trouveraient, par une frappe unique, elle-m   me mat  riellement la v  rit  ."*
وإذا كان ما قصد «الارميه» بكلماته هذه يمثل في نظر الفيلسوف رأياً قاطعاً فإن الترجمة تقف مع أجن  ة لغة كهذه موقفاً وسطاً بين الشعر والمذهب. وعملها يكون متخلفاً عن هذه الخصوصية البارزة، إلا أنه لا يكون أقل رسوخاً من ناحية التاريخ.

ولو تكشفت مهمة المترجم تحت ضوء كهذا، فستكون الطرق المؤدية إلى حلها مظلمة كشيء الظلام. إن هذه المهمة - أي مهمة إنضاج نواة اللغة الصافية عبر الترجمة، يبدو أنها غير قابلة للحل مطلقاً، ولا يمكن تحديدها في أي حل كان. إذ لا تنتفي مصداقية حل كهذا إذا ما فشل نقل المعنى عن أن يكون نقلاً متميزاً؟ ولا يختلف - من وجهة سلبية - كل ما سبق ذكره في هذا الخصوص. فالأمانة والحرية - أي حرية النقل المقارب للمعنى حيث تكون الأمانة في خدمتها إزاء الكلمة - هما من المفاهيم العتيقة المستخدمة في كل نقاش حول الترجمات. لكن يبدو أنهما غير قادرتين على خدمة نظرية تبحث في الترجمة عن شيء

لا يجد في صدر الشاعر متسعاً له. وليس التاريخ نفسه هو من أوحى بالرأي التقليدي المتحيز القائل بأن المترجمين المهمين هم من الشعراء، أما المترجمون الأقل قدرة فهم من الشعراء الأدنى أهمية. فهناك نخبة من العظماء من أمثال لوثر وفوس وشليغل كانوا مهمين، بما لا يقاس، باعتبارهم مترجمين أكثر مما هم شعراء، أما غيرهم من العظماء مثل هولدرلين وغيورغه لا يمكن حصرهم بمفهوم الشاعر وحده إذا ما وضعنا إنتاجهم كله بنظر الاعتبار، بل لا يمكن اعتبارهم حتى مترجمين. ومثلما تكون الترجمة شكلاً خاصاً فيمكن أيضاً أن نفهم مهمة المترجم بصفتها مهمة خاصة، ولابد من التفريق بينها وبين مهمة الشاعر.

إنها تكمن في العصور على ما هو مقصود بالنسبة للغة المترجم إليها، التي يـُحيي فيها صدى الأصل. وهنا يقع بلا شك مـِليح للترجمة يختلف عن المؤلف الشعري، لأن مقصده لا يتجه أبداً إلى اللغة باعتبارها لغة، أي إلى كليتها، بل فقط إلى سياقات المحتوى اللغوية المحددة والمباشرة. فالترجمة لا ترى نفسها كما هو الحال مع الشعر في داخل الغابة الجبلية للغة، بل خارجها، أي مقابلها، دون أن تدخلها، إنما تدعو الأصل إلى داخلها، أي إلى ذلك المكان الوحيد، حيث يرجع إيقاع اللغة، كل مرة، صدى الأثر الأدبي المدون باللغة الأجنبية. فمقصدها لا يعود إلى شيء آخر سوى مقصد الشعر، أي إلى لغة شاملة تنقل العمل الفني المنفرد إلى لغة أجنبية، إنما المقصد نفسه مختلف أيضاً: فمقصود الشاعر أوكي، ساذج، جلي، بينما يكون مقصد المترجم مستتباً، نهائياً، غنياً بالمعاني. إذ أن الدافع الكبير لاندماج اللغات الكثيرة في لغة حقيقة واحدة هو الذي ينجز العمل. لكن هذا الاندماج الذي لا نتفاهم خلاله الجمل والقصاصد والأحكام أبداً مع بعضها - لأنها تبقى معتمدة أيضاً على الترجمة - هو الذي تتفق فيه اللغات مع بعضها، مكتملة ومتراضية في نمط قصدها. وعلى خلاف ذلك، إذا كانت هناك لغة للحقيقة محفوظة فيها آخر الأسرار التي يسعى إليها كل تفكير حفظاً صامتاً وخالياً من التوتر، هكذا هي لغة الحقيقة هذه، أي اللغة الحقيقية. وهذه اللغة بالذات التي يكمن الكمال الوحيد في هاجسها وقدرتها على الوصف هي التي يمتناها الفيلسوف، وهي مسترة بتركيز في الترجمة. فليس هناك ربة للفلسفة ولا ربة للترجمة، غير أن هذه الترجمات ليست خالية من الذوق الفني مثلما يدعي بعض الفنانين للغريقين في العاطفة؛ إذ أن هناك إبداعاً فلسفياً من سماته الاشتياق إلى لغة تتجلى فيها الترجمة:

Les langues imparfaites en cela que plusieurs, manque la supr  me: penser   tant   crire sans accessoires, ni chuchotement mais tacite encore l' immortelle parole, la

آخر سوى إعادة المعنى، وينظر في الواقع إلى هذه المفاهيم بشكٍّ مستمر على الدوام. فما الذي يمكن أن تقدمه الأمانة من خدمة لإعادة المعنى؟ إن الأمانة في ترجمة المفردة الواحدة لا تستطيع إلا نادراً أن تنقل المعنى الذي ينطوي عليه الأصل نقلاً كاملاً. لأن هذا المعنى، وبعد دلالاته الشعرية في الأصل، لا يتجسد في ما هو مقصود، إنما يكتب هذه الدلالة حسب اقتران المقصود بطريقة القصد في الكلمة المعيّنة. لقد دأب المرء على التعبير عن هذه الظاهرة بالصيغة القائلة بأن الكلمات تحمل معها نبرة إحساس معين. وبالنسبة لبناء الجملة فإن الحرفية بالذات ستزعم بكلّ نقل للمضمون مباشرة إلى سلة المهملات، وتؤدي لا محالة إلى الإبهام. وتعدّترجمات هولدرلين لسوفوكليس في القرن التاسع عشر مثلاً صارخاً مشوهاً على هذه الحرفية. ومن البديهي القول إن الأمانة في إعادة الشكل ستجعل إعادة المضمون صعبة بما لا يقاس، وبناءً على ذلك فإن مطلب الحرفية لا يستنبط من مصلحة الإبقاء على المعنى. وهذه المصلحة تخدم بلا شك الحرية الفاسدة للمترجمين السيئين أكثر مما تخدم الشعر واللغة. ومن الضروري إذن أن نفهم هذا المطلب، الذي يجهز بحقه بينما يبقى على سببه مضمرًا، عبر سياقات مقنعة. ومثلما على شطابا الإناء أن تعقب بعضها في أصغر التفاصيل لكي تجتمع بعضها، لكن دون أن تشابه إحداها مع الأخرى، فإن على الترجمة أن تملك طريقة القصد الموجود في الأصل حتى أدق تفاصيلها وتصوغها في لغتها الخاصة، بدلاً من تقليد معنى الأصل، لكي تكشف عن علاقة الأصل بالترجمة، تماماً مثلما تكشف الشطابا عن جزء الإناء، أي الكشف عن جزء اللغة راقية.

ولهذا السبب بالذات فإن على الترجمة أن تعدل عن إبلاغ شيء ما، وأن تصرف النظر عن المعنى بصورة أكبر، وأن تعتبر الأصل بالنسبة لها جوهرياً فقط عندما يعنى المترجم وعمله من نظام ومشقة كلّ ما هو إبلاغي. وستكون العبارة القائلة: في البدء كان الكلمة سارية المفعول حتى في ميدان الترجمة. وعلى العكس من ذلك تستطيع، بل يجب على لغة الترجمة، أن تفصح المجال لمرور المعنى، لكي لا تجعل قصده يتردّد بمثابة إعادة، إنما بمثابة تناسق هارموني وإتمام للغة يعرب فيها المعنى عن نفسه وتعبّر هي نفسها عن مرادها. وبهذا المعنى لا يمكن إطراد الترجمة التي تُقرأ لغتها كما تقرأ لغة النصّ الأصل، لا سيما في زمن نشوئها، بل ينبغي على المتطلع الكبير إلى تكملة اللغة وعلى دلالة الأمانة في النقل، المتكفولة بالحرفية، أن تنظف عبر العمل الأدبي. إن الترجمة الحقيقية شافقة، لا تظفي على الأصل، ولا تحجب عنه الضوء، بل تجعل اللغة الصافية تهبط على الأصل، معززة بأدائها الخاصة، هبوطاً

أكثر كمالاً. وهذا يقتضي قبل كل شيء الحرفية في نقل بناء الجملة، لأن هذا البناء بالذات هو الذي يدلّ على أن الكلمة، وليس الجملة، هي التي تشكّل العنصر الأساسي للمترجم؛ فالكلمة هي الجدار القائم أمام لغة الأصل والحرفية هي «الأركاد»، الرواق المقنطر.

وإذا ما كان يُنظر إلى الأمانة والحرفية في الترجمة باعتبارهما نزعيتين متعارضتين منذ القدم فيبدو حيثنّ حتى التفسير العميق لإحداها غير قابل للإصلاح ما بينهما، إنما سينكر، على العكس من ذلك، حقّ الأخرى إنكاراً كاملاً. فإلى أيّ شيء تستند الحرية إذا لم تستند إلى إعادة المعنى التي عليها أن تتوقف عن أن تكون صاحبة الأمر والنهي؟ فقط عندما يستخدم معنى التركيب اللغوي استخدماً مطابقاً لمعنى إبلاغه، يبقى محفوظاً بشيء أخير حاسم يتجاوز كلّ إبلاغ، شيء قريب جداً ويعيد أشدّ البعد، كامن فيه أو سافر في آن، منكسر به أو قويّ جبار من خلاله. وباستثناء الإبلاغ ثمة شيء لا يُبلغ قائم في كلّ لغة وتركيباتها، شيء يرمز إلى شيء ما أو يرمز له، حسب السياق الذي يرد فيه. فهو يرمز إلى شيء ما فقط عندما يدخل في التركيبات المتناهية للغات، لكن يرمز له في صيرورة اللغات نفسه. أمّا ذلك الشيء الذي يمثّل نفسه، لا بل يبحث عن إنتاج نفسه في صيرورة اللغة، فهو نواة اللغة الخالصة ذاتها. إلا أن هذه النواة، سواء كانت كامنة أو على صيغة شدّرات، لكنها مع ذلك حاضرة في الحياة باعتبارها الشيء الرموز له نفسه؛ فإنها تكون مقيمة فقط إقامة رمزية في التركيبات اللغوية. وإن كان هذا الجوهر الأخير الذي هو هنا بمثابة اللغة الخالصة مرتبطاً في اللغات بما هو لغوي فقط وتحوّلات هذا اللغوي فإنه سيكون مرتبته بالمعنى الصعب والغريب فيما يتعلّق بالتركيبات اللغوية. والقدرة العظيمة الوحيدة للترجمة تكمن في تحررها من هذا المعنى وتحويلها الرامز إلى رموز، وفي استعادتها اللغة الخالصة على هيئة حركة لغوية.

في هذه اللغة الخالصة التي لا تعبّر عن شيء أو تعنيه، بل هي عبارة عن مفردة خلاقة خالية عن التعبير، إنما تكون مقصودة في جميع اللغات، في هذه اللغة يلتقي الإبلاغ والمعنى والقصد على مستوى واحد، يكون مصيره الزوال، وبهذه تكتسب حرية الترجمة حقاً جديداً وكبيراً. والحرية لا تستمد بقاءها من معنى الإبلاغ الذي تكون مهمة الأمانة التحرر منه أصلاً، إنما تثبت الحرية وجودها عبر لغتها نفسها من أجل اللغة الخالصة. إن مهمة المترجم هي العثور على تلك اللغة الخالصة المتحررة من نفسها المدوّنة في اللغة الأجنبية، المحررة لما هو أسير في العمل الأدبي عبر صياغة الأشعار من جديد. ومن أجلها يحطم المترجم الحواجز الهشة للغته نفسها: لقد وسّع لوثر و فوس و هولدرلين

و غيورغه من حدود اللغة الألمانية، وما يتبقى إثر ذلك من دلالة في المعنى بالنسبة لعلاقة الترجمة بالأصل يمكن الإمساك به من خلال عقد مقارنة. فمثلما يسّ الخط المستقيم «الماس» محيط الدائرة مساً عابراً وفي نقطة واحدة فحسب، ومثلما يفرض هذا التماس، وليس النقطة، القانون على الخط المستقيم، أي عندما يجرّ نفسه في مساره المستقيم غير المتناهي؛ فإن الترجمة تمسّ فقط النقطة غير المتناهية الصغر لمعنى الأصل مساً عابراً، لكي تتابع مسارها الخاص وفق قانون الأمانة في حرية حركة اللغة. وقد وصف رودولف بانفستس^١ Pannwitz في تأملاته الدلالة الحقيقية لهذه الحرية، دون أن يسميها أو يقدم لها حججاً، هذه التأملات المدونة في كتابه "أزمة الشقافة الأوربية" والتي يمكن اعتباره ببساطة، إلى جانب ملاحظات غوته حول "الديوان"، من أفضل ما نُشر في ألمانيا حول نظرية الترجمة. يقول بانفستس: "إن ترجمائنا، وحتى الجيدة منها، تنطلق من قاعدة خاطئة. فهي تريد أن تجعل ما هو هنديّ أو إفريقي أو إنجليزيّ ألمانياً، بدلاً من أن تجعل ما هو ألمانيّ هندياً أو إفريقياً أو إنجليزيّاً. وهي تخشى خشية عظيمة من استخداماتها اللغوية ذاتها أكثر مما تخشى من روحية الأثر الأدبي الأجنبي. والخطأ الأساسي للناقل هو أنه يتمسك باللغة الأجنبية العرضيّ للغة نفسها، بدلاً من أن يحركها بفعل اللغة حيث تتحد الكلمة والصورة والنبذة معاً، بالأخص إذا ما كان ينقل عن لغة بعيدة جداً. وعليه أن يوسّع من لغته ويعمقها عبر اللغة الأجنبية. فليس هناك مفهوم يحدد إلى أي مدى تكون أي لغة ما قادرة على التحول، إذ أن أي لغة تختلف عن الأخرى بمقدار اختلاف لهجة عن أخرى إلى حدّ ما، لكنّ ذلك لا يتم إذا تعامل المرء معها بسهولة، إنما بأقصى قدر ممكن من الصعوبة."

وإلى أي قدر تتطابق الترجمة مع جوهر هذا الشكل فذلك أمر يتقرر موضوعياً عبر قابلية الأصل للترجمة. وكلّما كانت لغة الأصل قليلة القيمة والمرتبطة، أي كلّما كانت مجرد إبلاغ، أصبح من الصعب أن تكسب الترجمة شيئاً جديداً، إلى أن يعجز الطغيان التام للمعنى عن أن يكون مفتاحاً لترجمة مكتملة الشكل، فيفسدها. وكلّما كان العمل الأدبي راقياً يكون قابلاً للترجمة حتى لو مُسّ معناه مساً عابراً، بالطبع إن هذا ينطبق فقط على الأصل. أمّا الترجمات فتثبت على العكس من ذلك عدم قابليتها للترجمة، ليس بسبب الصعوبة، إنما بسبب السطحية الكبيرة التي يتواجد فيها المعنى داخل الترجمات نفسها. لذلك، ومن ناحية جوهرية أخرى، تؤكد ترجمات هولدرلين، لا سيما المسرحيتان التراجيديتان لـ «سوفوكليس»، هذه الحقيقة؛ إذ نجد فيها الانسجام بين اللغات عميقاً لدرجة أن

المعنى يلمس لمساً من قبل اللغة كما تلامس الريح أوتار القيثارة. إن ترجمات هولدرلين نموذج أصيل لشكلها، فهي تقف أيضاً من الترجمات المكتملة لنصوصها الأصلية وقفة النموذج الأصلي أمام المثال النموذجي، مثلما تظهر المقارنة بين ترجمتي هولدرلين وبورشارت^٢ Borchardt لقصيدة بنادر Pindar «البيثة» الثالثة. ولهذا السبب بالذات يكمن فيها، قبل غيرها، الخطر الأوّلي الكبير للترجمات جميعها: وهو أن أبواب أي لغة مهما بلغت سمعتها والتسكن منها ستطّبق وستجعل المترجم رهينة الصمت. كانت ترجمات سوفوكليس هي آخر إنجازات هولدرلين، وكان المعنى فيها يتردى من هوة إلى أخرى، حتى يوشك أن يتبدد في أعماق لغة لا قرار لها، بيد أن هناك مستقراً ما. وليس هناك نصّ يتضمن هذا المسفر، باستثناء النصّ المقدس الذي كفّ عن أن يكون الحدّ الفاصل بين اللغة المتدفقة والوحي المتدفق. وحيثما ينتمي النصّ إلى حرفة اللغة الحقيقية أو إلى الحقيقة نفسها أو إلى العبرة مباشرة، وبدون معنى بسيط، فإنه سيكون قابلاً للترجمة تماماً. وذلك ليس لأجل النصّ في الواقع، إنما لأجل اللغات وحدها. والترجمة تطالب هذا النصّ بقدر لا محدود من اليقين، بحيث أن اللغة والوحي يتحدثان فيه من خلال الحرفية والحرية على شكل ترجمة ما بين السطور. فالنصوص العظيمة مجملها، وبالأخص النصوص المقدمة، تحتوي إلى حدّ ما على ترجمتها الفعلية بين السطور؛ وأن ترجمة ما بين سطور النصّ المقدس تمثّل النموذج الأوّل أو المثال لكلّ ترجمة.

(١) غوستاف فستر (١٨٠١ - ١٨٨٧): أستاذ فيزياء وعلوم طبيعية وعالم نفس ألماني؛ مؤسس «المذهب التجريبي لفسجة الحواس» الذي ينظر إلى العالم باعتباره سكنواً روحياً.

(٢) رودولف بانفستس (١٨٨١ - ١٩٦٩): فيلسوف وعالم اجتماع ألماني سعى إلى تجديد الإنسان الأوروبي بتجديد كلياً والتغلب على الأزمة الثقافية.

(٣) رودولف بورشارت (١٨٧٧ - ١٩٤٥): شاعر وكاتب ومترجم ألماني يعدّ من الكتّاب المحافظين، منّع من النشر في ألمانيا إبّان الحكم النازي.

المصدر: Walter Benjamin, Illuminationen,

Suhrkamp Verlag, Frankfurt/Main 1977

* "نعد اللغات غير كاملة، حيث يوجد منها الكثير وتنقص أفضلها. وحيث أن الفكر - بلا حس أو أية إضافات أخرى - مثل كلمات خالدة، يمنع تنوع اللغات على الأرض أي شخص من أن ينطق بالكلمات التي يمكن لها فيما عدا ذلك أن تمثل الحقيقة نفسها تقريباً". ترجمة لنص مالارميه عن الألمانية. النص مأخوذ عن عمل مالارميه بعنوان: "أزمة الشعر".

ترجمة: حسين الموزاني

الرقص على الجبل الغربي - الشرقي

صعوبات التعريف بالأدب العربي في ألمانيا

في سياق التبادل الثقافي بين الشعوب يحظى التعرف على الآداب الأجنبية بأولوية متميزة، لا سيما وأنه قليل الكلفة، نسبياً، وقادر على الاتصال بأناس كثيرين. بالإضافة إلى هذا وذلك، فإنه يشكل قناة متميزة للتعرف على الثقافة الأخرى. فالأدب يكاد أن يعطي الجواب الشافي على كافة الأسئلة المتعلقة بمهية المسائل المهيمنة على تفكير وأحاسيس البشر أو الشعوب، وخاصة بالطريقة التي يفكرون بها وهم يواجهون هذه المسائل، أو الدائرة حول التراث الذي يختزنونه في ذاكرتهم ويرجعون إليه في حياتهم العامة. علاوة على هذا كله، فمن خلال الأدب تستطيع الثقافة الأخرى أن تعبر عن نفسها من خلال نتاجها الذي سكبت فيه روحها وليس من خلال طرق ملتوية تمر عبر نظريات العلماء وتقديرات الخبراء.

إلا أن الأدب لا يسمح بين الثقافات المختلفة بفعل قوة دفع ذاتية، لا سيما حينما يضاهي عمق الخندق الفاصل بين هذه الثقافات عمق البحر الأبيض المتوسط. من هنا فإن الأدب بحاجة إلى ربانة ومرشدين ووسطاء. وبالنسبة للتبادل القائم بين الأدبين العربي والألماني ينطوي أداء هذه المهام على حرج لا يقل عن الحرج الذي يخيم على الساعي بالرسائل، فهو يحمل، من حين لآخر، ورم ما يرد في هذه الرسائل من أخبار غير سارة. وفي الحالات العامة، يتم التعريف بالأدب الآخر من خلال سوق الكتاب القائمة على مبادئ الربح والخسارة. إلا أن هذه السوق لا تلوح بمنافع مالية كبيرة فحسب، بل هي تنطوي على قوانين توجيهية تنظيمية، قد تثير التذمر والاستياء في بعض الأحيان. ومع هذا، فإنها تظل تتصف بميزة لا يستهان بها أبداً، ذلك أنها لا تسير على هدى أيديولوجية معينة، ولا تنحاز إلى تقسيمات ذاتية، بل هي تستعين بمقيار موضوعي ممكن القياس كميّاً: الربح الاقتصادي.

إن هذه القوانين التوجيهية التنظيمية تُلغى في عملية تعريف الناطقين بالألمانية بالأدب العربي أو في سياق تعريف الناطقين بالعربية بالأدب الألماني. فالعبء المالي الناجم عن تشجيع نشر الأدب الآخر - وهو عبء يفترض أن تتحمله مؤسسات القطاع الخاص، أعني دور النشر والترجمين - في الحالات العامة - تتحمله حالياً الموازنة الحكومية. وفي الواقع، لن تكون السوق قادرة على تحمل هذا العبء المالي

في المستقبل المنظور أيضاً. من ناحية أخرى، تقع مهمة التعريف الفعلية بالأدب الآخر على عاتق بضعة أفراد يؤدون مهمتهم بحماسة واندفاع ويكسبون رزقهم باعتبارهم مترجمين أو صحفيين أو مشرفين على اختيار وإعداد المادة الأدبية المراد نشرها. ويجدر بنا أن ننوه هاهنا، بأن الأجر الذي يحصلون عليه، لا يوضعهم، عملياً، عما يذلون من جهود بأي حال من الأحوال. إن هؤلاء الأفراد الذين يرون في مهمتهم وظيفة شرفية يخدمون فيها الأدب، سيظلهم المرء، بلا ريب، إذا اتهمهم بأنهم يؤدون مهمتهم بنحو تعسفي وبطريقة تحكّمية. ولا يمنع هذا، طبعاً، من أن تبدو لنا نتائج أفعالهم بطابع تعسفي تحكّمي. فكما هو الحال في مجالات الحياة الأخرى، تتأثر هذه المهنة أيضاً بعوامل من قبيل الصدفة والميول الشخصية والأصل الذي انحدر منه المرء وسعة علومه وعمق مداركه. ولكن، وبفعل العدد الكبير للناشطين في مجال التعريف بالأدب الآخر وبسبب المنافسة الشديدة القائمة بين المترجمين والناشرين ومن سواهم من العاملين في هذا المجال، ونتيجة لعملية الانتقاء التي تقوم بها القوى العاملة في اقتصاد السوق، تفرز هذه العوامل الذاتية، عادة، وسطاً حسابياً لا يعكس ميولاً شخصية لفرد معين أو لمجموعة معينة من الأفراد، بل يعكس متوسط الميول الشخصية لأفراد كثيري العدد، أي أنها تفرز قيمة موضوعية الطابع إلى حد كبير. إلا أن هذا لا يمنع، طبعاً، من أن يحمل ما يسجرى تسويقه في ألمانيا، حالياً، على أنه أدب عربي، بصمات أصابع أفراد يجاهدون فرادى في جبهة التعريف بالأدب الآخر.

وهذه الحقيقة ذاتها، ما كان يمكن أن تكون لها أهمية كبيرة، لو لم تسهم العلاقات بين العالم الغربي من ناحية، والعالم الإسلامي من ناحية أخرى، وبين الثقافة العربية في هذا الجانب، والثقافة المسيحية - الأوروبية في الجانب الآخر، بالتوتر وبالمهوم الثقيلة. بناءً على الظروف السائدة في يومنا الراهن، يعمل الراغبون في التعريف بالأدب الآخر في قلب المحيط الذي تتعكس عليه التوترات السائدة بين الثقافات المختلفة. ويحاول هؤلاء بشيء من الحظ ويقدر من الكفاءة أن يوجهوا الطاقات الهائلة لتصب في قنوات بناءة. إلا أن هذا لا يمنع، طبعاً، من أن يكون هؤلاء، من حين لآخر وبسر وبلا ترو، ضحية هذه الطاقات الهائلة.

المقرر أن تُنشر بعضُ قصائدهم ضمن المؤلف المذكور، إلا أنها، ولأسباب تتعلق بحجم الكتاب، لم تنشر ضمن القصائد المختارة. وبفعل هذا العمل الاضطرابي تحولت بعض العلاقات الودية إلى قطيعة، لا بل إلى خصام وعداء حقاً وحقيقاً. وإلى جانب اتهامات أخرى، كان هناك من يتهم ناشر هذه المختارات بأنه يسعى، عن قصد وسبق إصرار، إلى تشويه صورة الشعر العربي والإسالة إلى العرب (علماً بأن هذا الاتهام كان قد جاء على لسان شاعرة لم تؤخذ بنظر الاعتبار في المختارات، وإن كانت قد توقعته ذلك). كما وظهرت إلى حيز الوجود حساسيات وطنية. فعلى سبيل المثال اشتكى أديب مصري متقدم في العمر لم تُنشر قصائده ضمن المختارات، من أن مصر لم تمثل في المختارات بالحجم الذي يناسب مكانتها الأدبية وأن بعض الشعراء المختارة قصائدهم لا يزالون شباباً لم يتوافروا، بعد، على التجارب التي تؤهلهم لمثل هذه المختارات. حقاً بوسع المرء أن يرى في هذا النقد انحصاراً لمصلحة أثنائية وتنقيساً عن بواعث ذاتية في أغلب الأحيان؛ إلا أن هذا لا يجرده، طبعاً، من الموضوعية بالكامل. ومع هذا، فلا مراء في أن المختارات ما كان يمكن لها أن تتخذ هيئة أخرى غير الهيئة التي ظهرت بها. فالحُدود التي وضعها الناشر بشأن حجم الكتاب أجبرت كل المحاولات التي كانت تسعى إلى إعطاء صورة صادقة ومسعرة تعبيراً دقيقاً عن الشعر العربي وليس إلى انتقاء موضوعي للثال المعبر فقط. وعلى المرء أن يتفهم موقف الناشر أيضاً، فهو يخضع لما تملبه عليه المناحي الاقتصادية بلا ريب. وهكذا، ومهما كانت درجة صواب النقد وشرعيته، فإن الأمر الواضح هو أن هذا النقد، مثله في ذلك مثل الأسئلة التي طُرحت في معهد غوته بالقاهرة، يتجاهل كلية المشكل الفعلي الذي يدور حوله الموضوع. ويجدر بنا أن نوه بأن غالبية الأدباء غير المعنيين بالمختارات على نحو مباشر قد اقتنعوا برأينا ووقفوا إلى جانبنا. أما الآخرين، فقد اتهموا معد المختارات بأنه يقصر في داخله نوايا سياسية ويعبر عن طموحات ترمي إلى تعزيز هيمنة الثقافة الغربية. ومن القاد من لم يذهب إلى هذا المدى، بل اكتفى بالقول بأن المختارات دليل على عجز ابن الغرب عن فهم الثقافة العربية. ومن هذا كله يتبين لنا بجلالة أن بوسع المرء أن يبذل ما يشاء من النوايا الحسنة، إلا أن الأجواء الحسبي بالشكوك والريب لا يمكن أن تُلد إلا الشبهات والظنون. وفي وسط هذه الأجواء وبين هذه الجبهات يقف الساعون إلى التعريف بالأدب الآخر مرة معززين مكرمين، كما لو كانوا أبطالاً، ومرة، وفي الحالات العامة، متعنين معذنين، كما لو كانوا كيش فداء. ومن الممكن، للوهلة الأولى على أدنى تقدير، أن يحاول المرء حل المشكل القائم من خلال زيادة عدد الأعمال المترجمة

ويمكن التدليل على هذا، من خلال شواهد تخطر على البال يسر وينحو سريع. فالحجبر بشؤون الإسلام هارغوت فندريش Hartmut Fändrich، على سبيل المثال، يمتن في المقام الأول، الترجمة، لكنه يقوم، في الوقت نفسه، بتقديم خدماته الاستشارية إلى دار نشر لينوس Lenos، وفي المشاركة باللجنة التي تختار المؤلفات الصالحة للنشر ضمن سلسلة الكتب المسماة «ذاكرة المتوسط» والتي تحصل على دعم مالي من المؤسسة الأوروبية للثقافة في أمستردام. وكانت هذه السلسلة قد نشرت العديد من السير الذاتية لكتاب عرب. ويستحق هذا الرجل، الذي يعمل في هذا المجال منذ ما يقرب من ربع قرن، الشكر والتقدير وذلك لأنه قدم إلى القراء الناطقين بالألمانية (سواء من خلال ترجماته، أو من خلال مراجعته وإرشاداته أو في سياق عمله في اللجنة المذكورة) حوالي ٣٠ إلى ٤٠ بالمائة من مجمل المؤلفات الأدبية المترجمة عن العربية. وبالنسبة للمؤلفين العرب يحظى فندريش بأهمية متميزة فريدة، فهو أهم شخص تخرّب بين يديه مؤلفاتهم المزمع نشرها في ألمانيا. ولكن، وللأسبب ذاته، أسى فندريش هدفاً يصعب عليه المؤلفون جام غضبهم، اعتقاداً منهم بأنهم قد غُبنوا في سياق عملية التحكيم أو تم تناسيهم بلا حق. فبالنسبة لغالبية الكتاب العرب بشكل نشر مؤلفاتهم في لغة غريبة نجاحاً كبيراً. من هنا، فكل قرار تتخذه جهة معينة في العالم الغربي لصالح كاتب معين يجر وراءه، على نحو حتمي، نقداً لا نهاية له، نقداً ينصب، دائماً وأبداً وفي المقام الأول على الشخص الذي عهدت إليه مهمة التعريف بالأدب الآخر. وفي سياق إحدى السنوات التي نظمها معهد غوته في القاهرة حول التبادل الثقافي الألماني - العربي كان أحد الأسئلة المطروحة يدور حول الشرعية التي تجيز لوسطاء ومحكمين غربيين قلبي العدد أن يقرروا، فرادى، الصورة والقيمة اللتين يتجلى بهما الأدب العربي (وبذلك صورة وسمعة الثقافة العربية ككل) في الغرب؟ فهل يتوافر هؤلاء على المكانة العلمية الضرورية للانتقاء على نحو موضوعي؟ وما هي الاتجاهات السياسية التي يمثلونها؟ وما هي الميول الشخصية التي تشوب تقييمهم وتشوه تحكيمهم؟ ولا ريب في مشروعية طرح هذه الأسئلة. إلا أن الأمر الواضح أيضاً هو أن هذه الأسئلة تتجاهل لب الموضوع. فلو لا هؤلاء الوسطاء والمحكمون المعدودون، الساهرون على التعريف بالأدب الآخر انطلاقاً من القيود التي يخضعون لها (اضطراباً)، لما كان هناك أدب عربي في لغات الغرب أصلاً.

وحينما نشر كاتب هذه المقالة في سنة ٢٠٠٠ مؤلفاً يضم مختارات من الشعر العربي، تعين عليه أن يلمس عن كتب عمق الغم الذي انتاب العديد من الشعراء الذين كان من

إن عدم وجود سوق للكتاب تفي بالمتطلبات الضرورية، وضآلة عدد القراء المجدين وعدم وجود الأطر الضرورية للعاملين في الحقل الثقافي، تقع مسؤوليته على عاتق الحالة الاقتصادية والسياسية المزرية في العالم العربي وليس على عاتق التثمين المتدني للشعر، هنا أو هناك (علماً بأن المعنيين هناك، أي في العالم العربي، غالباً ما يميلون إلى تضييق أهمية الشعر). فهذه الظروف المزرية لا تترك بصماتها على الصورة التي يتجلى بها الشعر العربي في العالم الغربي فحسب، بل هي تترك بصماتها على الشعر ذاته، فبسبب هذه الظروف المزرية على وجه الخصوص لم يعد الشعر العربي يتمتع بذلك الرقي الذي من المفروض أن يتمتع به انطلاقاً من تراثه العريق وإمكانات شعرائه على العطاء والإبداع. بهذا المعنى فالثقافة العربية لا تعاني من عدم إدراك الغرب لقيمته، بل تعاني من حقيقة أنها لم تعط قواها الذاتية القدرة على التفتح والازدهار. إنها إذن لا تعاني من ضعف في عرض صورتها وحقيقتها فقط، بل تعاني من عيوب ذاتية لا يستهان بها، وتعيق إمكانية عرضها على نحو إيجابي.

إن إسباغ صفات تبالغ في قيمة المادة التي يريد المرء التعرف بها (تماماً كما هو الحال في العالم العربي، حيث نلاحظ، وبالرغم من وجود عرب يتقنون الثقافة العربية المعاصرة، أن هناك عدداً كبيراً من العرب يبلغ في أهمية هذه الثقافة في أغلب الأحيان)، نعم إن إسباغ هذه الصفات يمكن أن يغري المرء في تعريف القارئ الغربي بخصائص تعد في واقع الحال مثالب لا محاسن - ولا مرء في أن المرء سيبيء بهذا الصنيع إلى سمعة الموضوع الذي أراد أن يسدي إليه الخدمة والنفع. ولهذا السبب ينطوي ما بدا حلاً ناجعاً للمشاكل التي تعاني منها محاولات التعرف بالأدب الآخر، أعني مضاعفة النشاطات المبذولة في هذا الشأن، على مزال لا يستهان بها. فمن يريد التعرف بالأدب الآخر لا ينبغي به أن يلزم بمادته إلى أقصى قدر ممكن فحسب، بل ينبغي به أيضاً أن يني تقيمه للحدود التي تحد من مساهمته على أسس حقيقية ومعطيات واقعية. ففي ظل الصراع الدائر بين الشرق والغرب، فإن التعرف بالأدب الآخر ليس بحاجة إلى راقص غارق في أحلامه، بل هو بحاجة إلى راقص يجيد الرقص على الحبال، أي أن حاجته إلى البهلوان أكبر من حاجته إلى الفنان. وكلما أدرك المرء هذه الحقيقة بنحو أسرع، كان أقل تعرضاً لأن يفتق من خمرة التبادل الثقافي، الذي أمسى على كل لسان خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، فيرى نفسه في خندق واحد مع من لا جامع يجمعه به.

ترجمة: عدنان عباس علي

والمشورة إلى أضعاف ما هو مستحق حالياً. ومن هذا المنظر، فإنه لا مبرر يستحق الثناء والإطراء فعلاً أن يتزامن نشر المختارات، المذكورة آنفاً، مع نشر مؤلف ثان يضم متخنيات شعرية أخرى تصب في الاتجاه نفسه وتتناول الموضوع ذاته، وإن كان المؤلف الثاني قد صمم تصميماً مختلفاً كلياً وسهر على إعدادهِ وإصدارهِ أديب عربي. وليس ثمة شك في أن كلا المجموعتين تخضعان إلى حدود ومعوكلات ما كان يمكن تخطيها، إلا أنهما، مع هذا، يرسمان، إذا ما أخذنا سوية، صورة معبرة، إلى حد ما، للموضوع الذي يدوران حوله: الشعر العربي الحديث.

وكان الاهتمام الذي أبداه الجمهور العربي حيال كلا المجموعتين من المتخنيات الشعرية قد فاق اهتمام الجمهور الناطق بالألمانية بكثير. فقد نشرت الصحف العربية عشرات المقالات النقدية عنها؛ هذا في حين يكاد أن يكون عدد المقالات المنشورة بهذا الخصوص هنا أقل من أصابع اليد الواحدة. فحتى المستشرقون وعشاق الشعر، ليس بينهم سوى قلة قليلة فقط تدفعها ميولها، الخاصة جداً، إلى قراءة الشعر العربي المباع في الأسواق بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر انطباعاً عن ضآلة الرغبة التي يصرها جمهور القراء لما نحن في صدد الحديث عنه. ففي حين اندرج القرآن الكريم ضمن قائمة أكثر الكتب المباعة، نرى أن الطلب على المتخنيات الشعرية ما فتئ عند مستواه المتدني بلا تغير أبداً. وإذا كان العرب يرون في الشعر المادة الأساسية التي يقدمونها حالياً إلى الأدب العالمي، إلا أن الرأي العام الغربي يشك في أن يكون هذا النوع الأدبي قادراً على تمثيل الثقافة العربية على نحو مناسب ومعبر. إنه، أعني الجمهور الغربي، يفضل الركون إلى ما هو أكثر كفاءة وأدق صورة في تمجيد الثقافة العربية: الدين. من هنا فقد جانب يواخيم سارتوريوس Joachim Sartorius وأمل الجبوري، عضوا هيئة تحرير "ديوان - مجلة للشعر العربي والألماني" الحقيقة حينما اعتقدا بأن "الرحلة الاستكشافية بصيغة الحوار الشعري ... هي هدف هذه المجلة. وسيثبت الحوار، الذي سيندلع على صفحاتها، بأنه أكثر جدوى وأعم نفعاً في المنظور الطويل من الحوارات السياسية والاقتصادية التي تلفها المصالح." ولا ريب في أن هذا مطمح نبيل، إلا أن تحققه يظل، مع هذا، في علم الغيب. ففي الأمد الطويل لن تقضي الثقافة على الشكوك والريب، بل سيقضي عليها الاقتصاد والسياسة، وذلك لأنهما، أعني الاقتصاد والسياسة، هما العنصران اللذان تسببا في فرز هذه الشكوك. بهذا المعنى، فالثقافة ليست سوى الساحة التي تتنازع عليها الاتجاهات المختلفة، إنها الصفحات التي تدون عليها هذه الشكوك لا غير.

عبور النص إلى الضفة الأخرى

مهنة بين جانبيين: المطرقة والسندان

عصر الرومانسية الألمانية الخالد الذكر، فالواقع الذي لا خلاف عليه، هو أن لكل عصر من عصور الترجمة خصائصه الفريدة. ففي بغداد كلفت الطبقة، التي آلت إليها، آنذاك، الهيمنة على مقدرات المجتمع، بعض المترجمين بنقل مؤلفات «السكان المحليين» إلى لغة الفاتحين، أي إلى العربية؛ أعني أنها كلفتهم بترجمتها عن لغات ما كانت هذه الطبقة ترى أن ثمة ضرورة تحتم عليها تعلمها. من ناحية أخرى، وعلى درب الجيوش التي استرجعت أسبانيا من يد العرب، حضر إلى طليطلة رجال شغفوا بالمعرفة وحب الإطلاع. فحينما كانوا يقيمون في ديارهم (أعني في فرنسا وألمانيا وإنجلترا) كان قد وصل إلى سمعهم أن يوسعمهم أن يحصلوا من هناك، من الأندلس، على معارف عظيمة. وشكلت المعارف التي استقاها هؤلاء الرجال من هناك المادة التي راحوا يدرسونها في جامعاتهم المؤسسة حديثاً. أما في العصر الروماني فقد دفع التطلع للفردوس المفقود وللحياة الوديعه الهادئة العديد من الكتاب إلى الاهتمام بماضي العالم الشرقي وبما لدى هذا العالم من حكمة وتراحم إنساني وقدره على التخيل.

وإذا أردنا أن نقارن بين وضعنا الحاضر والوضع الذي ساد في تلك الحقب والعصور فلا مراء في أن ثمة شاسع عريض بين الوضعين. فضضنا النهر أمستنا على هيئة مختلفة على نحو واضح وجلي. ففي منظور الجانب الغربي لم تعد العربية الضفة التي يذهب إليها المرء قصد الحصول على شيء يفتقده. فعدم الاكتراث بما في العالم العربي يساعد، في أفضل الحالات، على الإبقاء على القوالب الخاملة والمتخيلة التي سيطرت على منظور الرومانسيين لهذا العالم؛ أما في أسوأ الحالات، فإنه يسمح للغرب بإعادة اهتمامه صوب «طبيعة وفحوى المشاكل» التي تحدثنا عنها وسائل الإعلام الداعية للحترك بغية حل هذه المشاكل أو المطالبة بالمجابهة وجهاً لوجه. ومعنى هذا هو أن الطلب على الترجمات ضئيل جداً؛ وبالتالي فستظل المعرفة بشؤون العالم العربي متواضعة بطبيعة الحال.

ولكن، ومهما كان الحال، ففي الضفة العربية هناك اعتقاد، محق بلا ريب، مفاده أنه ينبغي ترجمة ما تجود به قريحة الثقافة العربية إلى اللغات الأخرى وذلك لأن هذه الترجمة

حسب ما يبدو لي، هناك صورتان تعبران على أفضل نحو عن النشاطات التي يقوم بها المترجمون والترجمات، أعني صورة النهر وضفتيه وصورة المطرقة والسندان والتورط في السقوط فيما بينهما. والصورة الاستعارية المستقاة من النهر لا تنطوي على معاني جميلة فحسب، بل هي تعبر عن معنى متداول أيضاً؛ ففوق هذه الصورة يعبر المترجم النهر، إما بصفته معلداوي يقود قارباً، أو على قدميه حاملاً على كتفيه عباء الثمين، عبء النص الذي يزعم ترجمته، كما لو كان كريستوفوروس Christophorus، ولا مراء في أن الصورة الاستعارية المستقاة من المطرقة والسندان أقل حسناً وظرفاً، ذلك لأن عمل المطرقة والسندان يوحي باستخدام شيء من العنف والوحشية.

إلا أن الصورة الوديعه للنهر تخفي، أيضاً، مظاهر زائفة خادعة، أضف إلى هذا أنها غالباً ما تُدرك على نحو ساذج وبلا إحاطة بالوقائع التاريخية، في سياق السؤال المتعلق بالكيفية التي تم فيها الانتقال عبر النهر. ولا مراء في أن هذه الصورة لا تفصح عما هو مطلوب، ذلك لأن الإجابة على السؤال المطروح يجب أن تنطوي على معلومات بشأن الإجراءات أو الأساليب المتعلقة بالترجمة. وفي سياق النقاش الدائر في يومنا الراهن بشأن التبادل الثقافي أو الحوار بين الثقافات يبدو لي أن الصورة المستعارة من النهر تنطوي على سؤال أكثر أهمية، أعني أنها تنطوي على سؤال يدور حول طبيعة ضفتي النهر. فالسؤال عن مصدر النص الذي سيجترع وعن اللغة التي يستقل إليها هذا النص وملامح الجانب الذي صدر عنه النص وخصائص الجانب المقابل إليه النص، يفصح، في الواقع، عن الهوية السائدة بين الثقافات المختلفة وعن التبعية الثقافية ووصاية ثقافة على الأخرى وعما سوى ذلك من أمور أخرى كثيرة.

وسواء نظرنا من وجهة النظر الألمانية أو العربية في سياق تقييمنا لواقع الترجمة من العربية إلى الألمانية، السائدة حالياً، فلا مراء في أن لا فائدة كبيرة من حملتنا بما قدمته بغداد من جهود عظيمة في القرنين التاسع والعاشر في سياق نقل المؤلفات الأجنبية إلى العربية، أو بما قامت به طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من ترجمات عظيمة إلى اللاتينية؛ كما لا نفع من العودة بالذاكرة إلى

نسبياً. وفي هذا السياق هناك ورطة أخرى تدفع المترجم لأن يسقط بين طرفي المطرقة والسندان. فالكثير من المؤلفات المزمع ترجمتها يجري اختيارها من قبل المترجم نفسه، أي أنه هو الذي يفتش عنها، وهو الذي يقرؤها، وهو الذي ينصح بترجمتها. وليس ثمة خلاف على أن هذا الجهد عمل إضافي لا يكافأ مادياً، عمل تقوم به في محيط اللغات الغريبة إما دار النشر أو السماسرة والوكلاء. ناهيك عن الحديث عن المهام الأخرى المقدمة بلا مكافأة مادية.

وحيثما يبدأ المترجم بأداء عمله الفعلي، أعني حينما يبدأ بترجمة النص الذي يزمع نقله، فعلاً، إلى اللغة الأخرى، فإنه يسقط في هذا السياق أيضاً بين المطرقة والسندان: المطرقة ممثلة باللغة التي سيتقل النص الأصلي عنها والسندان متجسداً من خلال اللغة التي سيتقل النص إليها. فهنا على المترجم أن يراعي فعلاً الكيفية التي "سيصوغ" وفقها النص الراغب بترجمته، أو وبعبارة أكثر دقة، عليه أن يكتشف الأسلوب المناسب لصياغة النص المعني باللغة المزمع ترجمته إليها. وهنا تنطبق الدُّعابة التي يمزج بها البعض في نوادي الهزار والتفكه، أعني القول بأن المترجم قد غدا هو الخائن بعينه؛ وحتى وإن لم يكن الأمر على هذا النحو حقاً وحقيقاً، إلا أن من حق المرء أن يطرح، على أدنى تقدير، السؤال عن أمانة المترجم. فمن هنا يبدأ العمل الفعلي الذي يقوم به المترجم عادة، فالأمانة في الترجمة هي القاسم المشترك بين كافة الزميلات والزملاء، فهي تربط بعضهم إلى البعض الآخر بغض النظر عن اللغة التي يترجمون عنها واللغة التي يتقلون النص المعني إليها.

ولكن، ما عسى أن يفعل المترجم إذا كانت لدى لغة النص الأصلي ستة أو سبعة وربما ثمانية أسماء مترادفة للصحراء واللغة المنقول إليها النص لا تتوافر إلا على اسم واحد لا غير للصحراء؟ وما يبدورنا أن نفعله حيال الملابس والمواد الغذائية، والصور الاستعارية والرموز أو استلهاهم بعض نصوص الأدب العربي الجاهلي؟ وهل سيكون بمستطاع الجميع الوقوف على أن كلمة «بومة» تطوي، أيضاً، على المعنى الذي تطوي عليه الكلمة الألمانية المستخدمة للغراب وأنها ترمز بالتالي، أعني كلمة بومة، إلى غراب البين أيضاً؟ في هذا السياق تغدو الأسئلة المطروحة أكثر تركيزاً، فهي تتمحور هنا حول أمور تقنية-لغوية وأسلوبية بحتة يتعين بالمترجمين والمترجمات مناقشتها. إن هذه الأمور التقنية اللغوية والأسلوبية البحتة يواجهها الجميع. فالأمر يدور هنا حول العلاقة القائمة بين لغات مختلفة الجذور. ولا مراء في أن هذا السؤال ينطوي على معان سياسية عظيمة. من هنا فإن المترجم يعمل في محيط سياسي معين بلا أدنى شك.

ترجمة: عدنان عباس علي

لا تقلل من القصور السائد في معرفة الثقافة العربية فحسب، بل هي قادرة على مد الجسور بين هذه الثقافة والثقافات الأخرى. وفي الجانب الآخر، أعني في الجانب الغربي، هناك، أيضاً، من يدعو إلى ما يدعوا إليه المرء في الجانب العربي، إلا أن الملاحظ هو أن عدد أولئك الذين يعتقدون بأن الترجمات قادرة على خلق تقارب بين الثقافات، أدنى بكثير من عدد المؤمنين بذلك في الجانب العربي. ولا يسع المرء هنا إلا أن يتمنى تكاتف وتعاون المصالح المشتركة القائمة بين كلا الضفتين لإثارة اهتمام الجانب الغربي بالأدب العربي على وجه الخصوص. ولكن، ما العمل، لا سيما وأن أولئك، الذي يتطلعون لأن يُترجم أدبهم على نحو واسع وعريض، لا يقدمون يد المساعدة الضرورية، بل يفضلون التحصن خلف الشكاوي والانتهازمات؟ نعم ما العمل، إذا كان الطرف العربي يشكو فقط ولا يحرك ساكناً؟

على ضوء هذه الحقائق يغدو المرء العازم على الترجمة، بالرغم من كل هذه المعوقات، كبش الفداء، أو، وإذا ما أردنا استخدام صورتنا الاستعارية أعلاه، سيغدو بين المطرقة والسندان. وما نقوله هنا هو في الواقع أول مراحل السقوط بين المطرقة والسندان: وقوع المترجم ضحية للمواقف غير المنصفة التي يواجهها في الضفتين الغربية والشرقية؛ فالجانب العربي يعتبره مسؤولاً عن الإهمال الذي تواجهه الثقافة العربية في الغرب، والطرف الغربي يقابل جهده ونشاطه بالإشفاق والرتاء أو بالازدراء والاستهانة. وليس ثمة شك في أن وصفنا هذا يعبر عن واقع الحال السائد بقدر تعلق الأمر بالترجمة من العربية. ويشكل الموقع الذي يحتله المترجم في سياق العلاقة القائمة بينه، من ناحية، وبين الكتاب والكاتبات والناشرين والناشرات، من ناحية أخرى، حالة خاصة جداً في العلاقة السائدة بين الثقافات. فهو لا يمثلون، أيضاً، المطرقة والسندان اللذين يحطمان رأس المترجم بلا رحمة وهودة. كما وهناك تطلعات وأحلام الكتاب والكاتبات إلى أن تترجم أعمالهم إلى اللغات الأجنبية وذلك لأن هذه الترجمة هي طريقهم للخلاص من الحصار الذي تفرضه عليهم اللغة العربية. وفي الطرف المقابل هناك الرغبات، التي يبديها الناشرون، الرامية إلى حصولهم على مؤلف رائع ممتاز وعلى ترجمة فاخرة؛ علماً بأنهم يريدون أن يحصلوا على هذا كله بأدنى ثمن ممكن. ولا مراء في أن يوسع المرء أن يسهب في الحديث بشأن الموضوع المذكور أخيراً، على وجه الخصوص، فالتترجمة ليست مهنة تضمن للمترجم مورداً مالياً معقولاً. ومعنى هذا هو أنه سيتعين عليّ أن أمتهن مهنة أخرى أدمع بموردها المالي ترجماتي من العربية إلى الألمانية! ويتعين تقديم هذا الدعم حتى وإن حصل المترجم على مكافأة مالية لا بأس بها

رحلة مترجمة

لماذا أحب الحياة مع نجيب محفوظ؟

فوق كلمة «نور» تحط ذبابة. أرحب بها، وأتهمك في الفرجة عليها. آنذاك، عندما بدأت دراسة اللغة العربية وآدابها، كنت فخوراً بمحاولاتي الأولى في الكتابة. لكن كل من يراها، كان يسخر من الخط العربي. كانوا يتهمون قائلين: يبدو مثل خراف الذباب.

النشيد، فلأعد إلى النشيد. أعثر على ترجمة قام بها مؤرخ في أحد مراجع تاريخ مصر القديمة. ولكن، ماذا؟ لقد أضاف محفوظ إلى النشيد، وغير فيه، ونظم أبياتاً جديدة. هل كانت لديه مصادر أخرى؟ أم أنه نسج من لغة المؤرخين فناً روائياً؟ أجابته، أسب والسن بصوت عال - ثم أخضع لمشيئته. الحياة مع محفوظ لا تعرف الملل. كثيراً ما يكون الحديث معه أثناء النهار، لا بل في أغلب الأحيان، هو الحديث الوحيد الذي أجريه بصوت مسموع. إن الوحدة التي يعيشها المترجم شبيهة بما يشعر به عداء المسافات الطويلة.

أحب الحياة في عالم نجيب محفوظ، ذلك العالم الذي يطلق عليه بعض النقاد وصف «صغير». لهذا أعشق. إنه يرفض السفر، ويهمل مما تقدمه إليه ثقافته، سواء في الماضي أو في الحاضر. أعماله العديدة المتنوعة تدل على أن النبع لا ينضب. لقد التزم نمطاً معيناً من الحياة ولم يغيره، التزم رؤية معينة للعالم، واختار طريقاً محدداً في الإبداع، دون أن يغيره إبداعه كي يشرب بيديولوجيا ثابتة، ويجبر الآخرين على اعتناقها باعتبارها السبيل الوحيد في الفن والأخلاق والعقل. هذا الموقف ينم عن عظمة جذيرة بالإعجاب.

ما يؤكد استاذية محفوظ وثقته بنفسه أنه - وبالرغم من اطلاعه الشامل على مختلف التيارات الفنية في الداخل والخارج - لا يهتم كثيراً عندما يسخر هذا الناقد أو ذاك من أساليب معينة في الكتابة، واصفاً إياها بأنها عتيقة قد تجاوزها الزمن. يقول محفوظ إنه كتب بأسلوب واقعي في وقت كان يُقرأ نعي الواقعية في الأدب. وأنّ الأدب العالمي الحديث لم ينصرف إلى تيار الوعي واللاوعي والصورالية إلا بعد أن أبدع مئات الأعمال التي تصور الواقع. ما يصوره في رواياته - يقول محفوظ - لم يلق قبله تسجيلاً واقعياً، لذا لم ير مفراً من اعتماد الواقعية أسلوباً.

منذ شهور وأنا أعيش في حضرة الملك حورمحب، والحكيم أي، وكبير كهنة الإله آمون؛ باختصار: لقد عدت إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة من أسر ملوك مصر الفرعونية. إنني أصارع مع الراوي، أي مع المؤلف، لإصدار حكم دقيق على إنسان، يلعبه البعض باعتباره مارقاً، ويحتفي به آخرون مصلحاً فريداً في تاريخ البشرية، بل وقائد ثورة غيرت مجرى التاريخ. هذا الإنسان هو إخناتون.

حتى مطلع هذا العام كنت لا أزال أعيش مع شهريار وشهرزاد، وكان يملكني الذهول مثل معروف الإسكافي الذي ادعى أنه يمتلك خاتم سليمان، ثم انقلبت إكذوبته حقيقة، ورأى نفسه قادراً على الارتقاء إلى السماء. كما شعرت بالمعاناة مع دنيا زاد في محتنتها وعارها بعد فض بكارتها. وقبل ذلك ... يا الله، كم هو مُجهد نجيب محفوظ! إنه ينتزعي من عصر إلى عصر، ويحول «الآن» و «الماضي» و «الماضي السحيق» إلى «حاضر» أعيشه في هذه اللحظة. ليس هناك قارئ يتبع كاتباً عبر كل ما كتب، إلا فيما ندر؛ كما أن الفرصة لا تتاح أمام كل مترجم كي يقتحم عالم أدب وينقل أعماله كلها إلى لغة أخرى، كتاباً بعد الآخر. إنني أعيش مع نجيب محفوظ: هذا ما أستطيع قوله بعد كل هذه السنين، وبعد اثني عشرة رواية مترجمة وقصص عديدة لا تحصى.

ذات أربعاء في شهر أغسطس/آب. إخناتون يتغنى بأحد أناشيده. على صدر برلين تجثم حرارة خائفة. الصحافة الصفراء تكتب بعناوين كبيرة: "برلين أشد حرارة من القاهرة". المنزل يهتز، فأعمال الحفر والبناء التي غزت برلين كلها وصلت إلى شارعنا أيضاً. الضجيج لا يحتمل. أحاول ترجمة بيت من النشيد:

نضئ الأرض بنورك
فنتجلي عنها الظلمات

لا بد أن أحرص احتراساً شديداً. لا بد أن تبعد لغة النشيد، وكذلك اللغات والبركات وكافة الصور البلاغية، ابتعاداً واضحاً عن لغة الكتاب المقدس، فنحن مازلنا في عام ١٣٥٠ قبل ميلاد المسيح. إذاً عليّ الحذر من كلمات مثل: «المحيم» و «الني»، أو من نداءات مثل: «إلهي»، التي كان يستخدمها يسوع المسيح.

ليس دائماً، ولكن في معظم الأحيان، يحصر محفوظ اختياره للمكان في أعماله على جزء صغير من مدينة القاهرة الواسعة الأرجاء. وهو اختيار أراه صائباً وذكياً، لأن ما يحدث في العالم الكبير يتغلغل في وقت ما إلى المدن الكبرى والصغرى، بل إلى كل قرية وكل حي سكني. لا شيء يظل معزول عن التغيرات، ولا إنسان يقي بآمن منها.

لعل منكم من شاهد فيلم «دخان Smoke». إحدى شخصيات الفيلم الرئيسية تعمل بائع دخان. طوال سنوات يقوم كل صباح، في تمام الساعة، بالتقاط الصور الفوتوغرافية للجانب المقابل من الشارع. ذات يوم يقلب صديقه، الكاتب، في تلك الصور وقد استولى عليه السأم. «الصور هي هي، لا تتغير»، يقول مستاءً. فيجيبه البائع: «عليك أن تمنع النظر. الناس مختلفون، أو يبدو على هيئة مختلفة، ولكل منهم حكاية».

إن محفوظ يجلب «الخارج» إلى داخل رواياته، وبهذا يخاطب شعور ملايين الناس الذين لا يشاركون في الأحداث إلا بطريقة غير مباشرة، إلا أن لكل منهم تاريخه وحكاية. لقد اقترب محفوظ منهم وتناول حياتهم بأشكال لا تحصى، وهو في ذلك يبوح بالكثير عن نفسه وحياته هو كما يفعل كل أديب مجيد.

كلما قرأت وترجمت أعمال محفوظ، ترسخ لدي الانطباع بأنه من ناحية مصري حتى النخاع، ومن ناحية أخرى ليس مصرياً على الإطلاق. نعم، إن أسماء شخصوه تبدو غريبة على الأذن غير العربية، لكن الناس الذين يحكي محفوظ حكاياتهم موجودون في كل مكان. إن الأشواق والشكوك والأسئلة التي تترق كمال عبد الجواد في الثلاثية، وتزلزل كيانه، هي نفسها التي ترمي بالناس في برلين إلى هوة اليأس. في «السكرية» يقول لمحبيب محفوظ على لسان إحدى شخصياته إن الفن هو ما يمنح الكيان الإنساني إمكانية للتعبير. ومن مقومات الكيان الإنساني التي يتناولها محفوظ في أعماله: الظلم إلى المعرفة، والبحث عن الحقيقة، والتحرق إلى الشعور بالأمان، والتوتر الناجم عن الرغبة في الحياة والخوف منها.

من الجدير بالإعجاب أن نكتشف لدى محفوظ كيف أنه - في بطنه المستمر عن معنى الحياة - يسير ببراعة متوازناً فوق حبل يورججه بين الهجة والكآبة. إن من يدع شخصية تعب من المذلات عباً، مثل السيد عبد الجواد في الثلاثية، لابد أن يكون كاتباً عاشقاً للحياة. إلا أننا نصادف في أعماله أيضاً الشكوك التي ترتاب المرء أثناء الحياة، وما يصيبه من تعب وإنهاك وسأم. هذا الخط هو ما يربط أعمال محفوظ جميعها. في الجزء الثاني من الثلاثية «قصر الشوق»، وقبل أن يتم كمال عبد الجواد التاسعة

عشرة، تلج عليه الهواجس المُبدية عن الصيرورة والمآضي: "وفكر فيما قبل الولادة، بل فيما قبل الحبل، في المجهول الذي تبتثق منه الحياة... عرف له بداية قريبة دعها بالنطفة، فهو لم يكن قبل تسعة عشر عاماً وتسعة أشهر إلا نطفة، نطفة قذفت بها رغبة برئية في اللذة، أو حاجة ملحة إلى العزاء، أو صولة هياج بعثها سكرة غاب فيها الرشاد، أو حتى مجرد إحساس بالواجب نحو الزوجة القابعة في البيت، فابن أي حال من تلك الأحوال كان؟... ومن النطفة مرق حيوان فالتقى ببويضة في البوق وثقبها، ثم انزلنا إلى الرحم معاً، فتحولنا إلى علقة، فكسبت العلقة لحماً وعظماً، ثم خرجت إلى النور والالأم بين يديها يسير، ثم بكت قبل أن تستبين معالمها، ومضت الغرائز المودعة بها تنمو وتتلور، مستجدة على مر الأيام عقائد وآراء حتى اتخمت، وعشقت عشقاً زعمت لنفسها به نوعاً من الألوهية، ثم زلزلت فتهاوت عقائدها، وانقلبت أفكارها، وخاب قلبها، فردت إلى مكانة أذل من التي جاءت منها أول مرة!"

عندما كتب محفوظ هذه السطور كان في السادسة والأربعين من عمره، أي أنه كان في طور الشباب. وبعد حوالي ثلاثين عاماً كتب قصة بعنوان «السيد س» في مجموعة «التنظيم السري» (١٩٨٤)، وفيها تحدث عن رجل يحاول عبثاً أن يوقف داخله ذكرى الحياة المترعة التي سبقت ميلاده. بعد الرحم الذي لجأ إليه، جاء ما أطلق عليه الراوي خيانةً وسلسلةً من الإغراءات الخدعة - أي الحياة. إذ، الأمل الوحيد المتبقي هو الموت. وبالفعل يهرب بطل القصة من بدنه، متطلعاً إلى الحقيقة الحرة الطليقة. وبعد مرور عشر سنوات يتحدث الكاتب في «أصداء السيرة الذاتية» (١٩٩٤) بلا مواربة عن الخوف من الانطلاق نحو عالم آخر، عن المجهول الذي يكتنف تلك الرحلة المسماة بالحياة.

سحابة رقيقة من الكآبة، أو على الأقل من الأسى الشفيف، تظلل جل أعمال محفوظ. ليس محفوظ بالحارب العنيد الذي يعرف تماماً ما هو عدل وما هو ظلم. محفوظ لم يتحكر الحقيقة يوماً، ولم يكن أبداً من أنصار التنوير الدوغمائي، كما أنه لا يرسم صوره بالأبيض والأسود. إنه يمتلك - ولله الحمد - قدراً محترماً من السخرية تجاه الذات، وقدراً من المرح، بل ومن التهكم. يستمتع المترجم، ولاشك، بترجمة عمل مثل «حضرة المحترم»؛ يستمتع وهو يحاول إيجاد مقابل للسخرية اللاذعة أو الخفيفة التي يرسم بها محفوظ شخصية عثمان بيومي. لكن تهكم محفوظ لا يتجاوز الحدود أبداً، ولا يتسم إطلاقاً بالخبث، ولهذا لا تتحول شخصوه في رواية ما إلى كاريكاتير. كم من مرة ابتسمت، واستمتعت - بلذة



غيب محفوظ

سارق - وأنا أعيد كتابة هذا الهـوس البيروقراطي الذي تحكم في «بطل» الرواية أثناء سنوات خدمته. ولكنني كنت أنفهم دوماً طموح هذا الرجل وسعيه إلى ارتقاء السلم الوظيفي. ليس هذا فحسب، بل إنني كنت أتعاطف مع هذه الشخصية المحزنة. كلا، ليس من عادة نجيب محفوظ أبداً أن يسخر من شخصه. إن تعاطفه مع الآخرين وتسامحه لا يسمحان له أن يجرح إنساناً. محفوظ لا يدعي لنفسه العصمة من الخطأ، كما أنه يتمتع بنصيب كبير من السخرية تجاه الذات: هذا ما يجعلني أحب الحياة مع نجيب محفوظ.

نال نجيب محفوظ جائزة نوبل للآداب، واجهتني بعض المتاعب. آنذاك كانت ألمانيا الديمقراطية لا تزال على قيد الحياة، وكان من المحظور علينا، نحن الألمان الشرقيين، أن نعطي وسائل الإعلام الألمانية الغربية أية أحاديث صحفية، ناهيك أن يتجرأ أحد ويفعل ذلك بدون تصريح. ومع ذلك فقد فعلت المحظور، انطلاقاً من فرحتي العامة لحصول محفوظ على هذه الجائزة، واحتجاجاً على هذه الوصاية الفكرية المهينة. وواجهتني متاعب كبيرة. ولكي أجنبها، أددعت المرض لأربعة أسابيع.

على أية حال، لقد انقضى الأمر. والآن أعيش في عصر آخر، عصر إختاتون. إنني مستمتعة بالعيش في تلك الفترة. وعندما اجتازها، فإني أترقب بشغف إلى حياتي الجديدة التي سأبدأها مع نجيب محفوظ.

ترجمة: سمير جريس

هناك سبب آخر أود أن أضيفه. خلال السنوات العديدة التي قضيتها مع أعماله علمني محفوظ تدريجياً ألا أخشى استخدام الكلمات الخطأية الكبيرة. لكل مترجم تكوينه وطبعه اللغوي، وأنا أنزع إلى السهوين والتقليل، لا إلى التضخيم والمبالغة. لذلك كانت ترجمة الجزء الثاني من الثلاثية، "قصر الشوق"، اختباراً طويلاً ومضنياً لي. وكان طريفاً أن ألاحظ كيف أثارت غضبي الفقرات التأملية الطويلة التي لا تنتهي، ثم كيف وجدت نفسي استمتع بترجمتها. لقد أجبرني محفوظ على أن أطلق العنان لقلبي، وأن أتمسك إلى قلبه وعقل كمال عبد الجواد وعقله. وفي لحظة ما يندهش المرء لكل هذه الأشياء التي يخزنها في أعماق لاوعيه. بل إن المرء ليشعر بالسعادة لأنه يغدو لوقت ما إنساناً آخر.

لكن الحياة مع محفوظ تثير في بعض الأحيان المتاعب أيضاً. لا أريد التحدث عن الاجتهاد الواجب التحلي به، ولا عن الحصة اللازم ترجمتها يومياً، ما يتعارض في بعض الأحيان مع حياتي العائلية. أود أن أحكي في الختام واقعة أنظر إليها اليوم باعتبارها نادرة من النادر. عندما

تجربة وكالة «ألف» للترجمة

عائق لدى الناشرين حيال اللغة الفرنسية، ولكن الحال ليس كذلك بالنسبة للغة العربية. فضلاً عن الحاجز اللغوي توجد، حسب رأيي، مشكلة تواصل هيكيلية بين الناشرين العرب والناشرين الألمان. والسبب يعود إلى اختلافات تركييبية أساسية على الصعيد القانوني، فيما يتعلق بتخصيص حقوق الترجمة على كلا الجانبين.

في المعتاد لا تكون حقوق الترجمة في البلاد الناطقة بالألمانية لدى المؤلفين ولكن لدى دور النشر. ودور النشر لديها اهتمام تجاري بأن تنشط في بيع حقوق الترجمة وبالتالي عرضها على دور نشر أخرى لشرائها. أما منظومة دور النشر فوضعتها مغاير. فبغض النظر عن بعض الاستثناءات القليلة فإن حقوق الترجمة في الدول العربية ليست لدى دور النشر بل لدى المؤلفين ما يعني أنّ دور النشر غير مخولة ببيع حقوق الترجمة وليس لديها الاهتمام التجاري بذلك. ولهذا السبب فإن الناشرين العرب، على النقيض من زملائهم الأوروبيين لا يقدمون أنفسهم كممثلين لكتابهم، ولا يكادون يعملون من أجلهم. وقد لاحظت أن الناشرين العرب إنما يظهرون في معارض الكتب مثل معرض فرانكفورت للكتاب كمشتريين فقط لا كبايعين.

إن أغلب الترجمات الألمانية للكتب العربية لا تتم من خلال عقود بين ناشر عربي وآخر ألماني، إنما من خلال عقود بين مؤلف عربي وناشر ألماني. وهنا يفرض السؤال نفسه كيف وبناء على أي مبادرة تتم هذه التعاقدات إذ أن المؤلفين في المعتاد ليسوا رجالاً يقومون بتقديم منتجاتهم لأكبر قدر ممكن من المشتريين. إن الجزء الأكبر من الترجمات، التي ظهرت، كانت بناء على مبادرة من الجانب الألماني. وعملية الاتصال تمر في أغلب الأحيان من طريق عدد قليل من الأشخاص المهتمين بالأدب العربي أو ممن يتشغلون به مهنيّاً.

إن أكثر من يقوم بدور الوساطة بين المؤلفين العرب ودور النشر في البلدان الناطقة بالألمانية هم المترجمون، وإليهم يعود الفضل في دفع نشاط الترجمة إلى الأمام، كونهم يقومون في رحلة بحث أدبية لما يمكن أن يثير اهتمام دور النشر الألمانية من المؤلفات العربية، فضلاً عن أنهم هم من يوفرون الاتصال بين المؤلف والناشر في أغلب الأحيان. لكن هذا النشاط يبقى محدوداً لأنه نشاط فردي وعشوائي أيضاً.

وبناء على خبرتي كمترجمة وإداركي لهذا العوائق التي ذكرتها نشأت لدي فكرة تأسيس «وكالة ألف» كحلقة وصل بين

الحقيقة المؤسسة التي ينبغي أن يشار إليها هنا هي أن حضور الأدب العربي في البلدان الناطقة بالألمانية (ألمانيا، النمسا، سويسرا) مازال ضعيفاً جداً. هذا الأمر توضحه الحقائق المؤلة التي صدرت عن مؤسسة تشجيع أدب أفريقيا وآسيا اللاتينية التابعة لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب. ففي أواخر عام ٢٠٠٣ بلغ عدد المؤلفات الأدبية الصادرة لكتاب عرب باللغة الألمانية ٤٧٦ كتاباً، أي أقل من ٥٠ في المئة من مجموع الكتب المتوفرة في سوق الكتاب في الدول الناطقة بالألمانية. وما يجدر ذكره على هذا الصعيد هو أن أغلب هذه الكتب ليست مترجمة عن العربية ولكن عن الفرنسية أو الانكليزية لكتاب عرب يكتبون بهاتين اللغتين. وجزء آخر من تلك الكتب منشور أصلاً باللغة الألمانية لكتاب من أصل عربي يقيمون في ألمانيا ويكتبون بالألمانية. وهكذا تبقى الكتب المترجمة عن العربية ١٧٠ كتاباً فقط. غير أن هذا العدد لا يشمل الطباعات الأولى فقط، بل يتضمن طبعات أعيد إصدارها لاحقاً وكذلك طبعات كتب الجيب. وبالتالي يتراوح مجموع الكتب المترجمة عن العربية إلى الألمانية بين عشرة إلى أربعة عشر كتاباً في السنة. وبناء على البيانات الموضحة تجد أن دور النشر التي تقوم بنشر ترجمات عن اللغة العربية قليلة جداً. فهناك علي وجه التحديد أربع دور متخصصة بالأدب العربي بذلت جهداً مشكوراً منذ الثمانينات وقدمت إسهاماً جوهرياً في هذا الصدد من بينها اثنتان ظلتا مستمرتين بالعمل لغاية اليوم.

ولا يرجع هذا الصعيد المتواضع للأدب العربي في سوق الكتاب الألماني إلى قلة الاهتمام بالأدب العربي نفسه بل لأسباب أخرى عديدة. فخلال زيارتي إلى معارض الكتب وعبر مناقشاتي مع الناشرين تبين لي أن هناك دور نشر كبيرة تبدي رغبة في نشر الأدب العربي المعاصر ولكن اللغة تشكل عائقاً رئيسياً. فعدم برمجة الأدب العربي في هذه الدور يرجع في جزء كبير منه إلى كون الموظفين، في الأغلب، لا يتقنون العربية مما يحد من اطلاعهم على الوضع الأدبي في العالم العربي وإمكانية اختيار الكتب المناسبة. وسبب واضح أكثر أن الحاجز اللغوي يشكل مشكلة جذرية إذا قارنا نشر وتوزيع الأدب العربي المكتوب بالفرنسية وترجمته إلى الألمانية مقارنة مع الأدب المكتوب باللغة العربية وترجمته للغة نفسها. فإن الأول يتفوق بحجم دور النشر وأهميتها وعدد النسخ المطبوعة وكمية التوزيع، وهذا عائد، بتصوري، لسبب لغوي. فلا

هذه الترجمة. ويتحدد مبلغ الدعم من قبل لجنة مستقلة تجمع ثلاث مرات في السنة.

الرسيد الذي عرضته عن وضع الأدب العربي في البلدان الناطقة بالألمانية مؤسف، خصوصاً، وأتينا نعيش في عصر العولمة وتداول الإنتاج المادي والثقافي على نطاق لم يعرفه العالم من قبل. وتقرض هذه العولمة وانتشاح المجتمعات والثقافات على بعضها البعض تواصلاً في الكتابات والأفكار بين العالم العربي والغرب، خصوصاً، في ظل تردي

المؤلفين العرب والنشأين الألمان للخروج من مأزق العزلة وتخطي الحواجز اللغوية والقانونية. وإذا كانت «وكالة ألف» تلعب دور الوسيط الذي يقوم به المترجم الفرد إلا أن نشاطها يختلف من حيث التكريس والمنهج، إذ أنها ليست نشاطاً فردياً، متقطعاً بل هي مؤسسة جديدة من نوعها تهدف إلى توسيع وتنسيق نشاطات الترجمة القائمة حتى الآن على المبادرات الفردية والمحصورة في الأغلب في دور نشر متواضعة الحجم. تقدم الوكالة أعمالاً أدبية مميزة لعدد كبير من دور النشر الألمانية من خلال ملفات تتضمن عرضاً للعمل الأدبي بالإضافة إلى معلومات خاصة بالمؤلف وفصل مترجم عن العمل المعني بهدف الوصول إلي جمهور أوسع من قراء اللغة الألمانية، فضلاً عن عزمها على إحداث تغيير نوعي في التعامل مع الأدب العربي الذي لم يتمكن حتى الآن أن يخرج من الخانة الشرفية التي حشر فيها وتوفير مكان له في رفوف الأدب العالمي.

وأخيراً أود أن أشير إلى صعوبة أساسية يواجهها الناشر الألمان حيال نشر الأدب العربي. فنظراً إلى أن الطلب على قراءة الأدب العربي ما زال محدوداً ونخبوياً في البلدان الناطقة بالألمانية فإن نشر مثل هذه الكتب يعني عادة مخاطرة مادية بالنسبة للناشر. لذلك هو لا يقدم على هذه المخاطرة إلا إذا حصل على دعم مادي بدرجة كبيرة. هذا الدعم تقدمه مؤسسة تشجيع آداب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية التي سبق ذكرها، فهي تساهم في تمويل الترجمات من خلال المؤسسة الثقافية السويسرية «بروهلفيتسيا» ووزارة الخارجية الألمانية. وتهدف هذه المؤسسة المرتبطة بمعرض فرانكفورت للكتاب إلى تشجيع الناشرين على ترجمة ونشر أعمال الكتاب غير المعروفين نسبياً من هذه القارات الثلاث. والمعايير الحاسمة لهذا الدعم هي خامة وجود العمل وتقدير إمكانية بيعه بشكل جيد، فقد دعمت المؤسسة منذ تأسيسها عام ١٩٨٤ ترجمة ٩٧ كتاباً لمؤلفين عرب بما فيهم ٦٠ كتاباً من اللغة العربية.

أما بالنسبة للترجمة في الاتجاه المعاكس، أي من الألمانية إلى اللغات الأخرى، ومنها العربية، فيدير معهد غوته، بوصفه أهم مؤسسة ثقافية ألمانية تعمل في الخارج، مشروعاً لتشجيع الناشرين في جميع أنحاء العالم على ترجمة أعمال عن الألمانية وتقديمها لقراء اللغات الأخرى.

ساهم المشروع خلال ثلاثين عاماً منذ تأسيسه في نشر أربعة آلاف كتاب إلى ٤٥ لغة مختلفة. ويزترك الدعم على ترجمة كتب علمية تعالج مواضيع سياسية واجتماعية واقتصادية وتاريخية وتحليلات للتطورات الراهنة على الصعيد العالمي والأوروبي ولا سيما الألماني. علاوة على ذلك فالمؤسسة تساهم في ترجمة أعمال أدبية كلاسيكية ومعاصرة بالإضافة إلى أدب الأطفال. وبإمكان كل ناشر مهتم بالأمر، بعد الحصول على ترخيص حقوق الترجمة، أن يقدم طلباً لدعم



ليلى شماع، مترجمة

الأوضاع السياسية العالمية الراهنة. هكذا يصبح الحوار والتبادل الثقافي أمراً أكثر أهمية من ذي قبل.

وللترجمة في عملية التبادل الثقافي دور مركزي بحيث أنها تقيم جسوراً لغوية وتردم فجوات وتقرب بين عوالم يقال إن كل طرف فيها غريب عن الآخر. وقد تبقى العوالم تجهل بعضها بعضاً من دون الوسيط اللغوي. وبما لا شك فيه أن ترجمة النصوص الأدبية تسهم في عملية التواصل الثقافي وتخلق نوعاً من التأثير والتأثير في الإنتاج الثقافي نفسه. فالأدب، كما نعرف، من أكثر الوسائل قدرة على التغلغل في الذات الإنسانية وتصوير حياة البشر في مواقفهم اليومية وفي تناقضاتهم الاجتماعية والعاطفية وفي مخاوفهم وحاجاتهم. هكذا يرسم الأدب صوراً متعددة النواحي والأبعاد للحقيقة ويقدم للقارئ نظرة عن التنوع الثقافي والإنساني تشع بروح الاستطلاع والاهتمام.

ومن أجل إقامة التعاون مع الناشرين في المنطقة الناطقة بالألمانية وبالتالي تدعم نشاط الترجمة من العربية فإنه من الضروري والخمسي أن يقوم الجانب العربي بتمثيل أدبه والتعريف به خارجياً بشكل أكثر نشاطاً.

ليلى شماع مترجمة وصاحبة وكالة «ألف»

النص مأخوذ من محاضرة أليث في معرض الكتاب في بيروت عام ٢٠٠٣.

الجمل الطائر

عشرون عاماً على تأسيس «دار الجمل»

استمر عمل الدار على هذه الوتيرة، وتيرة النشر المتباعد لبعض الكتب أو بالأحرى لبعض الكتيبات، لكن هذه الوتيرة تسارعت ابتداءً من العام ١٩٨٦ واتخذت ذروتها في العامين ١٩٩١/٩٠، حينما تعالي ضجيج الحرب، ذلك أن لسان حالي يقول إن خير رد على هذا الهوس هو التعبير الثقافي. في عام ١٩٩٠، وقبل حرب الخليج الثانية، أصدرت بالتعاون مع بعض المثقفين العراقيين مجلة (فراديس) والتي استمر صدورها السنوي حتى عام ١٩٩٣ وقد أثارت المجلة الكثير من الضجيج والعجيج، وقد توقفت المجلة عن الصدور نتيجة للتشرد في الجسم الثقافي العراقي في الخارج! لقد حظيت المجلة بالنسج في جميع البلدان العربية ومنعت حتى الأعداد التي سوف تصدر منها. كانت جميع الكتب حتى نهاية عام ١٩٩٤ تُطبع في ألمانيا وتتراوح الطبوعات بين ٢٠٠ نسخة و ١٠٠٠ نسخة في حالات نادرة! ولم يكن للدار أي هدف تجاري، ذلك أن الكتب كانت تباع (هذا إذا حدث وبيعت) بأسعار الكلفة، كما أن أغلبها كان يُرسل إلى قراء مفترضين في أنحاء العالم أجمع. كنت أحلم في أن يُقرأ الكتاب الذي أحب أنا نفسي قراءته. كنت أريد أن أراه مطبوعاً. وهذا كان ديدني منذ البداية وحتى اليوم. لا وجود لأي توزيع طبيعي إنما كانت إرساليات إلى بعض المكتبات العربية في أوروبا، ومحاولات تواصل مع بعض المكتبات العربية التي لم يسد أغلبيها الفواتير. مكتبة النورس في البحرين، وهي أول مكتبة عربية طلبت كتبنا وتعاملت معنا بشكل طبيعي. هذه المكتبة كانت مكاننا الأول في العالم العربي ومنه دخلت كتبنا إلى السعودية. قلعة الرقابة الحصينة آنذاك. في عام ١٩٩٤ وصلت إلى نقطة أساسية، إذ دُعيت للمشاركة في معرض الشارقة الدولي للكتاب، وهذه أول مرة تشارك فيها الدار في معرض عربي للكتاب. كانت أغلب العناوين متنوعة والأغرب، أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال بيع الكتب بذات الأسعار التي هي أصلاً غير تجارية لهذا كان عليّ أولاً إيجاد مكان مناسب للطباعة، أيضاً على الدار أن تكون عملية أكثر من ناحية الكمية المطبوعة أي عليها اتخاذ المستوى العربي، خصوصاً من ناحية الأعداد المطبوعة وأسعار البيع. وهنا بدأت النقلة

علاقتي بالنشر لم تكن حتى عام ١٩٨٣ تتعدى نشري لمحاولاتي الشعرية والنثرية الأولى، وكتيباً شعرياً ضم بعض محاولاتي نشرته قبل ٥ أعوام على حسابي الخاص، قبل تركي للعراق بشكل نهائي عام ١٩٧٩. هنا، في أوروبا، في فرنسا حيث أمضيت عامين تقريباً مشرداً وجائعاً في أغلب الأوقات، وفي ألمانيا وإن كانت الإقامة بمواصفات أفضل حيث سمح لي بأن أعيش في الملجأ وبأن أحصل على المساعدة الاجتماعية، وبهذا كان بإمكانني القراءة والكتابة، قراءة كل شيء يقع في اليد، وبمساعدة القاموس. فكتت أكثس علب السردين والبطاطا من محلات «الألدي» وأمارس طقوس الحياة، طقوس التماس مع العالم الخارجي، القراءة والكتابة في الليل والنهار واستجداء عطف العالم الخارجي إن سمحت لنا بالأوضاع وجلسنا في مقهى أو قاعدتنا الصدفه وسُبح لنا بالثرثرة مع هذه أو هذا. هنا أيضاً لم تكن علاقتي بالنشر تتعدى مواصلة نشر محاولاتي في الجرائد والمجلات الأدبية العربية.

كان عليّ أن أُعبر عن نفسي، كان عليّ أن أتواصل مع الآخر. لديّ أفكار نظرية كثيرة وإطلاعي على تجارب كتاب آخرين أقاموا في أوروبا كانت تمنحني زخماً قوياً لكي أعود ولكي أتكلّم بثقة. لكن الذي لا أعرفه عن ألمانيا هو أنها بلد آخر، غير فرنسا؛ حتى أنها تختلف عن ألمانيا الشرقية. كم شعرت ببرودة الألماني هنا وقسوته. وكنت كنت وحيداً وبحاجة إلى الدفء. لا مفرّ أمامي غير التواصل الإجباري والحلم المستمر بفرنسا، باللغة الفرنسية، بالأغاني الفرنسية التي أضحت وكأنها لغتي العربية الأم وأغانيها.

أحلامي بالنشر قُبِرت مع احتلال إسرائيل لبيروت عام ١٩٨٢، هنا في نهاية ذلك الصيف من عام ١٩٨٣ صدر الكتاب الأول الذي حمل اسم (منشورات الجمل) وقد طُبِع بشكل بسيط ونفّذت بواسطة الآلة الكاتبة، هذه الآلة التي ستكون لسنوات طويلة هي الأساس في هذه الدار الغربية والتي كان رأس مالها أوهايم شخص واحد يعيش بمفرده بفضل (المساعدة الاجتماعية) التي تمنحها البلدية للعاطلين عن العمل. لكنه كان مثلاً كان دائماً: يأمل.



Stefan Weidner / تصوير: خالد الخالدي

مثل: غوتفريد بن، باول تسيلان، غونتر غراس، ريلكه، روبرت موزيل، كريست فولف، يورغن هابرماس، أولريش بك الخ وآخرين من فرنسا مثل: شارل بودلير، جليسير سينويه، سيوران، اندريه بروتون، ومن إيران: صادق هدايت ومن تركيا: أورهان باموك، نديم غورسميل ومن روسيا: أوسيب مندلشتام، ومن الصين، كما اهتمت الدار بشكل خاص باليهود العراقيين ونشرت ترجمات لكتبهم باعتبارهم جزءاً من الذاكرة العراقية القريبة، كما أنها اهتمت بكتب الطليعة المصرية بالفرنسية: جورج حنين، جويس منصور، منصور فهمي. وللدار أيضاً مجلسها: عيون، وقد صدرت عام ١٩٩٥ وقد دخلت للمجلة الآن عامها الثامن وهي تترجم بشكل معقول في المغرب ومصر والبحرين والامارات العربية المتحدة.

كان مبدأ الدار في نشر الكتب، يتلخص في نشر الكتب التي نراها جديرة بالنشر ونحب نحن أنفسنا قراءتها، لم أفكر بقضية الربح أو إمكانية التوزيع، فهي رغم أهميتها بقيت إلى سنوات متأخرة قضية ثانية، ذلك أن الشيء الذي ظل يزعجنا هو نشر الكتاب الذي لا نحب، حتى لو حظي الكتاب بالرواج. ليس خافياً على أحد مصدر هذا الشعور، فهو يعود إلى هانس ماغنوس آنتسنبرغر ومكتبته البديلة.

لقد فهمت بأنه على الناشر اللغامة وعليه أن يمارسها حقاً، فالقارئ مادة خسام وعلى الناشر الوصول إليه إذا سحت له

النوعية؛ أي الطبع والتوزيع والانتشار في العالم العربي عبر بيروت. فإذا كانت التجربة السابقة لهذا العام هي تجربة التكوين والنضج بعيداً عن كايوس السوق والأوهام التجارية، فإن السنوات التالية شكلت امتحاناً عصياً للدار أمام الناشرين الآخرين، أمام إدارة الرقابة والموزعين؛ وأيضاً وهذا ما لم آخذ به بنظر الاعتبار فيما سبق، الناحية التجارية. لقد نشرت الدار أكثر من ١٨٠ عنواناً منذ عام ١٩٩٥ في طبعات عادية وبمستوى النشر في العالم العربي، وشاركت في أغلب معارض الكتب العربية بشكل مباشر أو عن طريق وكيل، كما شاركت في معارض فرانكفورت، باريس، طهران. ورغم هذا التوسع، فإنها بقيت بذات الموصفات، والتعبير الوحيد الذي طرأ عليها هو دخول أول شريك مثلاً بمعنى نجار قبل عدة سنوات، والتي أضافت إلى الدار ميزة إضافية، خصوصاً سلسلة الدراسات الإسلامية التي بدأت بمؤلف منصور فهمي: أحوال المرأة في الإسلام، وهي تتواصل الآن مع كتاب أساسي للبرفيسور الألماني جوزيف فان أس: علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة والتكوين من ستة أجزاء، وهانيس هالم، وأنا ماري شيميل والويس موزيل. وفيما عدا هذا بقيت أعمال الدار تنجز بذات الطريقة.

لقد اتخذت الدار لنفسها شخصية كما يقال، من خلال تجربة المشاركة في المعارض العربية، وقد بدأت سلسلة الأدب الألماني التي واصلتها مع نشرنا لمؤلفات لكتاب ألمان

السبل لذلك، كما أن الكاتب الجيد غير المعروف بالمرّة، لا يعني أنه كاتب رديء ويجب التعامل معه بذات المقياس، وإلا فما هي مهمة الناشر؟ ما هي متعة الناشر بالأساس؟ أين هو عامل الاكتشاف الذي قرأنا عنه كثيراً؟ أليس هو الذي يقودنا إلى هذا الكاتب أو تلك الكاتبة التي تنوّهج بالمعرفة.

أثناء مطالعتي لمذكرات الشاعر التشيلي بابلو نيرودا، وقعت على حادثة - أرجو أن لا تكون الذاكرة قد أفقدتني تفاصيلها - تدور حول إصداره لمجلة أدبية أثناء إقامته في مدريد قبل الحرب الأهلية الإسبانية، باسم (الحصان الأخضر) وقد صدر منها كما اعتقد عدد واحد فقط، هذه الحادثة/الخبر قادني إلى أن أسمّي الدار التي قمت بتأسيسها بذلك الحيوان الذي دعاه العرب بسفينة الصحراء أو بابي أيوب. فقد عشت طفولتي، سنوات تكويني الأولى في ظلاله، على ظهره، من حليبه ولحمه وتدفئت بوبره، هذا الحيوان الذي قادنا في الصحراء، إكراماً له، ها نحن ندعه يقفونا في صحراء البشر، حيث الواحات الأخرى، تلك الكتب الرائعة التي تنفجر بها اللغات، عليه أن يقودنا في جبال الجليد، في الوديان العارية، بين أنهر الأوهام التي ييسر وضاعت ممراتها ولم تبق إلا الذكريات التي تلوح من بعيد لهذا الشاعر المتحرر أو ذاك الذي يعيش في هذا البلد بين الجبال أو ذاك الخالم بها.

من غرائب العالم العربي الكثيرة هي الرقابة. هناك بعض البلدان التي تكون فيها الرقابة واضحة، فهي تطلب عينات من الإصدارات الجديدة وبعد فترة يعرف الناشر بأن هذا الكتاب ممنوع أو مسموح. وبعضها تُطلب صحافته بأن لا رقابة عنده وهذا هو الأكثر دجلاً. وأفضل مثال عليه هو معرض القاهرة الدولي للكتاب حيث تمارس منذ سنوات رقابة شديدة وكأنها لصالح التنظيمات المتطرفة وضحيّتها دور النشر الجيدة والعلمانية. لكن الرقابة في السعودية تمنع الكتب التي تتناول الذات الإلهية (كتب التصوف على الخصوص) والأخرى التي تتناول الذات الملكية (والتي تدور حول حياة العائلة المالكة)، ولكن أهم مؤلفات الكتاب السعوديين المهيمن متنوعة ابتداءً من مؤلفات السعودي الشهير عبد الله القصيمي، مروراً بالروائي عبد الرحمن منيف، إلى سفير السعودية السابق بلندن ووزير المياه حالياً عبد الله القصيمي الذي لا ينقطع عن نشر الروايات العادية والأشعار والتعليقات حول مواضيع شتى، إلى الكاتب السياسي والروائي تركي الحمد القادم من مدينة بريدة،

المدينة الأكثر محافظة في السعودية، الكاتب المُكفّر والذي ترجمت بعض رواياته إلى الانكليزية وحتى الروائي عبده خال الذي منعت روايته الأخيرة (نباح) فوراً! في تونس تمنع تقريباً في الوقت الحالي أغلب الكتب التي تتناول قضية حقوق الانسان، في البحرين فقط الكتب التي تدعو إلى الفتنة الطائفية والعنصرية وكذلك في عُمان وفي الامارات العربية المتحدة. لكن أسوأ رقابة في العالم العربي بعد رقابة صدام حسين المفسورة هي الرقابة في الكويت، فأعداد الكتب التي مُنعت لديّ مثلاً تتجاوز هذا العام الستين عنواناً حتى قصائد غوتفريد بن، ريكله، انغبورغ باخمان، أغلب الكتب الكلاسيكية العربية المنشورة عندي، كل شيء يخص المرأة، بل أن حملة قام بها مجموعة من النواب الاسلاميين المتزمتين دفعت وزير الإعلام الكويتي إلى منعي بشكل فجائي من المشاركة في معرض الكويت الدولي للكتاب قبل أيام قليلة من افتتاحه.

وهناك الرقابة الشعبية، التي يمارسها أي زائر للمعرض، إذ يحدث كثيراً أن أسمع الشتام لأني نشرت هذا الكتاب أو ذاك أو لأني ترجمت شخصياً هذه القصيدة أو تلك، بسبب باول تسيلان كان عليّ أن أسمع قائمة طويلة من الاتهامات؛ أيضاً بسبب نشرتي لأعمال المتصوّف الاسلامي الحسين بن منصور الخلاج الذي صلب وأحرق ببغداد عام ٩٢٢ أو أعمال الكاتب السعودي الحر عبد الله القصيمي، أو المغربي محمد شكري أو كتاب الشاعر العراقي الفريد من نوعه معروف الرصافي حول السيرة النبوية.

يكتب أحد الكتاب العرب القدامى، واصفاً جماعة من أصحاب القلائس والمجالس وهم يشحنون صدور العامة بترّهات الأباطيل ويقصّون على الناس غرائب العجائب ثم يقول في وصفهم: إن الحديث إليهم عن جمل طار، أشهى من الحديث عن جمل سار!

هذا هو وضع القراءة والكتابة والنشر اليوم في العالم العربي، حيث لا يتجاوز الطبع في الحالات العادية الألفين أو الثلاث ألف نسخة. وفي حالي ككاتب وكناشر وجدت بيتين من الشعر قالهما شاعر عربي قديم هو أبو الحسين الجزار يصف فيهما حاله وحالة مهنة العديدة وبهما اختتم الكلام:

كيف لا أشكرُ القضاة ما عشتُ حياتي وأهجرُ الأدبا
وبها صارت الكلاب ترجيبي والشعر كنتُ أرجو الكلاب!

الترجمة فعلٌ صوفي

«فكر وفن» محاور د. عبد الغفار مكاوي عن تجربته في الترجمة

الدكتور عبد الغفار مكاوي من الوجوه الثقافية البارزة في العالم العربي. مارس التدريس في الجامعات المصرية والكويتية لعقود، كما قام بترجمة أعمال أدبية هامة إلى اللغة العربية، بالإضافة إلى كتاباته الأدبية في المسرح والقصة القصيرة. وبمناسبة صدور هذا العدد عن الترجمة قامت «فكر وفن» بزيارة مكاوي في منزله بالقاهرة وأجرت معه الحوار التالي:

كبير، بل حدث في التأليف المسرحي. فسرعان ما وجدت أنّ كثيرين من الكتاب المسرحيين، كمحمود دياب وسعد وهبة وألفريد فرج وغيرهم، تأثروا بأسلوب بريشت في المسرح الملحمي. وكان هذا مفاجئاً لي لأنّ «الاستثناء والقاعدة» ليست من أهم مسرحيات بريشت في مرحلة نضجه، وهي مسرحية تعليمية ومتواضعة. استمر التأثير ببريشت عند عدد كبير من كتاب المسرح العرب كسعد الله ونوس وصالح عبد الصبور وأنا شخصياً في بعض مسرحياتي المتواضعة. بعد هذه التجربة ترجمت بريشت من اللغة الألمانية فقط وذلك بعد أن تمكنت من هذه اللغة بعد سفري إلى ألمانيا عام ١٩٥٧.

أنت تجيد لغات أوروبية عديدة وفي بداية حياتك ترجمت من بعضها، لكنّ ترجماتك الأساسية هي من اللغة الألمانية، لماذا؟

معلّم حق، لكن مع تحفظ بسيط، هو أنّي ترجمت نصوصاً شعرية هامة عن الفرنسية والإيطالية والإسبانية. ففي الجزء الثاني من كتاب «ثورة الشعر الحديث» قصائد لشعراء كبار من إيطاليا وفرنسا. ترجمتها عن الإيطالية والفرنسية لكن بالاستعانة بالترجمات الألمانية والإنكليزية. لكنني في الحقيقة أؤمن وكما قال غوته: «من أراد أن يعرف الشعر فيلذهب إلى بلد الشعر ومن أراد أن يعرف الشاعر فيلذهب إلى بلده»، يجب أن نتقن اللغة التي نترجم منها وأن نعيشها. لكنني ترجمت في السنوات الأخيرة وترجمت شاعراً إيطالياً أحبه كثيراً، شاعر الغموض والألغاز، الشاعر المتفلسف جوزيبه أونغارتي. ورغم أنّي درست الإيطالية في الخمسينات إلا أنني لم أقدم على الترجمة منها دون الاستعانة بترجمة عظيمة إلى الألمانية للشاعرة الكبيرة انغيورغ باخمان. في الحقيقة عزّ عليّ أنّ شاعراً كأونغارتي ولد بالأسكندرية وترعرع فيها - قضى فيها اثنين وعشرين سنة - يدخل عالم النسيان، في الوقت الذي نحتفل فيه

أستاذ مكاوي أتت متعدد المواهب والنشاطات، أستاذ جامعي، كاتب، مترجم، إلخ. سؤالي الأول كيف توجهت إلى الترجمة بعد محاولات شعرية وكتابيات إبداعية بالقصة والمسرح؟

أرجح أنّه كان نوعاً من التعويض عن فقدان هذا الكثر الذي لا يعوض، ألا وهو الإبداع الشعري. ظلت أكتب الشعر حتى سن الواحد والعشرين وربما أثرت فيّ صداقتي لصديق العمر صلاح عبد الصبور، أن اقتنع، في لحظة صدق، بأنّ موهبتي في الشعر لا تبشر بخير، أو ليست أصيلة بالقدر الكافي. لكنني مجنون بالشعر واعتقد أنّه رحيق الإبداع الإنساني والمعبر الحقيقي عن نبض أي شعب أو حضارة. لذا اكتفيت بأن أترجم الشعر وأحاول أن أدهمه من جديد، ولو أنّ هذه الكلمة كبيرة، وأن أجعل ترجمتي للشعر مقترنة دائماً بدراسة عن الشعر والشاعر بحيث يستمتع القارئ ويستفيد كما قال هوراس. هذا ما حاولته منذ أن بدأت الترجمة بشكل منتظم عام ١٩٥٨ وبقصائد لبريشت. لكنني تجرأت قبل ذلك وبهonor شديد وترجمت بعض القصائد لإيليت، خصوصاً أنّه شاعر وفيلسوف، وتوجهي كان دائماً نحو الشعراء المتفلسفين. اليوم لا أتجاسر أن أترجم من أي لغة سوى الألمانية.

لكنك ترجمت بريشت من اللغة الفرنسية أيضاً، أعني مسرحية «الاستثناء والقاعدة»؟

هذا صحيح. كنت أياها في دار الكتب ووقع في يدي عدد خاص من مجلة فرنسية عن بريشت عليه صورته ببدلته المعروفة (بدلة العمال). ولم أكن يومها قد سمعت ببريشت إطلاقاً، كان ذلك عام ١٩٥٦. استعرت العدد من دار الكتب واطلعت عليه ثم وقع اختياري على مسرحية «الاستثناء والقاعدة» وترجمتها ونشرتها في مجلة الهدف المصرية في العام نفسه. ودون أن أقصد، أو لقلّ لتي فوجئت، أنّ هذه الترجمة تحولت إلى حدث مسرحي

دراسي لي بعض دروسه شخصياً. عكفت على ترجمة هايدغر خمس عشرة سنة.

دافعت في كتابك «نداء الحقيقة» بحرارة عن هايدغر، عن مواقفه في ظل الاتهامات التي وجهت إليه. نعم. أعتقد أنه كان مخدوعاً. وأن يخدع الإنسان فهذا أمر وارد وإنساني. وكما خدع أفلاطون قديماً في ديونيسيوس الأول والثاني، كذلك خدع هايدغر لمدة عشرة أشهر فقط في هتلر وتصور أن الاشتراكية الوطنية (النازية) ستجدد شباب ألمانيا. وكان هذا خطأ كبيراً كفر عنه بصمت مطبق إلى أن أدلى بالحديث المشهور لمجلة «دير شبيغل» عام ١٩٦٦ وأوصى بأن لا ينشر إلا بعد وفاته.

وبالعودة إلى سؤالك عن الترجمة فأنا ترجمت بالإضافة إلى هايدغر نصوصاً لأفلاطون وأرسطو وكانط. والأخير ترجمت له وبتكليف من أستاذي عبد الرحمن بدوي كتاب «تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق» عام ١٩٦٢ وأعادت «دار الجمل - كولونيا» طباعته مؤخراً. الجانب الأعظم من النصوص التي ترجمتها، سواء في الفلسفة أو الشعر أو المسرح، كان من منطلق الحب والإحساس بأنني أنقل للقارئ العربي تجربة أثرت في وتعلمت منها واستمتعت بها وأحب أن يشاركني هذه المتعة والفائدة المعرفية. فالترجمة عندي فعل صوفي، فعل حب، وقد تفرست فيها بفضل الخبرة والتجربة الطويلة، لكنني أقتصر إلى أسس علم الترجمة لأنني لم أدرسها.

أنت تستشهد بالباحظ وآخرين وتقول إن الشعر لا يترجم، ومع ذلك ترجمت الشعر. كيف تحل هذا التناقض، بمعنى إذا كان الشعر لا يترجم فلماذا أقدمت على هذه المغامرة؟

ارتكبت ذنباً كثيرة في حياتي وأرجو أن يغفرها الله لي، لكنني لا أؤمن بكلام الجاحظ تماماً. الجاحظ معه حق عندما يقول: "إذا نُقِلَ (الشعر) فقد موضع التعجب وبطل ماؤه وذهب نغمه . . .". لكن لا يصح أن يشطب هذا الأمر همتنا عن الترجمة، لأن كل الشعوب تترجم شئنا أم أبينا. المهم أن تكون الترجمة، بقدر الإمكان، متماهية مع الأصل ويمكن أن تفني القارئ، الذي لا يعرف اللغة الأصلية، عن الرجوع إلى النص الأصلي.

علاقتك بالشعر غريبة، فنصوبك الإبداعية كلها نثرية، بمعنى أنك كتبت القصة القصيرة والمسرحية. لكن في الترجمة تجاهلت النثر وخصوصاً الرواية واقتصرت في ترجمتك على الشعر وبعض النصوص المسرحية، هل لك أن تضيء هذه النقطة؟

بشاعر سكندري آخر هو كافافيس (وهو حقاً شاعر كبير وجدير بالاحتراف به). فمن باب الحب والواجب ترجمت لهذا الشاعر.

أما لماذا تركيزي على الترجمة من اللغة الألمانية دون غيرها، فهو لأنني لا أحب أن يترجم المترجم إلا عن لغة عاشها وتكلم بها وأحب بها وثرثر بها لسنوات طويلة. لكن للأسف ما لاحظته ومن خلال خبرتي الشخصية أن كثيرين في مصر والعالم العربي يتجربون على نصوص بلغات مختلفة لا يحسنونها أو تعلموها من الكتب، أي بالعين فقط. وهذا خطأ كبير، لأنهم لا يدركون المعنى



عبد الغفار مكاوي، تصوير: Larissa Bender

الخفي للعبارة. كيف تترجم بريشت وأنت لا تعرف السخرية الألمانية والحياة الشعبية البسيطة التي يعبر عنها من خلال العمال والجنود وغيرهم. أتمنى أن يكتفي المترجم بالترجمة عن لغة واحدة كأستاذنا زكي نجيب محمود الذي ترجم عن الإنكليزية فقط، بعكس أستاذنا عبد الرحمن بدوي الذي تجرأ على لغات كثيرة، وأقول هذا بكل أسف، لأنني لا أكن له إلا الإجلال والتقدير لدوره العظيم، إنما ترجم عن الألمانية وهو لا يحسنها لأنه تعلمها قراءة ولم يزور ألمانيا إلا في المناسبات. والدليل أن ترجماته عن الأدب الألماني سيئة جداً، وحتى ترجمته عن الإسبانية فيها أخطاء مميتة، كما يقول المتخصصون في الأدب الإسباني.

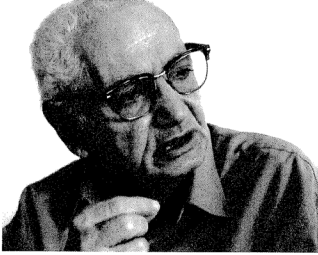
أستاذ مكاوي، ترجمت الفلسفة والمسرح والشعر، والسؤال كيف تختار نصوصك؟

ترجمت بعض النصوص، وخصوصاً في الفلسفة، تحت إلحاح العمل وبعضها تحت إلحاح الحب.

هايدغر مثلاً؟

ترجمت هايدغر لأنني عشت في فرايبورغ خمس سنوات وتعلمت على أحد تلاميذه كما حضرته في أول فصل

الحقل من باب الحب والتعاطف، أي أحسبت نصوصاً حاولت أن أشرك القارئ العربي معي في حبها. ويكفي أن أقول إن عدداً كبيراً من القاصدين، التي ترجمتها لشعراء مختلفين، من البابليين ومن اليونان إلى الشعراء المعاصرين ولا سيما في ألمانيا وفرنسا وغيرهما، جاءت منظومة شعرياً، لدرجة أنني جمعتها في آخر كتاب لي. اعتقد أن لدي موهبة التعاطف - ربما هي موهبتي الوحيدة - وهي تؤهلني في أن أعيد نظم الشعر الذي أترجمه، أي أقوم بالترجمة "الكافّة" كما علمنا غوته في الفقرة الجميلة التي كتبها في تعليقاته على الديوان الشرقي. لأن الترجمة



عبد الغفار مكاوي، تصوير: Larissa Bender

التماهية مع النص الأصلي تكاد تكون مستحيلة. فالشعر معنى وروح وفي الوقت نفسه جسد من الانفاظ والانغام وتوافق الأصوات وتنساقها، وكل هذه الجساليات تختفي بمجرد أن تنقل نصاً شعرياً من لغة، من نظام صوتي ودلالي وبلاغي إلى نظام صوتي ودلالي وبلاغي آخر في لغة أخرى. مع ذلك علينا أن لا نياس وأن نترجم، فما نكسبه من خلال الترجمة أكثر بكثير مما نخسره. والترجمة برأيي واجب ثقافي وحضاري لا غنى عنه وقد مارسته البشرية منذ العصور السحيقة. ولا نستطيع، نحن العرب، أن نفتتح على العالم وثقافات العالم دون أن نقرأ للشعراء والكتاب العظام في كل اللغات، ليست الأوربية فقط بل الآسيوية والإفريقية أيضاً. أما مدخلي الشخصي إلى الترجمة فهو مدخل صوفي وجداني، مدخل تعاطف.

كيف تُقَوِّم حركة الترجمة من اللغة الألمانية إلى العربية خصوصاً أنها توقفت عند الجيل القديم من الأدباء الألمان وأنّ الجيل الجديد يكاد يكون غير معروف في العالم العربي؟

المسألة متشابكة قليلاً ومعقدة. لكن قبل أن أبدا الكلام عن هذا الموضوع لا بد من الحديث عن شخصين أفضالهما

كان توجهي منذ الطفولة نحو الشعراء المتفلسفين. ومعظم الشعراء الذين ترجمت لهم هم كذلك وفي مقدمتهم غوته وهولدرلين والشعراء العظام بودلير ورامبو ومالارميه، لأنّ وراءهم توجه فكري وجسمالي يعجبني ويرضي نزعتي الفلسفية. اهتممت أيضاً بالشعراء الآخرين - ربما لنزعة ثورية مقهورة لدي - الذين لا يهدفون إلى متعة جمالية فقط كما فعل الرمزيون، بل يريدون أن يغيروا الواقع. لهذا تشبّثت ببريشت رغم تحفظاتي على الإيديولوجيا الطاغية على بعض مسرحياته، لكنه شاعر عظيم. لذلك اهتممت بشعره أكثر من مسرحه مع أنني ترجمت له ست مسرحيات. أحس أن بريشت شاعر ثوري آمن بأنّ الشعر يمكن أن يكون متقدماً للواقع ومغيّراً له ومؤثراً في الوعي. بريشت والسائرون في خطه كإريش فريد ثائرون على الظلم الاجتماعي. وأظن أن أي إنسان يعيش في العالم العربي وبالذات في مصر لا بد أن يشور على الظلم الاجتماعي، على التسلط، على الفقر البشع، لا بد أن يكتب على أمل التغيير. نحن نعلم أنّ الكتابة لا تغير، لكنها يمكن أن تلهم المغيّرين، أي الذين في يدهم القدرة على التغيير. وهذا ما دفعني إلى ترجمة هؤلاء.

عطفاً على السؤال السابق، الرواية، وكما قيل عنها، هي ملحمة البورجوازية، والرواية أخذت من الشعر ووضعته على الرف تقريباً، ومع ذلك لم تترجم الرواية؟ ليس إلى هذا الحد. هذا رأي جابر عصفور، عبّر عنه في كتابه القيم والجميل «زمن الرواية».

في الحقيقة لم أطلع على هذا الكتاب إنما سؤالي لماذا لم تترجم الرواية؟

ربما لقصور في شخصي. فأننا قليل الصبر، وقلما أقرأ الروايات إلا المهمة جداً. وربما تستغرب، بأنه رغم ما قلت، فإنّ لدي تخطيطات لسيرة ذاتية بشكل روائي. ومعظم قراءاتي الروائية هي لروايات السيرة الذاتية. أنا مقتدر تماماً لأهمية الرواية، لكن يبدو أنني "ضيق العطن"، كما يقولون في اللغة العربية، وليس لدي صبر على قراءة الرواية وترجمتها ولا على تأليفها، وأنّ تكويني العصبي يميل أكثر إما إلى الشعر بسبب حبي للسكينة والتأمل والهدوء وإما إلى المسرح للحوار والدرامية اللذين يتسم بهما.

اليوم يكثر الحديث عن الترجمة ودورها كجسر وتواصل بين الثقافات والحضارات، كيف تنظر أنت إلى دور الترجمة خصوصاً أنك من المترجمين الكبار وقدمت نصوصاً هامة؟

من باب الصدق عليّ أن أقول بداية إنني لم أنعلم علوم الترجمة، بمعنى لم أدرسها كعلم وإنما دخلت إلى هذا

المشروع القومي للترجمة خطوة كبيرة لا بد أن نباركها جميعاً. لكن في تقديري الخاص أنه يسير بشكل عشوائي حتى الآن ولا يهتم بالأمهات والتأنيب، في كل الشغافات الشرقية والغربية، إلا ما ندر، أي باستثناء كونفوشيوس وترجمة بعض الأدب الفارسي. صحيح أنه يحاول أن يغطي العيون والكلاسيكيات، لكنه يركز على الأشياء الحديثة في السياسة والاقتصاد، وهذا واجب طبعاً، إلا أنني أخشى أن يكون سائراً بلا خطة واضحة. هو في النهاية مشروع عظيم بالطبع ونتمنى أن يزدهر ويشارك فيه إخواننا في العالم العربي، أي أن يتحول إلى مشروع عربي.

■ أستاذ مكاي هناك سؤال أشعر أنك لم تحب عليه تماماً وهو لماذا أعدت ترجمة الديوان الشرقي لغوته؟ والله يعز عليك أن تجد شعراً عذباً وجميلاً، ومن أجمل ما كتبه غوته ومن أعذب ما كتب باللغة الألمانية، مترجماً ترجمة جافة وتكاد تكون خالية من الروح، أي تكاد تكون مذبوحة. صحيح أن هناك دراسات قيمة لأستاذنا عبد الرحمن بدوي، رحمه الله، لكن ومن أجل الحقيقة - وأرجو أن لا تغضب روحه من قول الحقيقة خصوصاً أنه علمنا أن نقول الحقيقة - أقول إن ترجماته الشعرية، وخصوصاً للشعر الألماني، سيئة جداً وأسوأ ما ترجمه إلى العربية هو ترجمته لربليكه وهولدرلين. هو حاول أن ينظم قصائد كبيرة كـ «خبز ونبيذ» لهولدرلين مثلاً، لكن النتيجة كانت ترجمة سيئة لا علاقة لها بشعر هولدرلين. هذا ما دفعني إلى إعادة ترجمة الديوان الشرقي، خصوصاً أنه ارتكب، إلى جانب ما ذكرت، أخطاء جسيمة في فهم النص. أنا حاولت ألا أترجم فقط، بل أعلق على النص وأزوده بتعليقات وهوامش. وقلت في مقدمتي للديوان إن ترجمتي لا تدعي أنها أصح من ترجمة أستاذه لأن النص يحتمل عدة ترجمات شأن النصوص العالمية الكبيرة. انظر هاملت مثلاً، كم مرة ترجم إلى العربية. أنا لا أرى مانعاً، بل أرحب بأن يأتي مترجم آخر ويقدم ترجمة جديدة وأدق من ترجمتي للديوان. أمر آخر أود الإشارة إليه وهو يتعلق بغوته أيضاً، فبالإضافة إلى الديوان الشرقي ترجمت مسرحية «توركوواتر تاسو» وأنا نادم لأنني لم أترجم «فاوست» مع أنني عملت عليها لفترة طويلة جداً وكتبت بحثين عن فاوست وقرأت الاثني عشر ألف بيت قراءة متأنية. على كل حال فاوست ترجمت أكثر مرة ولا أريد أن أحكم على هذه الترجمات.

أجرى الحوار: أحمد حسو

على الترجمة عن الأدب الألماني. أولهما أستاذنا الراحل محمود إبراهيم الدسوقي الذي تعلمت عليه في تعلم اللغة الألمانية في منتصف الخمسينات. ترجمة الدسوقي رواية توماس مان «بودنبروكس Buddenbrooks»، وترجمة لغوته وآخرين. وربما تجدر الإشارة إلى القول إن الدسوقي ترجم كثيراً لكاتب متواضع اسمه إميل لودفيغ ولا أعرف سر اهتمامه به، ربما كان معروفاً في عصره. والنقطة الأخرى أنه لم يخدم ترجماته من الناحية العلمية. فهو لم يكن متخصصاً بالأدب الألماني. والشخصية الأخرى التي عليّ أن أذكرها بالفضل والعرفان هي الدكتور مصطفى ماهر، الذي لا أباغ إلا قلت أنه قدم عشرات النصوص المترجمة والدراسات القيمة عن الأدب الألماني. كما أن له الفضل في تأسيس مدرسة علمية ورعاية أجيال من الطلاب في كلية الآلسن الحالية. ترجمات ماهر امتدت من غوته وشيلر إلى كافكا وبتر هاندكه وماكس فريش. أما عن الأجيال الجديدة، وأود هنا أن أركز حديثي على المترجمين، فيوسف القبول إن المترجمين من الجيل الشاب ضعاف في اللغة العربية، ضعاف الصلة بالتراث العربي والإسلامي إلا ما ندر. وربما لا يكون هذا ذنبهم وإنما ذنب نظام التعليم نفسه الذي قام وخصوصاً بعد ثورة ١٩٥٢ في مصر على ضعف الاهتمام بالتراث العربي، أنا أتحدث هنا عن مصر. ربما تكون المسألة مختلفة في سوريا والعراق. هناك تقصير شنيع في تحييب الشباب باللغة العربية وتراثها وبنذوقها. ومن هنا تأتي ترجمات هؤلاء الشباب ضعيفة وعاجزة. وعجزها لا يعود إلى ضعف في اللغة الألمانية، على العكس، فهم يجيدون الألمانية جيداً وربما تعلموها الكثيرون منهم منذ رياض الأطفال. لهذا أرى أنه من الواجب أن يتم تأسيس معاهد حقيقية للترجمة في مصر والبلاد العربية أسوة بالمعهد الذي تم تأسيسه في لايبزغ في ألمانيا الشرقية سابقاً. فالضعف موجود في النشء بسبب ضعف في اللغة العربية وضعف في الاتصال بالتراث العربي والإسلامي كما أسلفت. فكم من شاب قابله وتكشفت أنه لم يقرأ قصيدة لشوقي، لم يقرأ للمتنبّي، ولم يقرأ صفحة للجاحظ حتى لم يقرأ لطف حسين. وبعضهم قرأ لتنجيب محفوظ وآلفاء صعباً ومع ذلك يتجراؤون على الحقيقة والأدب والفن ويكتبون روايات وأشعاراً ويترجمون. والنتيجة أعمال ركيكة وهزيلة لغويّاً وأدبياً. هذه محنة كبيرة على مستوى الترجمة والإبداع على السواء.

■ هل تحتاج الترجمة إلى مأسسة؟ هناك في مصر مشروع قومي للترجمة وصدرت عنه المئات من العناوين، لكن ما لاحظته أن العناوين الألمانية قليلة، ما رأيك؟

من الاقتباس إلى الالتزام

نبذة عن الترجمة العربية من اللغات الأوروبية

لو تُرجم ما دون في الغرب عن التحولات والتغيرات الاجتماعية، لامكنا تطبيقه والاستفادة منه. تلك كانت قناعة محمد علي باشا الذي عيّن سنة ١٨٠٥ - أي بعد مرور أربع سنوات على انتهاء الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) - والبأ على مصر وحكم البلاد طيلة ثلاثة وأربعين عاماً. طمح محمد علي إلى بناء دولة قوية ومستقلة وأراد لشدة انبهاره وإعجابه بتفوق أوروبا بلوغ التمدن والرخاء اللذين احتاجت أوروبا سنين لتحقيقهما في أسرع وقت ممكن.

في تلك الحقبة أخذ يسود الاعتقاد بأن ازدهار أوروبا الحضاري عائد إلى تفوقها العلمي. فإذا ما تم نقل هذا العلم إلى اللغة العربية لأمكن دفع عملية التطور وإقامة حضارة مماثلة في فترة وجيزة، ودون الاضطرار إلى المرور بسائر مراحل ذلك التطور.

هذا ما يؤكدُه رفاة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٣٧) في مقدمته لمجموعة من المقالات التاريخية ترجمها عن الفرنسية ونشرها عام ١٨٣٦ بعنوان «بداية القدماء وهداية الحكماء»، إذ يقول: "يمكن بلوغ ما احتاج الفرنج سنوات كثيرة وأمد طويل لإنجازه في فترة وجيزة وعلى أكمل وجه". ذلك أن الطهطاوي، المفكر الأديب، كان يشارك محمد علي، الحاكم البراغماني، رأيه بأن ازدهار أوروبا الحضاري عائد إلى تقدمها العلمي. فكان ذلك حافزاً قوياً لحركة الترجمة في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

في بادئ الأمر جاءت حركة الترجمة لإشباع رغبة محمد علي باشا في معرفة المزيد عن أوروبا ومن ثم لتلبية متطلبات العصر في كل من المجال العسكري والصناعي والإداري والتعليمي. ساهم محمد علي مساهمة فعالة في دعم حركة الترجمة فقام بمكافأة أعمال الترجمة وسعى دوماً إلى تشجيعها. ولقد كانت أولى مهام أعضاء البعثة الدراسية التي أرسلها الباشا عام ١٨٢٦ إلى فرنسا ترجمة الكتب العلمية والدراسية التي اطَّلعوا عليها خلال إقامتهم في أوروبا. وعند عودة أعضاء البعثة تم احتجازهم في قلعة القاهرة إلى أن انتهى كل منهم ترجمة كتاب علمي في مجال تخصصه. في عام ١٨٢٠ أُسست مطبعة بولاق وبدأت عام ١٨٢٢ العمل بها. وكان تأسيسها يهدف بالدرجة الأولى إلى نشر الكتب المنقولة من الإيطالية أو الفرنسية إلى اللغة العربية والتركية. كما كان الهدف من تأسيس مدرسة الآلسن عام ١٨٣٥ إنشاء مكتب للترجمة يعمل فيه خريجو تلك المدرسة. ولقد أوعز الباشا إلى مثليه في كافة العواصم الأوروبية بإرسال الكتب والدراسات في مختلف العلوم الحديثة لتتم ترجمتها في مصر.

ويُقدَّر عدد الكتب التي تم نقلها إلى العربية في عهد محمد علي بأربعمئة وأحد عشر كتاباً - بينما ترجم كتاب واحد فقط من العربية إلى الفرنسية - تأتي في مقدمتها المؤلفات العسكرية، تتلوهما الطبية فكتب العلوم الطبيعية. وما يدعو إلى الدهشة أن عدد كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات تجاوز الإثنى والثلاثين كتاباً مما يَمنَعُ عن تعطش كبير إلى سائر مجالات المعرفة. كانت تلك الكتب تترجم إما إلى التركية أو إلى العربية حسب موضوعاتها ونسبة قارئها، فالمجال العسكري مثلاً ظل فترة طويلة حكرًا على الأتراك في حين كانت غالبية الطلاب في الفروع الأخرى من المصريين. كانت تلك المؤلفات - باستثناء كتب الطب البشري والبيطري - قلماً يقوم مختصون بترجمتها بل غالباً ما كان يشارك عدة مترجمين في نقلها.

أما ترجمة الأعمال الأدبية فلقد ظلت حتى مستهل القرن العشرين وانتشار الصحف والمجلات عملاً فريداً لا يخلو من المغامرة ومروناً بجهود المترجم الشخصية. كان أول عمل أدبي نُقل من لغة أوروبية إلى العربية كتاب «مغامرات تاليماك» لفينيون، ترجمه رفاة الطهطاوي، مدير مدرسة الآلسن، إثر نفيه إلى الخرطوم. ولم يُنشر هذا الكتاب إلا عام ١٨٦٧ في بيروت. أما العمل الأدبي الثاني فكان كتاب «رونسون كروزو» لديفو، ترجمه عام ١٨٦٠ بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)، علامة سوريا ولبنان الشهير.

آنذاك كانت كتابة السجع لا تزال شائعة فجاءت ترجمة الطهطاوي لكتاب «فينيلون» برمتها بالكلام المسجوع: «مواقع الأفلاك في وقائع تالماك». ولقد بذل الطهطاوي قصارى جهده لنقل الكتاب بأمانة ودقة بالغة. إلا أن السجع يستلزم الإكثار من المحسنات اللفظية من جناس وطباق ومقابلة وتكرار. كما يقتضي عكس الكلام وقليه لمراعاة الوزن والقافية. فكان من البديهي أن تؤثر تلك البديعيات سلباً على لغة الحوار وتعيق استخدامها كوسيلة جدل ومحاورة. ومن الجدير بالذكر أن الطهطاوي لا يقوم بتعريب العمل إلا أنه كثيراً ما كان يعتمد على تحويله ليشتمل على المبادئ والمثل العربية. وفي مقدمة كتاب «تالماك» يعبر الطهطاوي عن أسفه لعدم إضافته بضعة أبيات من الشعر العربي القديم أو بعض الأقوال الماثورة إلى الترجمة، بخلاف ما فعل في «تخليص الإبريز في تلخيص باريز».

أما البستاني فلقد نهج في ترجمته لكتاب روبنسون كروزو نهجاً مختلفاً. عنوان الكتاب مُصاغ على الطراز القديم، «كتاب النُحْفة البُستانيّة في الأسفار الكروزية»، إلا أن البستاني يتخلى بصورة شبه تامة عن السجع ليترجم الكتاب بلغة بسيطة وجزلة وإن كانت لا تخلو هنا وهناك من الإطناب والحشو. ومن الملفت للنظر أن البستاني يستخدم أحياناً، وتعبير أدق في الحوار، بعض العبارات المحلية الدارجة. وإذا يوشك القرن التاسع عشر على الانتهاء، يغلب في الترجمة أسلوب النثر شبه الحالي من المحسنات اللفظية والمعنوية. حتى أنه يمكن القول إن الترجمة من اللغات الأوروبية قد ساهمت إلى حد كبير في تحرير اللغة العربية من قواعدها الإنشائية المركبة وأدت إلى نوع من التكيف مع جماليات اللغة المنقول عنها. فاقتراس الأفكار والمواد النابعة عن ثقافة مغايرة أدى رويداً رويداً، وبالرغم من تمتّع لغة بلغت منذ أمد بعيد أسمى أشكال تطورها، إلى تغير لا مثيل له في تعابير تلك اللغة وبنيتها.

في التاريخ الحديث للترجمة العربية تستأثر اللغة الفرنسية طوال القرن التاسع عشر بالمرتبة الأولى، من حيث عدد الكتب المترجمة عنها. وسترقي الفرنسية اللغة المهيمنة لفترة طويلة وحتى بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة ١٨٨٢ وجعل التعليم في المدارس باللغة الإنجليزية (١٨٩٧). وهذا عائد حتماً إلى الدور الكبير الذي لعبه آنذاك المهاجرون السوريون واللبنانيون، خريجو المدارس والكلديات الفرنسية، في حركة الترجمة في مصر. فبالرغم من أنه قد تم مبكراً ومراراً نقل مسرحيات شكسبير إلى اللغة العربية إلا أن الترجمة عن الإنكليزية لن تحتل إلا في مطلع العشرينات نفس المرتبة من الأهمية وتتنازع اللغة الفرنسية مكانتها. ولقد جاءت نشأة جيل جديد من الأدباء المصريين المتأثرين بالثقافة الانجلوسكسونية مهددة لذلك التحول فكان أهم تحليلها، كالعقاد والمازني وشكري، رواداً لحركة أدبية مجددة. أما الأدب الروسي والألماني فلقد كان يتم تلقيه في تلك المرحلة عن طريق اللغة الإنجليزية أو الفرنسية. إلا أن ترجمته إلى العربية ظلت في نطاق محدود.

ويمكننا انطلاقاً من أعمال نجيب الحداد (١٨٦٧ - ١٨٩٩)، أحد صحافي وأدباء لبنان القديرين، تتبع مختلف الطرق التي سلكتها الترجمة إلى العربية. ولا شك أن أهم أعمال نجيب الحداد هو ما قدمه للمسرح. فلقد ترجم مسرحية «السيد» لكورنيلي وعُرب «هرناني» لفيتكتور هوغو كما قام بإعداد «تاليسمان» لوالتر سكوت للمسرح بعنوان «صلاح الدين الأيوبي». ويمكن اعتبار تلك المسرحية التي لجدها مدرجة ضمن مؤلفات الحداد مثلاً واضحاً للاقتباس وهو التعبير الشائع آنذاك للدلالة على مسرحيات أو روايات. وفي وقت لاحق أفلام - مأخوذة عن أعمال أخرى. فالاقتباس يعني أخذ المادة أو الفكرة الأساسية من أصل أو مؤلف ما والتصرف بها بكامل الحرية. يُنشر العمل المكتسب عادة بعنوان مغاير للأصل وغالباً ما لا يرد ذكر مؤلف أو عنوان النص الأصلي. ترجم الحداد «السيد» ترجمة تقليدية، فزاعى بحور اللغة العربية وأوزانها مما أدى به إلى الابتعاد عن النص الأصلي وتغيير سياق الحوار. كما تم تبسيط أو تغيير الفكرة الأساسية والأحداث لتتلاءم مع مشاعر وعواطف الجمهور. هذه التعديلات كانت تمس بشكل خاص شخصيات المسرحية التي كان عليها أن تتحلّى بمكارم الأخلاق العربية. أما رضاء الجمهور فيتم كسبه بإدخال المقاطع الخطافية أو الأغاني والأشعار، بالإضافة إلى المبالغة بالإشارات والإيماءات وتصعيد الأحداث إلى درجة مأسوية قبل بلوغ النهاية السعيدة. هذا بالنسبة للاقتباس أما التعريب فالمقصود به نقل شخصيات المسرحية والمكان الذي تدور فيه الأحداث إلى بيئة عربية وإضفاء الطابع العربي عليها. ومن نازل القول إنه قلما نجح مترجم في ذلك. فالفرق الواضحة في مظاهر الحياة والقيم المتباعدة في الشرق والغرب تجعل من تلك الأعمال المكتسبة خليطاً عجيباً: فيصبح القيصر

ماكسيميليان الأمير الناصر، والقصر شارلمان الكبير عبد الرحمن الأول وفرانز الأول هارون الرشيد، في حين نحل بغداد محل ألمانيا ويصير قصر ألمانيا الروماني «قصر العرب».

ويميز جرجي زيدان (١٨٦١- ١٩١٤)، الأديب والمؤرخ المشهور ومؤسس فن الرواية التاريخية في الأدب العربي، لدى الحديث عن كتاب عصره العرب بين ثلاث فئات: تشمل الفئة الأولى الكتاب الذين يترجمون ويلخصون، والثانية المؤلفين، أما الفئة الثالثة فتضم هؤلاء الذين يقومون بجمع ما كتب. الأولى أكبر الفئات عدداً وأغزرها إنتاجاً. ونظراً لتفوق العرب يعتبر جرجي زيدان الترجمة والتلخيص، على السواء، أكثر فائدة من التأليف والجمع. كما يرى أن الكاتب يمر بثلاث مراحل: في بداية عمله يترجم ويلخص، ثم يجمع، وفي خاتمة المطاف يؤلف (الهلال، السنة الخامسة، ١ تموز/ يوليو ١٨٩٧). ترتيب جرجي زيدان يعكس لنا مدى الأهمية التي يوليها لعمل الترجمة، وذلك نظراً لمشقة نقل نص ما - أديباً كان أم علفياً - نقلأً دقيقاً وأميناً إلى العربية. أضف إلى ذلك عدم توفر الإمكانيات المادية التي تساعد على القيام بعمل متميز.

كان المترجمون الأوائل في القرن التاسع عشر موظفي دولة مهيين خصيصاً لهذه المهمة. أما في أواخر ذلك القرن فكان المترجمون يتقاضون أجرأً يومياً لقاء جهودهم فيمدون الصحف والمجلات الدورية بالقصص للسلسلة والمقالات ويزودون الفرق المسرحية بالأعمال المسرحية المقبسة. وبينما اقتصت الترجمة في مرحلتها الأولى بنقل النصوص ذات الطابع العلمي - العلوم الطبيعية والتاريخية والجغرافية - انصب الاهتمام في المرحلة الثانية على القصص والنصوص الأدبية. ففي العقود الأولى التي عقيبت الحركة الوطنية الأولى وفشل ثورة أحمد عرابي والاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ اتخذ الفكر العربي منحى جديداً واكتسب الأدب أهمية فائقة.

ويروى عن طانيوس عبده (١٨٦٩ - ١٩٢٦)، شيخ المترجمين في عصره، أنه كان يجلس في المقهى، يتناول طعامه ويترجم. كان بين الحين والآخر يفتح الكتاب الفرنسي الذي بين يديه، فيقرأ عدة صفحات ثم يضع الكتاب جانباً ويشرع في كتابة ترجمته دون أن يضطر فيما بعد إلى تغيير كلمة واحدة (المنال، الجزء ١٧). كان طانيوس عبده يحذف من النص أو يضيف إليه حسب ما يراه ملائماً لذوق القراء. ويُقدّر عدد الكتب والمسرحيات التي ترجمها عن اللغة الفرنسية بأكثر من ستمئة كتاب، منها مسرحية شيلر «الحب والدمية»^١. ولقد قام بتحويلها لإعطائها طابعاً شرقياً محضاً. في مستهل القرن العشرين كانت الروايات التاريخية أو قصص المغامرات وأدب الرحلات، بما فيها حكايات الشرق - تلك القصص التي تم اختيار الشرق كولبسة رومانسية لها - تستولي على الحيز الأكبر من الأعمال الأدبية المترجمة وذلك دون تمييز يُذكر بين أدب راق ومبتذل.

ولم يلبث أن ظهر، كردة فعل على غلبة الترجمات التجارية المنجزة على عجل، عدد من الكتاب يطالبون بترجمات دقيقة وذات مستوى أدبي عال. ويؤكد شاعر النيل، حافظ إبراهيم، في مقدمة ترجمته للجزء الأول من كتاب «البؤساء» لفكتور هوغو أن هدفه الرئيسي هو إعادة الاعتبار للنص الأصلي وإعطاء الترجمة الأدبية رونقها. والحقيقة أن حافظ إبراهيم، الأديب الحريص على اللغة العربية الفصحى، لم يكن معنياً بترجمة آمنة ودقيقة للنص بقدر ما كان يطمح إلى إنجار عمل أدبي متميز. فكان يستعاض عن قصور معرفته باللغة الفرنسية بأسلوبه البلاغي القوي ولغته المجازية النابعة عن معرفته الواسعة بالتراث الأدبي. فنجدته يكثر من استخدام الشواهد المستقاة من القرآن الكريم أو من الشعر العربي القديم. كان حافظ إبراهيم - على حد تعبير أحد الكتاب المعاصرين له - يترجم الرواية وكأنها قصيدة. ويبدو أن هذه الملاحظة في موضعتها: "جلس الشاعر الكبير حافظ إبراهيم في مقهى «الشيشة» يدخن ويشرب قهوته، ويترجم من كتاب فيكتور هوغو. جلس ثلاث ساعات لم يخط خلالها سوى ثلاث جمل على الورق."^٢

شاعت في تاريخ الأدب العربي تسمية العقد الأول والثاني من القرن العشرين بعهد المنفلوطي (١٨٧٦ - ١٩٢٤). ويجهل عدد كبير من القراء العرب أن شهرة المنفلوطي عائدة إلى روايات مقتبسة عن أعمال أوربية: فرواية «تحت ظلال الزيزفون» من تأليف ألفونس كار، و«بول وفرجين» لبرنارد دي سان بيير Bernardin de St. Pierre و«غادة الكاميليا» لالكسندر دوما. وإلى يومنا هذا ما زالت جميع هذه الأعمال تنسب إلى المنفلوطي. علماً بأن المنفلوطي لم يكن ملماً بأية لغة أجنبية، فكان يكتب رواياته وفق مسودات لترجمات حرفية أنجزت خصيصاً له. ففي كتاب «العبرات» مثلاً يلخص المنفلوطي ويعيد سرد مجموعة من القصص المأخوذة عن مؤلفات فرنسية، ما كان له أن يطلع عليها مباشرة.

إن شهرة المنفلوطي وتأثيره الواسع يعودان بالدرجة الأولى إلى فصاحة لسانه وقدرته البالغة على التعبير وإثارة مشاعر القارئ. وعن ترجمته لرواية ألفونس كار، التي نشرت بعنوان «ماجدولين»، كتب عبد العزيز البشري، إحدى الشخصيات الأدبية البارزة في ذلك العصر: "لقد قرأت الكثير من الكتب والقصص لكبار الشعراء والروائيين، من مؤلفي الأدب القديم والحديث؛ عادلٌ معظمها «ماجدولين» من حيث تجاوز المؤلف وسعة الخيال وقوة التعبير إلا أن أياً منها لم يثر عواطفني ويمكك علي أحاسني بالمقدار الذي فعلته روايتك. فبالله قل لي، كيف تمكنت أن تبرع بهذا الشكل وتستحوذ على وجدان القارئ...؟ فلم يكن بوسع معنى أو لفظ التمتع على قلمك...". (جريدة الأهرام، ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٧).

وعن تأثير المنفلوطي كتب اسماعيل أدهم، مؤرخ الأدب العربي، سنة ١٩٣٨: "والحقيقة أن أعمال المنفلوطي كان لها تأثير لا يصدق على الأدب العربي. فنفخ قلب جيل بكامله، من دمشق في المشرق إلى فاس في المغرب، على وقع دقات قلب «ماجدولين». (مجلة «الحوادث»، ١٩٣٨).

وبالرغم من أن مصطفى لطفي المنفلوطي انتقد بشدة ظاهرة التنغريب وطالب بالحد من تأثير الشقافة الأوروبية فإنه قد وجد نفسه مضطراً إلى الاستقاء من الأدب الأوروبي لكتابة رواياته وإبراز قدراته اللغوية. ذلك أن ترجمة أو إعادة سرد نص كانت تعني بالدرجة الأولى إثبات مقدرة اللغة العربية على مواجهة اللغة الأجنبية. فكان من المهم بالنسبة له وبالنسبة لأدباء آخرين من جيله الرد على الادعاءات القائلة بقصور اللغة العربية والتأكيد على أنها قادرة كآداة تعبير حديثة على إبداع العبارات والأساليب الجديدة.

في العشرينات، وعلى أثر الثورة الشعبية في مصر سنة ١٩١٩، علت الأصوات المطالبة بترجمة دقيقة ومبدعة في آن واحد. وازداد وضوحاً أن نهضة الأدب العربي التي يسعى إليها جيل جديد من كبار الأدباء، من أمثال طه حسين ومحمد حسن الزيات ومحمد فريد أبو حديد وعباس محمود العقاد وأحمد أمين وعبد القادر المازني، لن تتم إلا عبر نقل الشقافة الأوروبية إلى العربية. فكما احتوت اللغة والحضارة العربية في الزمن الغابر مختلف الثقافات وارتقت بها إلى مقام لغة عالمية، لن يتم اليوم تجديد اللغة العربية إلا عن طريق تلقي واستيعاب الأدب والفن الأوروبي. ولن تتمكن العربية من المساهمة في الأدب العالمي ما لم تستطع التغلب على عزلتها وإقامة جسر يصلها بعالم الحضارة. هذا ما أكدته المترجم والناقد والناشر محمد حسن الزيات بمناسبة تأسيس لجنة التأليف والترجمة والنشر. (الرسالة، العدد ١٧٦، ١٦ نوفمبر ١٩٣٦).

الزيات ومعظم كتاب جيله مثال واضح للأدب العربي متعدد الجوانب الذي لم يعد حصر نشاطه الفني في مجال أدبي واحد. فهم صحافيون ونقاد ومؤرخون وروائيون ومترجمون في آن واحد، يتقاضون راتباً شهرياً يعيشون منه كموظفين في مختلف المنشآت التربوية والتعليمية أو كمحامين ورؤساء تحرير.

ولقد جاء تأسيس اللجنة المذكورة أعلاه تعبيراً عن التحول الذي حدث فيما يخص ترجمة الأدب الحديث من اللغات الأوروبية إلى العربية حيث أكدت اللجنة على الأهمية البالغة التي يجب أن تولي لترجمة أدبية رفيعة المستوى نفي النص الأصلي حقه. فأصبحت عمليات الاقتباس والتحويل والحذف والتلخيص الراجحة سلفاً تخضع لأحكام التحريف والتزوير. بالمقابل لم تعد الترجمة عملاً ثانوياً أقل شأنًا من التأليف. ويظهر ذلك واضحاً في حكم جديري بالذكر أصدرته المحكمة في قضية نزاع عام ١٩٣٤ فضفت له محمد عوض محمد، مترجم «فاوست» و«هرمان ودورتيا» لغوته، معتبراً إياه حدث السنة الأهم. أما السبب الذي دعمت المحكمة حكمها به فهو أن المترجم يوازي في عمله عقبات وصعوبات جمة، وتبعاً لذلك اعتبرت المحكمة جهود المترجم أولى بالتقدير من جهود المؤلف.

(١) في وقت لاحق قام عدة مترجمين بنقل مسرحية شيلرعن الألمانية، فاختار كل منهم عنواناً مختلفاً لعمله: «مؤامرة غرام»، «الحب والحديديّة»، «الحب والدسيسة»، «المؤامرة والحب». ولم يتيسر لنا معرفة العنوان الذي اختاره طابوس عبده لترجمته.

ترجمة: ماجدة بركات

الأدب العربي والألماني الحديث في متناول الجميع

يبدأ معهد جوته - المركز الثقافي الألماني - مشروعاً طموحاً على الإنترنت؛ لمدة أربعة أسابيع يشترع ستة من الأدباء الألمان من الجيل الجديد بالكتابة عن عدد من العواصم العربية، بينما يسافر ستة من الأدباء العرب إلى ألمانيا، حيث يرسمون صورة لستة من المدن الألمانية الكبرى - مشروع «رواة المدن» هو جزء من المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD)، والذي سوف يطلق في بداية شهر مايو عبر شبكة الإنترنت على العنوان التالي: www.goethe.de/midad، بادئاً بأولى يوميات الأديب الألماني من مدينة شتوتجارت "خوزيه أوليفر" عن القاهرة. وإلى حين بدء معرض فرانكفورت للكتاب، والذي يمثل «العالم العربي» محوره الأساسي، سيقوم المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD) علاوة على ما سبق بتقديم والتعريف بسبعين من الكتاب العرب من جيل الشباب، بالإضافة إلى تقديم بليوجرافي عن كتب الأدب الألماني المترجمة إلى اللغة العربية في صورة رقمية. ويعد المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD)، وهو مشروع مشترك لمعاهد جوته المتواجدة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، كما أنه يعطى كذلك بدعم وتشجيع المؤسسة الثقافية الاتحادية بألمانيا. وسوف يساهم المنتدى الأدبي الألماني العربي على الإنترنت (MIDAD) في فتح أفق جديدة على المجتمعات وفي زيادة التبادل الأدبي، بالإضافة إلى الاطلاع على أشكال تطور الأدب المتباينة في كل من ألمانيا والعالم العربي. المشروع يتكون من ثلاثة أجزاء يساهم كل منها - كل بطريقة مختلفة - في تحقيق هذه الأهداف:

قاعدة بيانات «الأدباء العرب الشباب»

بتيسيق من معاهد جوته وبدعم وتشجيع من جهات ألمانية أخرى بالعالم العربي يقوم عدد من المتخصصين العرب في مجال الأدب بتشكيل مجموعة مختارة مما يقرب من ٧٠ من الأدباء العرب الشباب. حيث تساهم كل من السير الذاتية الموجزة والمقطوعات من الأعمال الأدبية - في وضع تصور مبدئي لصورة الأدب العربي الحديث وخدمة الاهتمام بالأدب العربي والذي تزايد من خلال اختيار العالم العربي كمحور أساسي لمعرض فرانكفورت للكتاب.

مشروع «الأدب الألماني باللغة العربية»

يتم هنا تيسير الوصول إلى الأدب الألماني المترجم إلى العربية، بصفة خاصة للقراء العرب. فالبليوجرافيا المتواجدة على شبكة الإنترنت تتيح عملية التحديث المستمر والمتواصل، وهي تمثل بذلك أداة عصرية كمرجع أساسي لأعمال الأدب الألماني المترجمة إلى اللغة العربية.

مشروع «رواة المدن»

سيسافر رواة المدن العرب إلى شتوتجارت، ميونيخ، فرانكفورت، كولونيا، هامبورج وبرلين. أما في الشرق الأوسط فسيتناول رواة المدن كل من القاهرة، بيروت، عمان، رام الله، الرباط، ودمشق. ومن المفترض أن تتضح من خلال المذكرات الخاصة بمشروع رواة المدن، والتي ستظهر على الإنترنت، الصورة الأدبية التي من شأنها أن تتيح عبر انطباعات ذاتية مدخلاً جديداً وإبداعياً إلى عالم الآخر الأدبي والثقافي.

وسيبدأ هذا المشروع في القاهرة على يد "خوزيه أوليفر"، وفي دمشق على يد الأدبية "أولا لينتسه" القادمة من مدينة كولونيا. وفيها بعد سيسافر من الجانب الألماني كل من "زيلكا شويرمان" إلى بيروت، "شتيفان كويتسكي" إلى الرباط، "مايكل لينتس" إلى عمان و"نورمان أولر" إلى رام الله. أما الأدباء العرب والذين تم اختيارهم من قبل معاهد جوته بالتعاون مع المتخصصين في مجال الأدب بالدول المضيفة، فسيأتوا إلى ألمانيا في الأغلب في شهر سبتمبر ٢٠٠٠. علاوة على ذلك فإن رواة المدن سيقومون بمعد اجتماعات لقراءة ما كتبوه ومناقشته في معاهد جوته والدور الأدبية المعنية، وذلك بالدول المضيفة. وسيقيم رواة المدن الألمان والعرب في معرض فرانكفورت للكتاب بمعرض وتقديم نصوصهم وتجاربهم باعتبارهم شخصيات متجولة في عالم مختلف.

للحصول على معلومات حول المنتدى الأدبي الألماني - العربي على الإنترنت يرجى الاتصال بـ:

السيدة/ لنا أبو لبن، معهد جوته بالقاهرة، AbuLaban@cairo.goethe.org

عنوان قسم البرامج الثقافية بالمعهد: ٥ شارع البستان، وسط المدينة، القاهرة

ت: ٥٧٥٩٨٧٧، ٥٧٥٩٨٧٦، فاكس: ٥٧٧١٦٠

موقع معهد جوته بالقاهرة / الإسكندرية: <http://www.goethe.de/cairo>

Adresse der Programmabteilung: 5 Sh. Bustan, Downtown, Kairo

Tel.: 5759877, 5748261, Fax: 5771140

Homepage des Goethe-Instituts Kairo/Alexandria: <http://www.goethe.de/cairo>

كشاف تحليلي بالأعمال الأدبية المعاصرة المترجمة من العربية إلى الألمانية

Das Buch der Schicksale Roman Übers.: Doris Kilias Beck, München 2001	رسالة البصائر في المصائر رواية ترجمة: دوريس كيلياس بيك، ميونيخ ٢٠٠١	أبجد	يحيى الطاهر عبد الله الطوق والأسود / تصاوير من الماء والتراب والشمس روايات، ترجمة: هارتموت فندريش وإرمنغارد شراند لينوس، بازل ١٩٨٩
Al-Hakim, Taufiq Staatsanwalt unter Fellachen Roman Übers.: Horst Lothar Teweit Unionsverlag, Zürich 1982	توفيق الحكيم يوميات نائب في الأرياف رواية ترجمة: هورست لوتار تيفلايت اوتيون، زوريخ ١٩٨٢	أبجد	صلاح عبد الصبور مسافر ليل كوميديا سوداء عربي/ألماني ترجمة: ديتليند شاك ديتسون أوريينت، برلين ١٩٨٢
Al-Kaid, Jussuf Masri, der Mann aus dem Delta Roman Übers.: Doris Kilias Aufbau Taschenbuch Verlag, Berlin 1993	يوسف القعيد الحرب في بر مصر رواية ترجمة: دوريس كيلياس أوفباو، برلين ١٩٩٣	أبجد	صلاح عبد الصبور مسافر ليل كوميديا سوداء عربي/ألماني ترجمة: ديتليند شاك ديتسون أوريينت، برلين ١٩٨٢
Al-Machsang, Muhammad Eine blaue Fliege Kurzgeschichten Übers.: Hartmut Fähndrich Lenos, Basel 1987	محمد الخزنجي الآتي، رشق السكين قصص قصيرة ترجمة: هارتموت فندريش لينوس، بازل ١٩٨٧	أبجد	إبراهيم عبد المجيد البلدة الأخرى - رواية ترجمة: منى نجار هانس شيلر، برلين ٢٠٠٠
Al-Sajjat, Latifa Durchsuchungen Roman Übers.: Hartmut Fähndrich Lenos, Basel 1996	لطيفة الزيات حملة تفتيش. أوراق شخصية قصة واقعية ترجمة: هارتموت فندريش لينوس، بازل ١٩٩٦	أبجد	إبراهيم عبد المجيد البلدة الأخرى - رواية ترجمة: منى نجار هانس شيلر، برلين ٢٠٠٠
Al-Tahawi, Miral Das Zelt Roman Übers.: Doris Kilias Unionsverlag, Zürich 2001	ميرال الطحاوي الخيام رواية ترجمة: دوريس كيلياس اوتيون، زوريخ ٢٠٠١	أبجد	إبراهيم عبد المجيد البلدة الأخرى - رواية ترجمة: منى نجار هانس شيلر، برلين ٢٠٠٠
Die blaue Aubergine Roman Übers.: Doris Kilias Unionsverlag, Zürich 2002	الباذنجانة الزرقاء رواية ترجمة: دوريس كيلياس اوتيون، زوريخ ٢٠٠٢	أبجد	إبراهيم عبد المجيد البلدة الأخرى - رواية ترجمة: منى نجار هانس شيلر، برلين ٢٠٠٠
Al-Tilmissani, Majj Dunjasd Erzählung Übers.: Hartmut Fähndrich Lenos, Basel 1999	مي التلمساني دنيا زاد رواية ترجمة: هارتموت فندريش لينوس، بازل ١٩٩٩	أبجد	إبراهيم عبد المجيد البلدة الأخرى - رواية ترجمة: منى نجار هانس شيلر، برلين ٢٠٠٠
Aslan, Ibrahim Der Ibis Roman Übers.: Doris Kilias Lenos, Basel 2002	إبراهيم أصلان مالك الحزين رواية ترجمة: دوريس كيلياس لينوس، بازل ٢٠٠٢	أبجد	إبراهيم عبد المجيد البلدة الأخرى - رواية ترجمة: منى نجار هانس شيلر، برلين ٢٠٠٠

ÄGYPTEN

Abdallah, Jachja Taher

Menschen am Nil

Zwei Novellen

Übers.: Hartmut Fähndrich

u. Irmgard Schrand

Lenos, Basel 1989

Abd As-Sabur, Salah

Der Nachtreisende

Eine schwarze Komödie

Dt./Arab.

Übers.: Dietlind Schack

Edition Orient, Berlin 1982

Der Tod des Mystikers

Schauspiel

Übers.: Nagi Naguib

u. Stefan Reichmuth

Edition Orient, Berlin 1981

Abdalmagid, Ibrahim

Die andere Stadt - Roman

Übers.: Mona Naggar

Das Arabische Buch (jetzt: Hans

Schiler), Berlin 2000

Al-Charrat, Edwar

Safranerde - Roman

Übers.: Hartmut Fähndrich

Lenos, Basel 1990

Die Steine des Bobello

Roman

Übers.: Hartmut Fähndrich und

Edward Badeen

Lenos, Basel, 2000

Farag, Alfred

At-Tabrizi und sein Knecht

Schauspiel

Übers.: Nagi Naguib

Edition Orient 1982

Al-Ghtani, Gamal

Der safranische Fluch

Roman

Übers.: Doris Kilias

Volk und Welt, Berlin 1991

Seini Barakat - Roman

Übers.: Hartmut Fähndrich

Lenos, Basel 1988



Idris, Jussuf
Die billigsten Nächte
Kurzgeschichten
Übers.: Doris Erpenbeck,
Moustafa Maher,
Horst Lothar Teweleit
Aufbau-Verlag Berlin und
Weimar 1977

Die Sinderin – Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1995

Ein fleischliches Haus
Kurzgeschichten
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 2002

Machfus, Nagib
Der Dieb und die Hunde
Roman
Übers.: Doris Erpenbeck
Verlag Volk und Welt,
Berlin 1980

Die Moschee in der Gasse
Erzählungen
Übers.: Wiebke Walther
Unionsverlag, Zürich 1988

Das Hausboot am Nil – Roman
Übers.: Nagi Naguib
Edition Suhrkamp,
Frankfurt 2004

Zwischen den Palästen
Kairoer Trilogie I
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1992

Palast der Sehnsucht
Kairoer Trilogie II
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1993

يوسف إدريس
مختارات قصصية
قصص قصيرة

ترجمة: دوريس أرنهيك,
مصطفى ماهر
هورست لوتار تيفلايت
أوفياو. برلين وفايمار ١٩٧٧

الحرام - رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٥

بيت من لحم
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠٢

نجيب محفوظ
اللس والكلاب
رواية

ترجمة: دوريس أرنهيك
فولك أونديفيلت,
برلين ١٩٨٠

دنيا الله
قصص قصيرة
ترجمة: فيكه فالتر
اونيون، زوريخ ١٩٨٨

ثرثرة فوق النيل - رواية
ترجمة: ناجي نجيب
اديتسيون زوركامب,
فراانكفورت ٢٠٠٤

بين القصرين
ثلاثية (١)
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٢

قصر الشوق
ثلاثية (٢)
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٣

Die Spatzen vom Nil
Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 2004

Bakr, Salwa
Atijas Schrein – Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1992

Die einzige Blume im Sumpf
Kurzgeschichten
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1994

Der goldene Wagen fährt nicht
zum Himmel – Roman
Übers.: Evelyn Agharia
Lenos, Basel 1997

Quth, Sayyid
Kindheit auf dem Lande
Erinnerungen
Übers.: Horst Hein
Edition Orient, Berlin 1997

Ellabbad, Mohieddin
Das Notizbuch des Zeichners
Kinderbuch
Übers.: Burgi Roos
Atlantis Verlag pro junventude,
Zürich, 2002

Hakki, Yahya
Die Öllampe der Umm Haschim
Erzählung, Arab./Dt
Übers.: Nagi Naguib
Edition Orient, Berlin 1981

Hussain, Taha
Kindheitstage
Autobiographische Erzählung,
Übers.: Marianne Lapper
Aufbau-Verlag Berlin und
Weimar, 1973

Jugendjahre in Kairo
Autobiografischer Roman
Übers.: Mustafa Maher
Edition Orient, Berlin 1986

Weltbürger zw. Kairo u. Paris
Erzählung
Übers.: Mustafa Maher
Edition Orient, Berlin 1989

Ibrahim, Sonallah
Der Prüfungsausschuss
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1987

عصافير النيل
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لينوس، بازل ٢٠٠٤

سلوى بكر
مقام عمليّة - رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٢

قصص مختارة
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٤

العربة الذهبية لا تصعد
إلى السماء - رواية
ترجمة: اغياريا اغياريا
لينوس، بازل ١٩٩٧

سيد قطب
طفل من القرية
مذكرات
ترجمة: هورست هين
اديتسيون أورييت، برلين ١٩٩٧

محي الدين الليباد
كشكول الرسام
قصة للأطفال
ترجمة: بورغي روس
اتلاتيتيس، زوريخ ٢٠٠٢

يحيى حقي
قتديل أم هاشم
رواية، عربي/ألماني
ترجمة: ناجي نجيب
اديتسيون أورييت، برلين ١٩٨١

هله حسين
الأيام (١)
سيرة ذاتية
ترجمة: ماريانه لاپر
أوفياو، برلين وفايمار ١٩٧٢

الأيام (٢)
سيرة ذاتية
ترجمة: مصطفى ماهر
اديتسيون أورييت، برلين ١٩٨٦

الأيام (٣)
سيرة ذاتية
ترجمة: مصطفى ماهر
اديتسيون أورييت، برلين ١٩٨٩

صنع الله إبراهيم
اللجنة
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٨٧

Echnaton
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag TB, Zürich 2001

Der letzte Tag des Präsidenten
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 2001

Die Midaq-Gasse
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 2001

Miramar
Roman
Übers.: Wiebke Walther
Unionsverlag, Zürich, 2002

Der Rausch
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich, 2003

Spiegelbilder
Roman
Übers.: Doris Kilias
Illustrationen: Saif Wanli
Unionsverlag, Zürich 2002

Die Kneipe zur Schwarzen Katze
Erzählungen
Übers.: Doris Kilias
Volk und Welt, Berlin 1993

Die segensreiche Nacht
Erzählungen
Übers.: H. Fühndrich
u. Wiebke Walther
Unionsverlag, Zürich 1994

Mussa, Sabri
Wüstenwölfe – Roma
Übers.: Regina Karachouli
Reclam, Leipzig 1991

Saat des Verderbens
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel, 2003

Affäre halber Meter
Erzählung
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 2004

Ragab, Mona
Das Maskenspiel - Erzählungen
Übers.: Nermin Sharkawi
Dipa-Verlag, Frankfurt a.M. 1991

العائش في الحقيقة
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ٢٠٠١

يوم قتل الزعيم
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ٢٠٠١

زقاق المدق
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ٢٠٠١

ميرامار
رواية
ترجمة: فيبكه فالتر
اونيون، زوريخ، ٢٠٠٢

الشحاذ
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ٢٠٠٢

المرايا
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
رسوم: سيف وانلي
اونيون، زوريخ ٢٠٠٢

قصص قصيرة
مجموعة قصص
ترجمة: دوريس كيلياس
فولك اوند فيلت، برلين ١٩٩٣

قصص مختارة
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
وفيبكه فالتر
اونيون، زوريخ ١٩٩٤

صبري موسى
فساد الأمكنة - رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
ريكلام، لايبزغ ١٩٩١

فساد الأمكنة
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٣

حادثة النصف متر
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٤

منى رجب
مختارات قصصية
ترجمة: نرمين شرفاوي
ديبا، فرانكفورت ١٩٩١



Zuckerglässchen
Kairoer Trilogie III
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1994

Das Lied der Bettler
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1995

Die Kinder unseres Viertels
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1995

Die Reise des Ibn Fattouma
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 2004

Echo meines Lebens
Autobiographie
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1997

Die Spur
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1997

Ehrenwerter Herr
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 1998

Die Nacht der Tausend Nächte
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 2000

Anfang und Ende
Roman
Übers.: Doris Kilias
Unionsverlag, Zürich 2000

المسكرية
ثلاثية (٢)
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٤

الحرافيش
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٥

أولاد حازرتا
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٥

رحلة ابن فطومة
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ٢٠٠٤

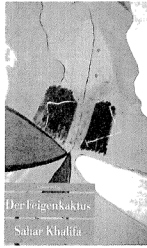
أصداء السيرة الذاتية
سيرة ذاتية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٧

الطريق
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٧

حضرة المحترم
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ١٩٩٨

ألف ليلة وليلة
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ٢٠٠٠

بداية ونهاية
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
اونيون، زوريخ ٢٠٠٠



Übers.: Petra Dünnes
Edition Orient, Berlin 2004

Taher, Baha
Tante Safiya und das Kloster
Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 2003

ALGERIEN

Boudjedra, Rachid
Befruchtung
Gedichte
Übers.: Issam Beydoun
Kinzelsbach, Mainz 1991

Timimoun – Roman
Übers.: Hatem Lahmar
und Tina Aschenbach
Kinzelsbach, Mainz 1995

Die Auflösung
Roman
Übers.: Monika Hoffmann
und Salah Tamen
Kinzelsbach, Mainz 1996

Die Zerfaserung
Roman
Übers.: Farid Benfeghoul
Kinzelsbach, Mainz 1997

Die 1001 Jahre der Sehnsucht
Übers.: Nuha Forst
und Angelika Rahmer
Kinzelsbach, Mainz 1999

Laredsch, Wassini
Die Hüterin der Schatten oder Don
Quichotte in Algier
Roman
Übers.: Kristina Stock
Lenos, Basel 1999

ترجمة: بيتر دونفس
إديتسيون أوريينت، برلين ٢٠٠٤

بهاء طاهر
خاتني صافية والدبير
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لينوس، بازل ٢٠٠٣

الجزائر

رشيد بوجدر
الفتاح
شعر

ترجمة: عصام بيضون
كينتسلباخ، ماينتس ١٩٩١

تيميمون - رواية
ترجمة: حاتم الأحمر
و تينا أشنباخ
كينتسلباخ، ماينتس ١٩٩٥

المراث
رواية
ترجمة: مونيك هوفمان
و صلاح تامن
كينتسلباخ، ماينتس ١٩٩٦

التفكك
رواية
ترجمة: فريد بنفغول
كينتسلباخ، ماينتس ١٩٩٧

ألف عام وعام من الحنين
ترجمة: نهى فورست
و أنجليكا رامر
كينتسلباخ، ماينتس ١٩٩٩

واسيني الأعرج
حارسة الظلال
دون كيشوت في الجزائر
رواية
ترجمة: كريستينا شتوك
لينوس، بازل ١٩٩٩

Rifaat, Alfia
Erste Liebe - letzte Liebe
Erzählungen
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1989

Die Mädchen von Burdain
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Unionsverlag, Zürich 1995

Zeit der Jasminblüte
Erzählungen
Übers.: Nagi Naguib
Unionsverlag, Zürich 1990

Die zweite Nacht nach tausend
Nächten - Erzählungen
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1991

Saadawi, Nawal El
Ein moderner Liebesbrief
Erzählungen
Übers.: Yasmeen Ammar
Rowohlt, Hamburg 1987

Hamidas Geschichte
Erzählung
Übers.: Susanne Enderwitz
dtv, München, Neuaufl. 1994

Kassem, Abdalhakim
Der Erwählte / Selsemes vom
Jenseits – Erzählungen
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 2004

Abbas, Khaled
Taubenturm
Roman
Übers.: Barbara Winkler
und Khaled Abbas
Kiepenheuer & Witsch,
Köln 2004

Bary, Tarik
Der König der Dinge
Roman für Kinder
Übers.: Doris Kilias
Atlantis Verlag - Orell Füssli,
Zürich 2004

Shoukry, Girgis
Was von uns übrig bleibt,
kümmt niemanden - Gedichte
Übers.: Suleman Taufiq
Verlag Sabon, St. Gallen 2004

Taher, Walid
Mein neuer Freund
Kinderbuch

أثينة رفعت

أول حب - آخر حب
قصص قصيرة
ترجمة: سليمان توفيق
إديتسيون أوريينت، برلين ١٩٨٩

صبايا بربردين
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
اوينيون، زوريخ ١٩٩٥

موسم الياسمين
قصص قصيرة
ترجمة: ناجي نجيب
اوينيون، زوريخ ١٩٩٠

الليلة الثانية بعد ألف
قصص قصيرة
ترجمة: سليمان توفيق
إديتسيون أوريينت، برلين ١٩٩١

نوال السعداوي
موت معالي الوزير سابقا
قصص قصيرة
ترجمة: ياسمين عمار
روفرولت، هامبورغ ١٩٨٧

أغنية الأطفال الدائرية
رواية
ترجمة: زوزانا اندريويش
د ت ف، ميونيخ ١٩٩٤

عبد الحكيم قاسم
الهندي / طرف من خبر الآخرة
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠٤

خالد عباس
برج الحمام
رواية
ترجمة: بريار فينكلر
و خالد عباس
كيبهوير و فيتش،
كولن ٢٠٠٤

طارق ياري
ملك الأشياء
رواية للأطفال
ترجمة: دوريس كيلياس
أتلانتيس - أورل فوسلي،
زوريخ ٢٠٠٤

جرجس شكري
لم تعد بقايانا مدهشة
شعر
ترجمة: سليمان توفيق
سابون، سانت غال ٢٠٠٤

وليد طاهر
صاحبي الجديد
قصص للأطفال

Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Stefan Linster
Das Arabische Buch, Berlin 1994

ترجمة: خالد المعالي
و شتيفان لينستر
هانس شيلر، برلين ١٩٩٤

Das halbe Sein
Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Mitw. v. I. Knips u. H. Zierl
edition fundamental,
Köln 1993

الوجود النصفى
ترجمة: خالد المعالي
مع إ. كنيس وه. شيرل
إديسيون فوندامنتال،
كولونيا ١٩٩٣

Klage eines Kehlkopfes
Gedichte
Übers.: Khalid Al-Maaly u. Mitw.
v. I. Knips, Stefan Linster
u. Hiltrud Zierl
edition fundamental,
Köln 1992

في رثاء كهلح
شعر
ترجمة: خالد المعالي
بالاشتراك مع إ. كنيس
وشتيفان لينستر و هيلترود شيرل
إديسيون فوندامنتال،
كولونيا ١٩٩٢

Landung auf dem Festland
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, Berlin 1997

الهبوط على اليابسة
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المعالي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين ١٩٩٧

Mitternachtswüste
Gedichte
Übers.: Khalid Al-Maaly
u. Mitw. v. Gisela Haehnel
u. Stefan Linster,
Mit Ill. v. Hayder Amir
Landespresse,
Weilerswist 1997

صحراء منتصف الليل
شعر
ترجمة: خالد المعالي
بالاشتراك مع جيزيلا هينل
وشتيفان لينستر
رسوم: حيدر أمير
لانديسبريسه،
فايلرسفيست ١٩٩٧

Eine Phantasie aus Schilf
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Stefan Weidner
Das Arabische Buch, Berlin 1994

خيال من قصب
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المعالي
وشتيفان فايندر
هانس شيلر، برلين ١٩٩٤

Al-Rubale, Abdulrahman
Solange die Sonne noch scheint
Erzählungen, Arab./Dt.
Übers.: Kristina Stock
Edition Orient, Berlin 2004

عبد الرحمن الربيعي
مختارات قصصية
قصص، عربي/ألماني
ترجمة: كريستينا شتوك
إديسيون أورينت، برلين ٢٠٠٤

As-Sayyab, Badr Shakir
Die Regenhymne
Gedichte, Arab./Dt.
Hrsg. u. Übers.: Khalid al-Maaly
u. Stefan Weidner
Das Arabische Buch, Berlin 1995

بدر شاكر السياب
انشودة المطر
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المعالي
و شتيفان فايندر
هانس شيلر، برلين ١٩٩٥

Boulos, Sargon
Ein unbewohnter Raum
Erzählungen, Arab./Dt.
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Meerbusch Berlin
1996

سركون بولس
غرفة مهجورة
قصص، عربي/ألماني
ترجمة: سليمان توفيق
إديسيون أورينت، ميربوش،
برلين ١٩٩٦

Zeugen am Ufer
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly

شهود على الضفاف
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: خالد المعالي



Wattar, Tahir
Maultierhochzeit
Roman
Übers.: Helga Walter
Edition Orient, Berlin 1991

الطاهروطار
عرس بغل
رواية
ترجمة هيلغا فالتر
إديسيون أورينت، برلين ١٩٩١

Das Erdbenen – Roman
Übers.: Helga Walter
Edition Orient,
Meerbusch (jetzt: Berlin), 1995

الززال – رواية
ترجمة: هيلغا فالتر
إديسيون أورينت،
ميربوش/برلين ١٩٩٥

IRAK

العراق

Al-Azzawi, Fadhil
Auf einem magischen Fest
Gedichte
Übers.: Fadhil Al-Azzawi
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch (jetzt: Hans
Schiler), Berlin 1998

فاضل العزاوي
في حفلة سحرية
شعر
ترجمة: فاضل العزاوي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين ١٩٩٨

Al-Bayyati, Abdul-Wahab
Aischas Garten – Gedichte
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch (jetzt:
Hans Schiler), Berlin 2002

عبد الوهاب البياتي
بستان عائشة
شعر
ترجمة: خالد المعالي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين ٢٠٠٢

Al-Dahoodi, Zuhdi
Abschied von Ninive
Übers.: Zuhdi al-Dahoodi
Internationales Kulturwerk,
Hildesheim, 2001

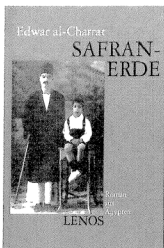
زهدي الداودي
وسملا نينوى
ترجمة: زهدي الداودي
انترناتسيونال كولتورفيرك،
هيلديسهايم ٢٠٠١

Al-Deschanabi, Abdalkader
Vertikale Horizonte. Von Bagdad
nach Paris – Autobiographie
Übers.: Larissa Bender
und Hartmut Pähndrich
Lenos, Basel 1997

عبد القادر الجنابي
تربية عبد القادر الجنابي
سيرة ذاتية
ترجمة: لاريسا بندر
و هارتموت فاندريش
لنوس، بازل ١٩٩٧

Al-Maaly, Khalid
Gedanken über das Lauwarne
Gedichte

خالد المعالي
أفكار عن الفار
شعر



Sahras Geschichte
Roman
Übers.: Veronika Theis
Lenos, Basel 1989

Zwei Frauen am Meer
Roman
Übers.: Hartmut Fähndrich
marebuchverlag, Hamburg 2002

Al-Daif, Raschid
Lieber Herr Kawabata
Roman
Übers.: Hartmut Fähndrich
Lenos, Basel 1998

Al-Hadjj, Unsi
Die Liebe und der Wolf -
Die Liebe und die Anderen
Gedichte, Arab. / Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, Berlin 1998

Baalabakki, Laifa
Ich lebe - Roman
Übers.: Leila Chamman
Lenos, Basel 1994

Dawud, Hassan
Der Gesang des Pinguins
Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 2000

Tage zuviel
Roman
Übers.: Hartmut Fähndrich
Lenos, Basel 2002

Gibran Khalil Gibran
Liebesbriefe an May Ziadeh
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 2000

حكاية زهرة
رواية
ترجمة: فيرونیکا تیس
لینوس، بازل ۱۹۸۹

امرائان علی البحر
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
ماريوفرلاغ، هامبورغ ۲۰۰۲

رشيد الضعيف
عزيزي السيد كاواباتا
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لینوس، بازل ۱۹۹۸

أنسي الحاج
الحب والتغلب -
الحب والآخرين
شعر، عربي/المالي
ترجمة: خالد المعالي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين ۱۹۹۸

ليلى بعليكي
انا احيا - رواية
ترجمة: ليلى شماع
لینوس، بازل ۱۹۹۴

حسن داوود
غناء البطريق
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لینوس، بازل ۲۰۰۰

أيام زائدة
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لینوس، بازل ۲۰۰۲

جبران خليل جبران
رسائل حب إلى مي زيادة
ترجمة: أوزولا عساف نوافك
و. س. يوسف صاصاف
هالتر، زوريخ/دوسلدورف ۲۰۰۰

u. Stefan Weidner
Das Arabische Buch, Berlin, 1997

Mamduch, Alia
Mottenkugeln
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 1998

Die Leidenschaft
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 2004

Yussuf, Saadi
Fern vom ersten Himmel
Gedichte
Übers.: Khalid al-Maaly
und Heribert Becker
Verlag Hans Schiler, Berlin 2004

Wali, Najem
Krieg im Vergnügungsviertel
Roman
Übers.: J. Paul
Perspol, Hamburg 1989

Reise nach Tell al-Lahm
Roman
Übers.: Imke Ahlf-Wien
Hanser Verlag, München 2004

al-Saadi, Jamil Hussain
Der Nachlaß des
Glasperlenspieler - Roman
Übers.: Angela Tschornig
Papyrus, Hamburg 1995

KUWAIT

Al-Osman, Laifa
Die Wände zerreißen
Erzählungen
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1991

Zahra kommt ins Viertel
Erzählungen
Übers.: Angelika Rahmer und
Nuha Forst
Edition Orient, Meerbusch, Berlin
1993

LIBANON

Awwad, Taufik Jussuf
Tamima
Roman
Übers.: Wiebke Walter
Philipp Reclam jun., Leipzig 1983

و شتيفان هايدنر
هانس شيلر، برلين ۱۹۹۷

عالية ممدوح
حبات التفتالين
رواية
ترجمة: ريچينا كرشولي
لینوس، بازل ۱۹۹۸

الولع
رواية
ترجمة: ريچينا كرشولي
لینوس، بازل ۲۰۰۴

سعدی يوسف
مختارات شعرية
شعر
ترجمة: خالد المعالي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين ۲۰۰۴

نجم والي
الحرب في حي الطرب
رواية
ترجمة: ي. باول
برسبول، هامبورغ ۱۹۸۹

تل النعم
رواية
ترجمة: إمكه ألف هين
هانز فيرلاغ، ميونيخ ۲۰۰۴

جميل حسين السعدي
طريقة لعب الكريات الزجاجية
رواية
ترجمة: أنجيلا تشورنيغ
بابيري، هامبورغ ۱۹۹۵

الكويت

ليلى العثمان
جدران تتمزق
قصص قصيرة
ترجمة: سليمان توفيق
اديتسيون اوريينت، برلين ۱۹۹۱

زهرة تدخل الحي
قصص قصيرة
ترجمة: أنجليكا رامر
و نهي فورست
اديتسيون اوريينت،
ميربوش، برلين ۱۹۹۳

لبنان

توفيق يوسف عواد
طواحين بيروت
رواية
ترجمة: عبيدة هالتر
ريكلام، لايبزيغ ۱۹۸۳

Das Tor zur Sonne – Roman
Übers.: Leila Chammaa
Klett Cotta, Stuttgart 2004

باب الشمس - رواية
ترجمة: ليلى شمع
كلت كوت، شتوتغارت ٢٠٠٤

Nasrallah, Emily
Kater Ziku lebt geföhrlieh
Übers.: Doris Kilias
Orel Fußli, Zürich 1998

إملي نصرالله
يوميات هر
ترجمة: دوريس كيلياس
أورل فوسلي، زوريخ ١٩٩٨

Flug gegen die Zeit
Roman
Übers.: Hartmut Föhndrich
Lenos, Basel 1991

الإقلاع عكس الزمن
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩١

Das Pfand – Roman
Übers.: Doris Kilias
Lenos, Basel 1996

الرهنينة - رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
لينوس، بازل ١٩٩٦

Septembervögel – Roman
Übers.: Veronika Theis
Lenos TB, Basel, 1996

طيور أيلول - رواية
ترجمة: فيرونكا تايس
لينوس ت ب، بازل ١٩٩٦

Rifka, Fuad
Das Tal der Rituale
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Ursula u. Simon
Yussuf Assaf
sowie Stefan Weidner
Straelener Manuskripte,
Straelen 2002

فؤاد رفقة
وادي اللقوس
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: أورولا
و سيمون يوسف عساف
مع شتيفان فايندر
شترايلنر مانوسكربت،
شترايلن ٢٠٠٢

Tagebuch eines Holzsammlers
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Ursula u. Simon
Yussuf Assaf
Heiderhoff, Bisingen 1999

يوميات حطاب
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: أورولا
و سيمون يوسف عساف
هايدرهورف، آيزينغن ١٩٩٩

Tagebuch eines Indianers
Gedichte, Arab./Dt.
Übers.: Ursula u. Simon
Yussuf Assaf
Heiderhoff, Bisingen 1994

يوميات هندي أحرر
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: أورولا
و سيمون يوسف عساف
هايدرهورف، آيزينغن ١٩٩٤

Stjade, Chaled
Freitag, Sonntag
Autobiographie.
Übers.: Hartmut Föhndrich
Lenos, Basel 1996

خالد زيادة
يوم الجمعة، يوم الأحد
سيرة ذاتية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٦

Junis, Iman Humaidan
Wilde Maulbeeren
Roman
Übers.: Kristina Stock
Lenos, Basel 2004

إيمان حميدان يونس
توت بري
رواية
ترجمة: كريستينا شتوك
لينوس، بازل ٢٠٠٤

Jabir, Rabi
Die Reisen des Mohammed aus
Granada
Roman
Übers.: Nermin Sherkawi
Verlag Hans Schiler, Berlin 2004

ربيع جابر
رحلة محمد الغرناطي
رواية
ترجمة: نرمن شرفاوي
هانس شيلر، برلين ٢٠٠٤



Die Musik/ Der Reigen.
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Ill. v. Francoise G. Hietstand
Walter, Zürich/ Düsseldorf
1998

الموسيقى / المواكب
ترجمة: أورولا عساف نوافك
و س. يوسف عساف
رسوم: ف. ج. هيتشتاند
فالتر، زوريخ/دوسلدورف
١٩٩٨

Die Nymphen der Täler
Drei Novellen
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Zürich/ Düsseldorf,
1999

عراس المروج
ثلاث روايات
ترجمة: أورولا عساف نوافك
و س. يوسف عساف
فالتر، زوريخ/دوسلدورف
١٩٩٩

Rebellische Geister
Geschichten
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 1993

الأرواح المتمردة
قصص قصيرة
ترجمة: أورولا عساف نوافك
و س. يوسف عساف
فالتر، زولوتورن ١٩٩٣

Gebrochene Flügel
Geschichten
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 1995

الأجنحة المتكسرة
قصص قصيرة
ترجمة: أورولا عساف نوافك
و س. يوسف عساف
فالتر، زولوتورن ١٩٩٥

Eine Träne und ein Lächeln
Gedichte
Übers.: Ursula Assaf-Nowak
u. S. Yussuf Assaf
Walter, Solothurn 1995

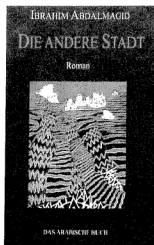
دعة وابسامة
شعر
ترجمة: أورولا عساف نوافك
و س. يوسف عساف
فالتر، زولوتورن ١٩٩٥

Khoury, Elias
Der geheimnisvolle Brief
Roman
Übers.: Leila Chammaa
Beck, München 2000

إلياس خوري
مجمع الأسرار
رواية
ترجمة: ليلى شمع
بيك، ميونيخ ٢٠٠٠

Das Königreich der Fremdlinge
Roman
Übers.: Leila Chammaa
Das Arabische Buch (jetzt:
Hans Schiler), Berlin 1998

ملكة الغريباء
رواية
ترجمة: ليلى شمع
هانس شيلر، برلين ١٩٩٨



Jean Genet und Tennessee
Williams in Tanger
Erzählung
Übers.: Doris Kilias
Kellner, Hamburg 1995

Zoco Chico
Roman
Übers.: Mona Naggar
Das Arabische Buch (jetzt:
Hans Schiler), Berlin 1998

PALÄSTINA

Bessies, Muin
Palästina im Herzen
Gedichte
Übers.: Johanna u. M. Haikal
Verlag Volk u. Welt,
Berlin 1982

Darwish, Mahmoud
Ein Gedichtnis für das Vergessen
Übers.: Kristina Stock
Lenos, Basel 2001

Warum hast du das Pferd allein
gelassen?
Gedichte, Arab / Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, Berlin 2003

Weniger Rosen
Gedichte, Arab / Dt.
Übers.: Khalid al-Maaly
u. Heribert Becker
Das Arabische Buch, 2002

Wir haben ein Land aus Worten
Gedichte, Arab / Dt.
Übers.: Stefan Weidner
Ammann, Zürich 2002

جان جنيت في طنجة/
تينسي وليامز في طنجة
رواية
ترجمة: دوريس كيلياس
كلتر، هامبورغ ١٩٩٥

السوق الداخلي
رواية
ترجمة: منى نجار
هانس شيلر، برلين ١٩٩٨

فلسطين

معين بسيسو
قصائد مختارة
ديوان شعر
ترجمة: يوهانا
ومصطفى هيكل
فولك اوند فيلت، برلين ١٩٨٢

محمود درويش
ذاكرة النسيان
ترجمة: كريستينا شتوك
لينوس، بازل ٢٠٠١

لماذا تركت الحصان وحيداً؟
شعر
عربي/الماني
ترجمة: خالد الماالي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين ٢٠٠٣

ورد اهل
شعر، عربي/الماني
ترجمة: خالد الماالي
و هريبرت بيكر
هانس شيلر، برلين ٢٠٠٢

لنا بلد من كلام
مختارات شعرية، عربي/الماني
ترجمة: شيفان فايدنر
امان، زوريخ ٢٠٠٢

Beydoun, Abbas
Eine Saison in Berlin
Übers.: Leila Chammaa
und andere
Edition Selene, Wien 2004

LIBYEN

Al-Koni, Ibrahim
Blutender Stein
Roman
Übers.: Hartmut Fährndrich
Lenos, Basel 1995

Goldstaub
Roman
Übers.: Hartmut Fährndrich
Lenos, Basel 1997

Nachtkraut
Roman
Übers.: Hartmut Fährndrich
Lenos, Basel 1999

Schlafloses Auge
Aphorismen aus der Sahara
Übers.: Hartmut Fährndrich,
Fotos: Alain Sèbe
u. Berny Sèbe
Lenos, Basel 2001

Die Magier
Übers.: Hartmut Fährndrich
Lenos, Basel 2001

Ein Haus in der Sehnsucht
Roman aus der Sahara
Übers.: Hartmut Fährndrich
Lenos, Basel, 2003

Die steinerne Herrin
Erzählung
Übers.: Hartmut Fährndrich
Lenos, Basel 2004

MAROKKO

Choukri, Mohamed
Das nackte Brot
Autobiographischer Roman u.
Erzählungen
Übers.: Georg Brunold
u. Viktor Kocher
Piper TB, München 1992

Zeit der Fehler
Kurzgeschichten
Übers.: Doris Kilias
Eichborn, Frankfurt a.M. 1994

عباس بيضون
مختارات شعرية
ترجمة: ليلي شامع
وأخرون
اديتسيون سيلينا، فيينا ٢٠٠٤

ليبيا

إبراهيم الكوني
نزيف الحجر
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٥

التبر
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٧
عشب الليل
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٩

نصوص مختارة
نصوص مختارة من: التاموس،
صحرائي الكبرى، ديوان البر
والبحر.. إلخ
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠١

المجوس
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠١

بيت في الدنيا وبيت في الحين
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠٢

السحرة
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠٤

المغرب

محمد شكري
الخبز الحافي
رواية - سيرة ذاتية
قصص قصيرة
ترجمة: جورج برونولد
و فيكتوريا كوخ
بيبر ت ب، ميونيخ ١٩٩٢

زمن الأخطاء
قصص قصيرة
ترجمة: دوريس كيلياس
أيشبورن، فرانكفورت ١٩٩٤

Was euch bleibt
Zwei Kurzromane
Übers.: Hartmut Fühndrich
u. Veronika Theis
Lenos TB, Basel 1985

Umm Saad / Rückkehr nach Haifa
Zwei Kurzromane
Übers.: Hartmut Fühndrich
u. Veronika Theis
Lenos TB, Basel 1986

Das Land der traurigen Orangen
Erzählungen
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos TB, Basel 1994

Bis wir zurückkehren
Erzählungen
Übers.: Hartmut Fühndrich
Lenos TB, Basel 1996

Khalifa, Sahar
Der Feigenkaktus
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
Unionsverlag, Zürich 1983

Die Sonnenblume
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
u. Edward Badeen
Unionsverlag, Zürich 1986

Memoiren
einer unrealistischen Frau
Roman
Übers.: Leila Chammaa
Unionsverlag, Zürich 1992

Das Tor
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Unionsverlag, Zürich 1994

Das Erbe
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Unionsverlag, Zürich 2002

Die Verheißung
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Unionsverlag, Zürich 2004

Wadi, Farouk
Häuser des Herzens
Roman
Übers.: Hassan Hamdan
Donata Kinzelbach Verlag,
Mainz 2004

ما تبقى لكم
روايات قصصيات
ترجمة: هارتموت فندريش
و هيرونيكا تايس
لينوس ت ب، بازل ١٩٨٥

أم سعد / عائد إلى حيفا
روايات قصصيات
ترجمة: هارتموت فندريش
و هيرونيكا تايس
لينوس ت ب، بازل ١٩٨٦

أرض البرتقال الحزين
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس ت ب، بازل ١٩٩٤

حتى نعود
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس ت ب، بازل ١٩٩٦

سحر خليفة
الصبار
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
اونيون، زوريخ ١٩٨٣

عباد الشمس
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
و إدوارد بادين
اونيون، زوريخ ١٩٨٦

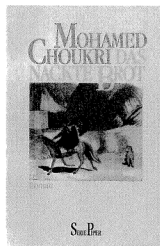
مذكرات امرأة غير واقعية
رواية
ترجمة: ليلى شماع
اونيون، زوريخ ١٩٩٢

باب الساحة
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
اونيون، زوريخ ١٩٩٤

الميراث
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
اونيون، زوريخ ٢٠٠٢

صورة وأيقونة وعهد قديم
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
اونيون، زوريخ ٢٠٠٤

فاروق وادي
منازل القلوب
رواية
ترجمة: حسن حمدان
دوناتا كينزلباخ، ماينتس ٢٠٠٤



Wo du warst und wo du bist
Ausgewählte Gedichte
Übers.: Adel Karacholi
Al Verlag, München 2004

Tagebuch der alltägl. Traurigkeit
Gedichte
Übers.: Farouk S. Beydoun
Verlag der Olivenblume,
Berlin 1987

Dschabra, Dschabra Ibrahim
Der erste Brunnen
Kindheitsgeschichte
Übers.: Kristina Stock
Lenos, Basel 1997

Das vierzigste Zimmer
Roman
Übers.: Heiko Wimmen
Lenos, Basel 1999

Habibi, Emil
Der Peptimist oder Von
den seltsamen Vorfällen um
das Verschwinden von Said
des Glücklosen
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich,
Angelika Neuwirth u.a.
Lenos, Basel 1992

Das Tal der Dschinnen
Roman
Übers.: Hartmut Fühndrich
u. Edward Badeen
Lenos, Basel 1993

Sarāja, das Dämonenkind
Übers.: Nuha Forst, Angelika
Rahmer u. Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1998

Kanafani, Ghassan
Männer in der Sonne /

أين كنت وأين أنت
مختارات شعرية
ترجمة: عادل قرشولي
١ آ ميونخ ٢٠٠٤

يوميات الحزن العادي
شعر
ترجمة: فاروق س. بيضون
فيرلاغ أوليفنبوم،
برلين ١٩٨٨

جبرا ابراهيم جبرا
البشر الأولى
قصة طفولة في فلسطين
ترجمة: كريستينا شتوك
لينوس، بازل ١٩٩٧

الغرف الأخرى
رواية
ترجمة: هايكو فيمن
لينوس، بازل ١٩٩٩

إميل حبيبي
الوقائع الغريبة في اختفاء
سعيد أبي النحس المتشائل
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
و أنجليكا نويغفرت،
وأخرون
لينوس، بازل ١٩٩٢

إخطية
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
و إدوارد بادين
لينوس، بازل ١٩٩٣

سرايا بنت الغول
ترجمة: نهى فورست، أنجليكا
رامر و هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٨

غسان كنفاني
رجال في الشمس /



Die Farbe der Ferne
Moderne arabische
Dichtung
Herausgegeben von
Stefan Weidner

C.H.Beck



Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 2000

ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ٢٠٠٠

Das Palmenhaus
Roman
Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 2004

بيت النخيل
رواية
ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ٢٠٠٤

Al-Faituri, Mohammed
Musik eines wandernden Darwischs
Gedichte
Übers.: Johann und M. Haikal
Volk und Welt, Berlin 1987

محمد الفيتوري
معزوفة لدرويش متجول
شعر
ترجمة: يوهانا و مصطفى هيكال
هولك أونند فيلت، برلين ١٩٨٧

SYRIEN

سوريا

Adonis
Der Baum des Orients
Gedichte
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1989

أدونيس
شجرة الشرق
شعر
ترجمة: سليمان توفيق
اديتسيون اوريينت، برلين ١٩٨٩

Die Gesänge Mihiyrs
des Damaszeners
Gedichte, Arab./ Dt.
Übers.: Stefan Weidner
Ammann, Zürich 1998

أغاني مهيار الدمشقي
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: شتيفان فايندر
أمان، زوريخ ١٩٩٨

Ein Grab für New Yourk
Gedichte, Dt./Arab.
Übers.: Stefan Weidner
Ammann Verlag, Zürich 2004

هذا هو اسمي
شعر، عربي/ألماني
ترجمة: شتيفان فايندر
أمان، زوريخ ٢٠٠٤

Mina, Hanna
Bilderreste
Roman
Übers.: Angela Tschorsch
unter Mitw. v. Peter Lober
Lenos, Basel 1994

حنا ميناء
بقايا صور
رواية
ترجمة: أنجليكا تشورسنيغ
و بيتر لوبر
لينوس، بازل ١٩٩٤

Sonne an bewölkttem Tag
Roman
Übers.: Regina Karashouli
Lenos, Basel 2003

الشمس في يوم غائم
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٣

Munif, Abdalrachman
Östlich des Mittelmeers
Roman
Übers.: Larissa Bender
Lenos, Basel 1995

Geschichte einer Stadt
Autobiographie
Übers.: Larissa Bender
u. Hartmut Fühndrich
Lenos, Basel 1996

Am Rande der Wüste
Roman
Übers.: Petra Becker
Lenos, Basel 2000

Salzstädte
Roman
Übers.: Larissa Bender
u. Magda Barakat
Diederichs Verlag, München 2003

SUDAN

السودان

Tajjib, Salih
Zeit der Nordwanderung
Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 1998

الطيب صالح
موسم الهجرة إلى الشمال
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ١٩٩٨

Eine Handvoll Datteln
Erzählungen
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 2000

دومة ود حامد
قصص قصيرة
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٠

Bandarschah – Roman
Übers.: Regina Karachouli
Lenos, Basel 2001

بندر شاه - رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠١

Sains Hochzeit
Roman
Übers.: Regina Karashouli
Lenos, Basel 2004

عرس الزين
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
لينوس، بازل ٢٠٠٤

Eltayeb, Tarek
Ein mit Tauben und Gurren
gefüllter Koffer
Gedichte und Prosa, Arab./Dt.,
Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 1999

طارق الطيب
حقيرة مملوءة بجمام وهديل
قصائد ونصوص
ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ١٩٩٩

Aus dem Teppich meiner Schatten
Gedichte
Übers.: Ursula Eltayeb
Edition selene, Wien 2002

تغليصات
قصائد
ترجمة: أورولا الطيب
اديتسيون سيلينا، فيينا ٢٠٠٢

Städte ohne Dattelpalmen
Roman

مدن بلا نخيل
رواية

Taufiq, Suleman
Im Schatten der Gasse
Erzählung, Arab./Dt.
Edition Orient, Berlin 1992

Oh wie schön ist Fliegen oder
Wie die Ente den Mond sucht
Märchen, Arab./Dt.,
Ill. v. Christine Bülow
Edition Orient, Berlin 2002

Awad, Fouad
Am Achten Tag
Lyrik
Übers.: Awad, Fouad
Hans Schiler, Berlin 1994

سليمان توفيق
في ظل الزقاق
قصص، عربي/الماني
ايديسيون اورينت، برلين ١٩٩٢

ما أجمل الطيران عائياً أو
كيف بحثت البطة عن القمر
قصة خيالية، عربي/الماني
رسوم: كريستينه بولوف
ايديسيون اورينت، برلين ٢٠٠٢

فؤاد عواد
في اليوم الثامن
شعر
ترجمة: فؤاد عواد
هانس شيلر، برلين ١٩٩٤

TUNESIEN

Mosbahi, Hassouna
Der grüne Esel
Erzählungen
Übers.: Regina Karachouli
A 1, München 1996

Rückkehr nach Tarschisch
Roman
Übers.: Regina Karachouli
A 1, München 2000

Ölbaum der Kamele
Übers.: Erdmute Heller
u. Mohamed Zrouki
A 1, München 2001

Adieu Rosalie
Roman
Übers.: Erdmute Heller
A1 Verlag, München 2004

Nasr, Hassan
Dar al-Pascha
Roman
Übers.: Hartmut Fähndrich
Lenos, Basel 2001

تونس

حسن مصلحي
الحمار الأخضر
قصص قصيرة
ترجمة: ريجينا قرشولي
١. ١ ميونخ ١٩٩٦

هلوسات ترشيش
رواية
ترجمة: ريجينا قرشولي
١. ١ ميونخ ٢٠٠٠

مختارات قصصية
ترجمة: اردموت هيلر
و محمد زروقي
١. ١ ميونخ ٢٠٠١

وداعاً روزالي
رواية
ترجمة: اردموت هيلر
١. ١ ميونخ ٢٠٠٤

حسن نصر
دار الباشا
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ٢٠٠١

ملاحظة: أسقطنا من هذه القائمة كل الأنطولوجيات
التي صدرت في السنوات الأخيرة.



Samman, Ghada
Alptraum in Beirut
Roman
Übers.: Veronika Theis
Lamuv Verlag,
Bornheim-Merten 1988

Mit dem Taxi nach Beirut
Roman
Übers.: Suleman Taufiq
Edition Orient, Berlin 1990

Tamer, Sakarija
Frühling in der Asche
Kurzgeschichten
Übers.: Wolfgang Werbeck
Lenos, Basel 1987

Die Hinrichtung des Todes
Kurzgeschichten
Übers.: Hartmut Fähndrich
u. Ulrike Stehli-Werbeck
Lenos, Basel 2004

Naana, Hamida
Keine Räume mehr zum Träumen
Roman
Übers.: Hartmut Fähndrich
Lenos, Basel 1994

Barakat, Salim
Der eiserne Grashüpfer
Kindheitserinnerungen
Übers.: Burgi Roos Khalil
Lenos, Basel 1995

Die Spiele der jungen
Hähne
Roman einer Jugend
Übers.: Burgi Roos
Beck, München 2000

غادة السمان
كوابيس بيروت
رواية
ترجمة: فيرونیکا تايس
لاموف،
بورنهيم ميرتن ١٩٨٨

بيروت ٧٥
رواية
ترجمة: سليمان توفيق
ايديسيون اورينت، برلين ١٩٩٠

زكريا تامر
ربيع في الرماد
قصص قصيرة
ترجمة: فولفغانغ فيرييك
لينوس، بازل ١٩٨٧

مختارات قصصية
قصص قصيرة
ترجمة: هارتموت فندريش
وأولريكة شتلي فيرييك
لينوس، بازل ٢٠٠٤

حميدة نعنec
من يجرؤ على الشوق
رواية
ترجمة: هارتموت فندريش
لينوس، بازل ١٩٩٤

سليم بركات
الجندب الحديدي
ذكريات طفولة
ترجمة: بورغي روس خليل
لينوس، بازل ١٩٩٥

هاته عائياً، هات النفير
على آخره
رواية
ترجمة: بورغي روس
بيك، ميونخ ٢٠٠٠

Qantara.de

الم الإسلامي

قنطرة

حوار مع العالم

موقع إلكتروني يهد
جسراً إلى العالم الإسلامي



German Version: <http://www.qantara.de/de>

ما هو دور الأدب المترجم في التقارب
بين الحضارات؟ هل تركيا جزء من أوروبا؟
ما هي مخاوف الألبان والعرب من العولمة؟
هذه هي بعض الأسئلة التي يتناولها موقع قنطرة.



Arabic Version: <http://www.qantara.de/ar>

نطرح باللغة الألمانية والعربية والإنكليزية قضايا
سياسية وثقافية واجتماعية ودينية تهم ألمانيا
والعالم الإسلامي على حد سواء. نقدم مبادرات
وشخصيات ومشاريح تسعى إلى التفاهم بين
الشرق والغرب ولا نتردد عن فتح باب الجدل
حول مواضيع شائكة.



English Version: <http://www.qantara.de>

عنوانات أسرة التحرير:

Redaktion Qantara.de
c/o Deutsche Welle Online
Raderberggürtel 50
50968 Köln
Germany
E-Mail: kontakt@qantara.de

DW-WORLD.DE
DEUTSCHE WELLE

bpb:
Bundeszentrale für
politische Bildung

OECD INSTITUTE
INTER NATIONES

ifa

يشرف على موقع قنطرة: المركز الاتحادي للتعليم السياسي
وديويتشه فيله ومعهد غوته إنتر ناتيونس ومعهد العلاقات الخارجية



Werner Bloch فرنر بلوخ

مفاتيح الجنة

لماذا يتمتع الفنانون الإيرانيون بالحرية المطلقة؟

الفن في إيران يكاد ينطوي دائماً على مضامين سياسية. فهو يجسد المقاومة ضد الحكم القائم هناك؛ إنه يجسد المعارضة؛ ومن هنا فإنه يتجهج لعبة القط والفأر مع الرقابة التي تمارسها «وزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي» القوية النفوذ. وقبل فترة وجيزة تلقت الفنانة باراستو فاروهار Parastou Farouhr مكالمة هاتفية تطالبها بضرورة التخلي عن خطتها الرامية إلى عرض نتائجها الفني في طهران. وشرحت الفنانة، التي أغتيل والداه في سياق أعمال القتل البشعة التي مارسها جهاز الأمن الإيراني عام ١٩٩٦ بالجملة، موقفها حيال هذا التحذير فتقول: "إننا لا نريد، طبعاً، أن نُغلق دار العرض أو أن يتعرض الجمهور الزائر للضرب والإهانات"؛ وتواصل الفنانة حديثها قائلة، "ولذا فقد أخليت أطر اللوحات من الرسومات وعلقت الأطر فقط على الجدران". ولا مرأى في أننا هنا حيال فن قد خرج عن إطاره؛ إنه فن يدعو إلى شحذ الطاقات وتعزيز المقاومة حتى وإن توارى عن النظر".

ولكن، من أين تأتي الحيوية الحسنة والشاعرية، الفسورة إلى حد ما، في الفن الإيراني؟ وحسب ما يقوله المخرج السينمائي عباس كيياروستامي يكاد الفنان في

إضاءات



ميرزا مهتاج - تصوير تقليدي، 1913، إيران. Photo by: Fotager - The British Press Studio, 1913



House the Exhibition "Jahangir Ghalib" - Neue Postkarten Kabinett - Haus der Kulturen der Welt, Berlin 2013, 1st - 19.06.2014

البعيد"، بتنظيم أكبر وأروع معرض للفن الإيراني المعاصر عرفته أوروبا حتى هذا الحين، معرض لفن ينشر الدعاية ويفيض بالسخرية المرة.

وتندرج ضمن هذه الدعاية والسخرية ذلك التمثال البالغ ارتفاعه أربعة أمتار، والذي ينطوي على لغز محير للوهلة الأولى. فالتمثال يجسد مفتاحاً نُحِتَ على نحو لا يتم عن ذوق رفيع وزيّن بمصاييح تشير إلى الألوان الوطنية الإيرانية، وذلك كنصب تذكاري للحرب المشؤومة بين إيران والعراق. وكان المفتاح قد لعب دوراً في هذه الحرب، فقبل ذهابهم إلى ساحة الحرب للقتال ضد صدام حسين، رُوِّد جنود آية الله الخميني بمفاتيح صغيرة يسهل حملها ملونة بالأخضر والأبيض والأحمر؛ فهذه المفاتيح تفتح أمامهم أبواب الجنة على مصراعها، بناءً على ما قيل لهم.

وهناك أيضاً الصور التي رسمتها شاهدي غادريان لمختلف النساء. وكانت الفنانة قد حصلت على العديد من الأدوات المنزلية بمناسبة زواجها؛ ولأنها تكره الطبخ وما سواه من الأعمال المنزلية، لذا فإنها خلقت من هذه الأدوات أعمالاً فنية: فقد قام الحجاب بدور إطار خارجي يحيط، بدلاً عن الوجه، بالملوك أو بالمغلاة أو بإبريق الشاي أو بصحن الطعام. وتوحي هذه الأدوات المنزلية بالربع، فالبعض منها يترك المرأة تبدو كما لو كانت قد ارتدت كماتة تقي

إيران أن يتمتع بحرية مطلقة وذلك، وفي المقام الأول، لغياب الهياكل الحكومية من ناحية، ولعدم وجود ضغوط اقتصادية من ناحية أخرى. ويواصل هذا الفنان، الذي حصل على جائزة «السفعة الذهبية» في «مهرجان كان» السينمائي الدولي، شرحه فيقول بأنه، هو شخصياً، وعلى الرغم من الدعوات الكثيرة التي تلقاها مناشدة إياه للمجيء إلى فرنسا، لن يقوم، أبداً، بإخراج أفلامه في أوروبا، حيث تلعب الدولة والمؤسسات والموانئ المالية دوراً أكبر في تحديد مصير الفيلم من الدور الذي يلعبه المخرج نفسه: "إننا نتمتع في إيران بحرية وفرص لا يعثر عليها الفنان في أية بقعة أخرى من بقاع العالم".

هذه عبارات قوية، حاسمة، بلا مراء. فالصورة التي ترسمها وسائل الإعلام الغربية لإيران لا توحي بأن هذا البلد بالذات يتيح فرصاً لا تحدها حدود. ويرغم هذه الصورة أمست طهران الآن إحدى العواصم الحيوية على خريطة الفن العالمي. فقد "أضحى كل شيء يزخر بالطاقات، لقد صار المرء يلمس بكلتا يديه أن ثمة توتر ثقافي يضاهي، إلى حد ما، التوتر الثقافي الذي ساد في لندن أو نيويورك في سالف الزمن"، حسب ما تقوله روزة عيسى أيضاً؛ هذه السيدة التي قامت، بصفتها أمينة لدار الشفائف العالمية الكائن في برلين وتحت شعار «الجدار

على إنتاجهم الفني بصماتهم الذاتية. ويمكننا في هذا السياق أن نشير إلى شيرين نشأت؛ فهذه الفنانة، التي حازت على سمعة عالمية وأضحت أيقونة بالنسبة للكثيرين، ظلت على علاقة وثيقة بالمسائل التي تشغل بال المواطن الإيراني بالرغم من أنها تعيش في نيويورك. وكانت قد تناولت في شريط فيديو يحمل عنوان "مائج" موضوعاً يدور حول ذلك العرف الذي لا يزال يحرم على المطربات الغناء أمام الجمهور؛ ومع اعترافنا بأن الموضوع ليس جديداً، إلا أننا نرى في تناوله تعليقاً يأتلف كالية مع البرنامج الموسيقي الذي يشتمل عليه معرض "الجار البعيد" المقام في دار الثقافات العالمية في برلين.

وعلى روح استفزازية ينطوي عمل علي مهداوي أيضاً، فالفنان يعرض علينا هاهنا هياكل عظمية لجرذان وقطط مرتدية أثمن الملابس وأعلى القفاطين وواقفة على صحن صغيرة تدور حول نفسها انسجاماً مع إيقاعات تنطلق من ساعة كبيرة الحجم وتنتشر ملامح عيشة هادئة شبيهة بهدوء العيش الذي يخيم عادة على غرفة الطفل الصغير. وعلى ما يبدو أراد الفنان من هذه الهياكل العظمية أن تعبر عن رجال الدين - فالمرء يشاهد أسقفاً يقبض بيده على صليب - ولا مراء في أن الفنان أراد أن يعبر، من خلال الهياكل العظمية للجرذان والقطط، عن نظرتهم إلى قيمة رجال الدين في المجتمع. ومن نافلة القول التأكيد هنا على أن الفنان ما قصد بتقييمه هذا المجتمع المسيحي أصلاً.

وكان نقد المجتمع القائم على النفاق والخداع، المجتمع الذي يتناسى جراحه النفسية، قد شكل مادة تناولها خسرو



روزه عبي، مظلمة للعرض. تصوير: Stelan Weidner

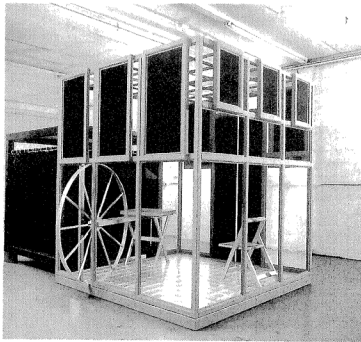
من الغايات السامة؛ ومع هذا، سرعان ما يكتشف المرء في هذه الشخصيات نسوة بأثبات أختصر وجودهن في الحياة على العمل المنزلي لا غير.

ولكن، ولأن الفنانين الإيرانيين يعبرون عن ذاتهم في المقام الأول، أي أنهم يهتمون عن وعي وإرادة بسيارتهم الذاتية وبالتحولات والأحداث السياسية في إيران، لذا فإنهم غالباً ما يكونون شاهداً موثقاً به وأصيلاً على نحو متميز وبالتالي فإنهم ليسوا بحاجة لمنافسة تلك الآلاف من جمهور الفنانين الأوروبيين والأمريكيين الذين لا يتركون

ميترا تبرزيزيان، «حراسة». Mitra Tabrizian: Überwachung

From the Exhibition: „Entfernte Nähe“. Neue Postionen Iranischer Künstler. Haus der Kulturen der Welt, Berlin 20.03.04 – 09.05.2004





صباح ارجواني العرة الزجاج لمص

Stah Armagun: The Glass Room for an Exile No. 2, 2003

From the Exhibition: „Entfernte Nahe“ Neue Postionen Iranische Kunstle
Haus der Kulturen der Welt, Berlin 20.03.04 – 09.05.2004

شاب ما صار يعرف "بالجل المغلوب على أمره". ويلمس المرء، اليوم، آثار هذه الحرب الضروس في كل حذب وصوب في إيران. وحسن زاده واحد من الفنانين قليلي العدد الذين أخذوا على عاتقهم إزاحة النقاب عن الخسائر البشرية والمادية والآثار النفسية التي ترتبت على هذه الكارثة. إن الفن الذي يتسجّه الفنانون الإيرانيون هو فن يسير على حافة الهاوية، يرقص على حبل رقيق. فهو لا يتناطح مع السلطة، لكنه يسحب من تحت قدميها البساط الذي تقف عليه. في برلين كان بوسع المرء، فعلاً، أن يمتنع نظرياً بهذا الفن المتزايد عنفواناً، لا سيما وأنه كانت هناك برامج مسرحية وسينمائية وموسيقية وأدبية ترافق معرض الفن الإيراني المعاصر. ونجسد إيران، حسب ما تقوله منظمة المعرض وروژه عيسى، درساً عظيماً للفنانين الأوروبيين والقادمين من البلدان العربية الذين يحتجون قائلين بأنهم لا يتوافرون على الوسائل المالية الكافية. "إني أتأديكم وأقول لكم: انظروا إلى إيران. فالقوانين في هذا البلد أشد صرامة والإمكانيات المالية أكثر محدودة والرقابة أشد خطراً والمشاكل أقدم أثرًا مما هو موجود في بلادكم. إن من يريد أن يقول شيئاً، فما عليه إلا أن يعمل ويعمل، وعندئذ سينفخ المرء عما يجول في خاطره."

معرض «الجار الجديد» أقيم في دار الفضاقت العالية يبرلين من ٢٠

٢٠٠٤/٣ إلى ٢٠٠٤/٥/٩

ترجمة: عدنان عباس علي

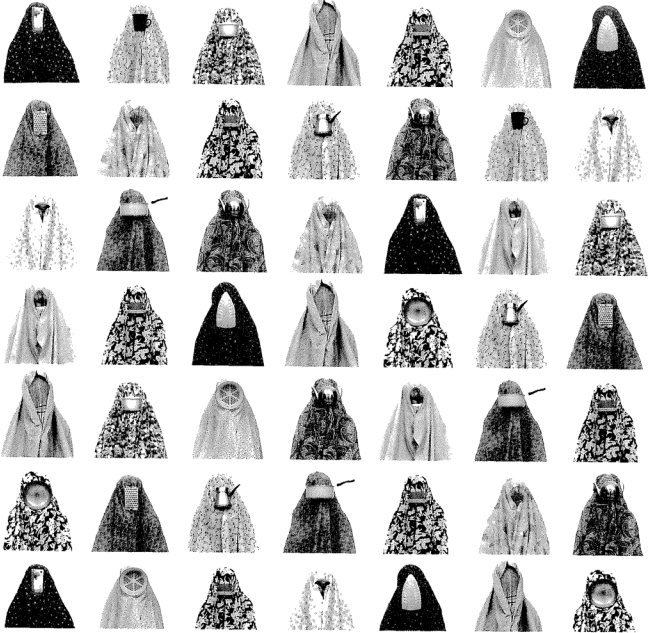
حسن زاده، الفنان البالغ أربعين عاماً والذي كان قد بدأ حياته الفنية كرسام يدور في عجلة الدعاية المتحيزة. "بصفتي صبياً في مستقبل العمر، فرحت بالثورة الإسلامية فرحاً عظيماً، لقد أغلقت كافة المدارس والجامعات أبوابها، وكان ٩٩ بالمائة من السكان يدعّمونها ويشاركون فيها." وأتذكّر كان حسن زاده في حركة دائمة لنصرة آية الله العظمى، فكان يجوب الشوارع والأزقة ليرسم على جدران المنازل والعمارات، عن قناعة وإيمان، صور الحميني.

إلا أن هذه الصلة الوثيقة بالثورة تحولت إلى قطبعة في مطلع الثمانينات: فقد استدعي الفنان للذهاب إلى الجبهة، استدعي للمشاركة في الحرب العراقية - الإيرانية التي راح ضحيتها الكثير من أصدقائه ومن سواهم من الشباب في عمره؛ وكان حسن زاده قد أخذ يرسم صوراً كبيرة وباللونين الأبيض والأسود تذكّاراً لضحايا هذه الحرب. ولكن سرعان ما بدأت المشاكل مع الوزارة تطفو على السطح. وكانت الوزارة تطرح عليه سؤالاً مفاده: "لماذا

رسمت ضحايانا بهذه الألوان المعتمة، وليس بالأخضر والأزرق والأحمر؟ إنهم شهداء عليك أن تحتفي بذكراهم وتشيد بعظائهم". من هنا فقد ألغى المعرض الذي كان ينوي افتتاحه. لقد تلاشى ذلك الإيمان الساذج الذي كان حسن زاده يكنه للثورة الإسلامية؛ فراح يرسم، تنقيساً عما يعتمل في صدره من مشاعر وبعيداً عن أنظار العامة، صوراً يضمّن فيها أساسياته الشخصية وروءا النقدية. وكما اتضح لاحقاً وبعد مضي سنوات كثيرة، أراد آية الله الحميني الاستمرار بهذه الحرب، التي دامت ثماني سنوات، وذلك لأن إطالة أمدها كان يخدم أهدافه الخاصة. وكانت نيران هذه الحرب قد التهمت حياة ما يزيد على المليونين من



أهذا هو الاندماج المطلوب؟ مخاطر محاولات منع الحجاب في ألمانيا



شادي غانديريال. حيلة منزلية

Aus der Ausstellung „Entfernte Nähe“. Neue Positionen deutscher Künstler. Haus der Kulturen der Welt Berlin 2013/14 – 09.09.2014

واضطهاد المرأة ولتوطيد المنظور الأحادي الأبعاد في المجتمع الألماني القائم على التعددية. ويرى مؤيدو هذا الزعم أن الحجاب رمز لتوسع إسلامي لا يني التغلغل في مؤسسات الدولة فحسب، بل ويريد التغلغل في المدرسة، أي في واحدة من أكثر مؤسساتها حساسية وأهمية. وعلى سبيل المثال يسوق القانون المقترح من قبل

هناك من يزعم بأن الحجاب ليس سوى رمز لصراع خفي بين المجتمع المفتوح وأعدائه، رمز لصراع يزداد تفاقمًا من يوم لآخر: بهذا المعنى فإن منع ارتدائه يشير إلى أن دولة القانون الليبرالية قد دلت على أنها قادرة على الدفاع عن نفسها وفرض إرادتها على أولئك الذين يحاولون تقويض أسسها من الداخل ويستغلون تسامحها لنشر التعصب

حكومة ولاية بادن - فورتمبيرغ العديد من القيم الوضعية، التي تصلح للتطبيق في كل أنحاء المعمورة، لتبرير منع ارتداء الحجاب: كرامة الإنسان والمساواة بين الرجل والمرأة والديمقراطية.

ولا مراء في إن الصراع الذي تفترض هذه الأصوات وجوده سيكون أكثر خطراً حينما يختفي عن الأنظار. فاعداه المساواة والديمقراطية الليبرالية لا يفضحون عن معتقداتهم في الندوات التلفزيونية أو على صفحات الجرائد حيث يمكن مناقشتهم والرد عليهم وفق القواعد التي يحتمها الجدل العقلاني. وينبض النظر عن كل التفاصيل التي تشكل لب العقيدة التي تنادي بها الحركة "الإسلاموية"، فإن ما يجعل هذه الحركة تبدو عظيمة الخطر، إنما يكمن في المقام الأول في أنها لا تريد الأخذ بالأساليب العلنية المتحضرة وفي أنها تعمل في الخفاء. فمُنذ هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر من عام ٢٠٠١، على أدنى تقدير، انتهت كلية إمكانية تصور هؤلاء القوم يتشبّهون بأسس الجدل السائدة في المجتمع؛ أي أنه لم يعد لهذه الإمكانية أي وجود يذكر ولا حتى بعلامتها القولكلورية.

وأدت النتيجة التي أفرزتها هذه الأحداث بلبله في التقييمات والمواقف. فمن ناحية، أدى توارى الخصم عن الأنظار إلى أن يُدّاع على الملأ كل ما يخطر على البال عن قوته وخطره، ومن ناحية أخرى لم يعد هناك من يعلم عن يقين أين تتسعين منازلة هذا الخصم وأين يمكن حماية المكاسب، التي حققها المجتمع المقترح، على نحو فعال. وعلى ما يبدو، فقد تخلى الصراع القائم عن تواريه عن الأنظار وطفأ على السطح في قضية واحدة فقط: في الحجاب؛ ولربما فسرت هذه الحقيقة الحماس الذي يتصف به الجدل الدائر حالياً بهذا الشأن. فهناك من يكاد أن يبدي العبطة إزاء التحول صوب هذه المواجهة العلنية اعتقاداً منه بأن الدولة قد كشفت من خلال هذه المواجهة العلنية عن رغبتها في فرض إرادتها وعن استعدادها للتخلي عن الليبرالية حين من الزمن قصد التأكيد على أنها تمسك بزمام الأمور وتمتع بالقوة والمعة الكافيتين.

على ضوء هذا كله، من حق المرء أن يسأل عن جدوى إظهار الديمقراطية استعدادها للمواجهة بالحوار المذكور، وعمّا إذا كانت الديمقراطية قد خلقت، بتصرفها هذا، الحالة التي ترمع القضاء عليها وعززت تلك الاتجاهات التي تريد محاربتها. فإذا كانت هناك حركة إسلاموية تعمل فعلاً بمنايا عن المؤسسات العامة، فالأفضل، والحالة هذه، هو أن تتركز كافة الجهود على دفع هذه الحركة للتخلي عن نشاطها السري، أي دفعها للمشاركة في الحياة العامة أولاً. وتؤكد الدراسات الميدانية ظناً، كان يأخذ به البعض

من دون حاجة إلى تأكيده من قبل هذه الدراسات، مفاده أن التطرف الديني والتعصب يكونان أقل شدة، كلما كانت الفرصة لإشراك المتدينين بالحياة العامة أكبر، فعلى هذا النحو سيكون بمستطاعهم التعبير عن عقيدتهم وستوجب عليهم مقارنتها بالعقائد الأخرى. ولعله تجدر الإشارة إلى أننا لا نقول هاهنا بأن المشاركة في الحياة العامة ستؤدي إلى تراجع الدين نفسه. إن كل ما نريد قوله في هذا السياق هو أن المشاركة في الحياة العامة تؤدي، بلا ريب، إلى تقويض العزلة وكسر طرق التفرقة على الذات وإلى التخفيف من شدة التجزؤ الفكري.

ولا مراء في أن منع ارتداء الحجاب سيعيق المشاركة في الحياة العامة إعاقه لا يستهان بها. فحينما تمنع النساء المسلمات من مزاوله مهنة التدريس لا شيء، إلا لأنهن يضعن مديلاً على الرأس، أي أنهن لم يكن لارتدائهن الحجاب علاقة متينة بالضرورة بأصولية دينية معينة أو بأفكار تسلطية، فيضحي المجتمع، بمحض اختياره، بحقه في مطالبتهن بالإيجاب المتربة عليهن باعتبارهن جزءاً من المجتمع. أضف إلى هذا أن الأساليب التسلطية التي تجبر الفتيات على ارتداء الحجاب ستواصل وجودها وتتمسك بالرغم من صدور قرار المنع؛ بهذا المعنى فإن قرار المنع سيؤثر سلباً على إمكانيات دمج هؤلاء الفتيات بالمجتمع الألماني.

الواضح إذن، هو أن الجدل حول الحجاب ليس سوى نقاش ينوب عن تطاعات وأهداف أخرى ويؤدي إلى نتائج جانبية وخيمة وغير مرغوب فيها أصلاً. ويخطئ من يظن أن هذا النقاش يدور بلا نوايا خفية. وفي الواقع فإن غالبية مؤيدي المنع لا يريدون، في المقام الأول، الدفاع عن مبادئ إنسانية تصلح لكافة بني البشر. ولربما غابت هذه الحقيقة عن وعيهم هم أنفسهم، إلا أن أساليبهم المتنوية الرامية، في الوقت ذاته، إلى تضادي تحقق نموذج علماني بكل معنى الكلمة، يزيح الستار عن نواياهم الحقيقية ويكشف الأسباب التي تدفعهم لأن يعلنوا بأن الحجاب فقط هو ما يتعارض مع مهنة التدريس وليس الرموز الدينية النصرانية أو اليهودية. ولربما كانت التفسيرات التي أعرب عنها أسقف برلين فولفغانك هوبر خير مثال على ما نحن في صدد الحديث عنه. فهو كان قد أشار، وقبل انتخابه رئيساً لمجلس الكنيسة البروتستانتية، إلى "أن الفارق الواضح" بين الحجاب والصليب الذي يضعه قس ما على ياقة سترته، "يكمن في أن الحجاب يعبر عن فارق ثقافي". وواصل هوبر شرحه ببراءة مفتعلة مدعياً بأن الأمر يختلف عندما يعلق شخص ما على صدره "الصليب"، فإن هذا الصنيع لا علاقة له البتة مع رزع بذور الشقاق في المجتمع.

علاقة له لا بالدين ولا بدولة القانون القائمة على مبدأ تساوي الجميع في الحقوق والواجبات، بل هو على علاقة متينة بشيء آخر: بثقافة الأكثرية، هذه الثقافة التي لا ينبغي السكوت عن الخروج عليها.

ورد في القانون الذي اقترحتته حكومة مقاطعة بادن فورتمبيرغ ما نصه "إن إظهار القيم التعليمية والثقافية والتراث والتقاليد

المسيحية والغربية ينسجم مع دستور المقاطعة". أما بالنسبة للمسلمين فإن مظهرهم الخارجي يكفي لمشعهم من ممارسة التدريس وذلك لأن مظهرهم الخارجي "يمكن أن يترك لدى التلاميذ وآبائهم الانطباع" بأنهم ضد الدستور القائم على مبادئ الحرية والديمقراطية. إن هذه الجملة تفسح حقيقة هذه الاتجاهات، إنها تبين على نحو جلي أن الحجاب هو الأمر المستهدف: أي أن الموضوع لا يدور حول ما تقوله مرتدية الحجاب ولا حول تصرفاتها، وحتى دوافع مرتدتها لم تعد لها قيمة في تقرير مدى تمسكها بالدستور، بل صار الموضوع يتوقف على الانطباع الذي يتركه مظهرها الخارجي عند الآخرين. وإذا ما أمعن المرء النظر في الجملة أعلاه، المصاغة عن وعي وبتعمد وإصرار، فسيف بكل تأكيد على النتائج التي يمكن أن ترتب على هذه الجملة، فبئس عليها، ستوقف، مستقبلاً، الحقوق التي يتمتع بها المواطن على "الانطباع" الذي سيتركه أحد المرشحين عند أغلبية المواطنين.

إن حماية المبادئ العامة، التي تصلح للتطبيق على البشرية جمعاء، حماية فعالة لا تتحقق بالضرورة من خلال الحديث عنها ليل نهار ولا من خلال صك سمع الآخرين بها وإن كانوا قد جاؤوا من عالم اعتاد على استخدام مفردات ومقولات مختلفة. إن الوسيلة الصائبة للدفاع عنها تكمن في التمسك بحذائرها. إن منع ارتداء الحجاب لا علاقة له، في الواقع، بالمبادئ الصالحة للتطبيق على كافة بني البشر بل له علاقة بالثقافة التي تأخذ بها الغالبية. ويخطئ من يظن أن الثقافة التي تأخذ بها الغالبية تجسد المبادئ الصالحة للتطبيق على كافة بني البشر. بهذا المعنى، فالمجتمع الألماني سيقبّل نفعاً أكبر، كلما أدرك هذه الحقيقة في وقت أسرع.

ترجمة: عدنان عباس علي



نبات مر أسفهان بإيران. تصوير: Markus Kuchegsner

ولا مرأه في أننا هنا إزاء رأي يدعو للحيرة لا سيما أنه قد صدر عن أسقف نصراني. فالواضح هو أن هذا الرأي لا ينسجم مع ما جاء في رسائل كورنثوس الأولى، فقد جاء هناك ما نصه: "فالبشارة بالصليب حماقة عند الذين يسلكون طريق الهلاك. وأما عندنا، نحن الذين يسلكون طريق الخلاص، فهو قدرة الله." (رسائل كورنثوس الأولى، ١، ١٨). وكان السيد المسيح قد أعلن بنفسه بأنه جاء لكي يلقي "الخلاف" على الأرض: "فمن اليوم يكون في بيت واحد خمسة، فيخالف ثلاثة منهم اثنين، واثنان ثلاثة. (انجيل لوقا الإصحاح ١٢، الآية ٥٢). بهذا المعنى فقد كان زرع بذور الخلاف في المجتمع جزءاً من رسالة المسيح منذ البداية؛ من هنا لا يمكن فهم تجاهل الأسقف لهذه الحقيقة إلا على أن الكنائس قد صارت تنفخ في نفس البوق الذي ينفخ فيه عامة الناس. والأمر الذي يسترعي الانتباه هو أن رجال الدين قد أمسوا لا يعبرون عن المنظور الديني على نحو بين ونقي، وإن كان منظورهم الديني يختلف عن منظور السياسة والمجتمع بكل تأكيد. فمن الممكن أن يرى النصراني في الصليب استفزازاً له، إلا أن هذا لا يعني طبعاً أن هذا الاستفزاز سيدفعه لإعلان الحرب على بني قومه؛ وإذا كان الأمر على ما نقول، فلا ريب في أن هذا سينطبق على المسلمين أيضاً حينما يتمسكون بتقاليدهم وتراثهم.

ولكن، ولأن الأسقف هوبر يرى في المسيحية، على ما يبدو، الحبل الذي يعتصم به المجتمع في المقام الأول، أي الحبل الذي يضمن تحقق الانضاق والولام بنحو ديمقراطي، لذا لا يبقى أمامه سوى تقييم الإسلام من زاوية مدى اتساقه مع الدستور. وهكذا "وبصفته رمزاً لعدم المساواة بين النساء والرجال بالقدر المطلوب، لذا لا يمكن لمهنة التدريس أن تستقبل الحجاب". إن هذا هو آخر تبرير في قائمة التبريرات التي تطالب بمنع ارتداء الحجاب من قبل المعلمات والمدرسات. وكما هو بين فإن هذا التبرير لا

يوهيمات بغدادية إنه الماضي، جئت لأدفنه

كولونيا ٢٠٠٤/٣/٧

اليوم، في هذه الليلة بالذات، سيطأ قدماي أرض العراق بعد فراق دام أكثر من خمسة وعشرين عاماً. ففي الثامن من شهر آب من العام ١٩٧٨ ودعت أهلي ببغداد وغادرت إلى بيروت، حيث اشتغلت عارضاً للأفلام الوثائقية والروائية ثم محرراً في جريدة لبنانية - فلسطينية. ومن هناك رحلت إلى دولة ألمانيا الاتحادية، حيث أمضيت ربع قرن من الزمن منعزلاً منفياً. وقبل بضعة شهور، تحديداً في السابع من تشرين الثاني، ساهمت في ملتقى أدبي بمدينة لوس إنجلس الأمريكية تحت عنوان «Exiled in Paradise» بمناسبة مرور ستين عاماً على إقامة الكاتب الألماني المنفي ليون فويشتفانغر Feuchtwanger في المنزل المعروف باسم «فيلا أورورا Villa Aurora» والتي تحولت بعد وفاة فويشتفانغر وزوجته إلى مركز ثقافي تقام فيه فعاليات أدبية تتعلق القسم الأكبر منها بالمنفى، أي منفي الأدباء والفنانين الناطقين بالألمانية الذين غادروا أوروبا هرباً من النظام النازي الألماني بقيادة هتلر.

كانت هذه الفيلا تقع في مواجهة ساحل المحيط الهادئ، وسط طبيعة أخاذة صامتة - حية مزهوة ومشمسة طوال العام ومعتدلة المناخ لدرجة أن المنفيين الألمان أنفسهم خلعوا عليها صفة الجنة. ليس لأنهم عرفوا الجنة، بل لأنهم خبروا بأرواحهم وأجسادهم الجحيم الهستري؛ وبهذا المعنى فإن منفاي الألماني كان نوعاً وجة طالما كان بعيداً عن متناول صدام وحزبه وأجهزته الإجرامية. بيد أن هذا الإحساس الأولي هو في الواقع إحساس الناجي من المذبحة، هو القشرة الخارجية ليس إلا، إذ أن هناك إحساساً آخر داخلياً كان ينمو في السرّ وعلى الدوام مثل علة خفية، ألا وهو الإحساس الحقيقي بالمنفى. لقد عشت ربع قرن من الاقتلاع الجسدي والنفي وأصبحت رهينة للماضي الذي ما أفكّ خيالي يحمله ويبعد عنه الشوائب. لابد أن يكون لي وطن، ولابد أن يكون لي أهل وأرض تحتمل قدمي، لابد أن يكون هناك من يتذكرني وربما تهتز أضلاعه حين يعانقني. غداً ستنتهي صحراء الثلج هذه التي أطبقت عليّ بلا رحمة، وسأشهد بألم عينيّ اللتين مارالتا تبصران وجه أمي وأرض العراق ورماله وغيابه.

بغداد ٢٠٠٤/٣/٨

بغداد! أخيراً ببغداد بعينها التي رحلت عنها قبل أكثر من ربع قرن وقد عدت إليها من تلك الناحية الشمالية التي لم أكن رأيتها من قبل إلا مرة واحدة، عندما اصطحبيني جدي معها لزيارة ولدها المهتم آنذاك في العام ١٩٦٣ بالمشاركة في محاولة انقلاب.

لم يكن هناك ما يشير إلى أن هذه المدينة هي بغداد نفسها، وجه من الطين مستسلم وحزين، وأرتال أمريكية طينية الملايح أيضاً اصطفت على الطريق السريع، مشرعة الأسلحة، تتطلع بتوتر وذعر إلى القادمين. هذه هي بغداد إذن، رمادية الوجه، مستكنة، مستطامنة. فهل كانت هكذا دوماً كالحة رمادية في مطلع الربيع، دون أن أشعر بها من قبل، أم أن بغداد التي عرفتها زماناً قد اندثرت تماماً ولم يبق منها الآن سوى أطيافها وأطلالها؟

كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها جندياً أمريكياً مصوباً مسدسه في اتجاهي دون أن أعلم كيف عليّ أن أنصرف. يجب أن لا أخفي هنا بأنني كنت من أشد المؤيدين للتدخل الأمريكي بغية الإطاحة بصدام ونظام البعث، بيد أن توقعاتي، أو آمالي في أوضاع أفضل مما كانت عليه في عهد صدام، تبتدت منذ شهور وحل محلها اليأس.

ومن بعيد، وفي مدخل " المنصور " ، عند " معرض الزهور " ، لمحت أخي ينتظر إلى جانب خالي وشخص آخر لم أثبت درجة قرابته .

لا أعرف كم استغرق العناق، وحاولت أن احتفظ بشيء من التماسك، لكنني ربما سأندم على ذلك فيما بعد، إذ أن نظرة واحدة من الدمع ربما مستعيني على تلمس الدرب ساعة الشدة؛ فهل نضبت بثر الأحزان هذه التي خلقتها تقيض في أعماقي. كان الوقت غروباً وكنت منفصلاً وغريباً وثمة مسافة طويلة مارالت تفصلني عن أهلي وأحيتي. ففكرت في أترك لهم أمر التصرف بي وبوقتي، إذ لم يعد أمامي ما يمكن أن أفعله سوى الصمت والإصغاء. لقد جئت إلى هنا من أجلهم هم، وليس انصياعاً لخنين استعرت ناره ستة وعشرين عاماً. هؤلاء هم الأهل والوطن وحلم الوصول.

نعم الوطن! في الطرف الأخير من المدينة الأفقية العملاقة الذي تقلبت به الأمان والأسماء، لكنه بقي مهملًا، منسياً، متداعياً، مرشحاً كل مرة للقتل والتفتيل، إنها مدينة الثورة، فمدينة صدام، فالصدر، وكل اسم جديد يلغى ما قبله من الأسماء لم يزد المدينة - القسرية إلا فقرًا وعوزًا، ولم يكن إلا نبراً من العبودية والاضطهاد؛ أسماء لم تكن أكثر من إكراه سياسي لا مسوغ له سوى الإمعان في امتحان كرامة الناس المهتنة أصلاً. لم يكن من حق أحد الاعتراض عندما أطلق على الخراب المزعومة اسم "مدينة الثورة" التي أقطعها الجنرال عبد الكريم قاسم من الصحراء ليبعد بها السكان الفقراء المؤيدين له عن مركز المدينة حيث كانوا يقيمون، فمارس ضدهم سياسة عزل وفصل يكاد يكون عنصرياً، بغية إبعاد أولئك الذين من المحتمل أن يتحولوا إلى مصدر خطر يهدد "الجمهورية الوليدة"، الكلبة الوليدة التي طبخت على نيران مشبوهة، وجعلت العراق منذ تلك اللحظة المشؤومة، لحظة الرابع عشر من تموز، مسرحاً للتآمر والمجازر التي أتت على الآلاف، بل الملايين من مواطنيه، لتنتهي باحتلال أمريكي - بريطاني، لا هم له سوى إطفاء آخر ومضة من تلك الروح العراقية المحتضرة. هذا هو العراق، هذا ما تبقى منه، وهذه هي نهاية اللعبة الكبرى، الكذبة الكبرى. لقد انتهت كل شيء. فكم غريباً أن أتوصل إلى هذه الحقيقة الفاطمة في اليوم الأول من دخولي إلى البلد الجائع والمحاصر والمهان.

بغداد ٢٠٠٤/٣/٩

ثم احتشدت الوجوه القريبة متدافعة مبتهجة، مثلثة لمعرفة فيما إذا كان هذا الغريب مازال يحتفظ بلامحها بعد أعوام الفراق كلها. وكم كانت السعادة تغمر الوجه الذي طبعت آثاره في مخيلتي، فثمة نظرة قديمة مرحة، وفجوة بين الأسنان، قد اتسعت الآن، وثمة خيال؛ علامات عليك أن تقرأها من جديد. وثمة آباء فقدوا أبناءهم وأمهات تكلى ونساء أعدم أزواجهن، رجال فقد البعض منهم بصره أو طرفاً من أطرافه في الحرب أو بفعل التعذيب؛ هؤلاء كلهم التقيت بهم وعانقتهم وتحدثت معهم وأصغيت إليهم طويلاً. كان لكل واحد منهم قصة، وأحياناً تتقاطع إحداها مع وقائع القصص الأخرى فتكملها، وتثبت صحتها وتعمق مغزاها، وكان عليّ أن أصبر طوال الليل، لكي أصغي إلى قصص الموت والدمار الذي حلّ بالناس، بأهلي وأحيتي. وكيف لي أن أتوقع شيئاً آخر غير هذه الأحاديث؟ فهذه سكينته، ابنة الحال، وقد اعتزل زوجها بتهمة الانتماء إلى "حزب الدعوة الإسلامية" في مطلع الثمانينات ثم أعدم ولم يتسلم أحد جثمانه. غير أن صدام وأعوانه لم يكتفوا بقتل من لم يتجاوز الخامسة والعشرين، إنما اعدوا شقيقه الذي لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره، هكذا لمجرد الشبهة. ويبدو أن هذه الجريمة المروعة لم تستأثر باهتمام الحكّام الجدد، فما زالت الأرملة تقدم العريضة تلو الأخرى لإعادة الاعتبار إلى الزوج القتيل، بل الشهيد بالقاموس السياسي العراقي، دون أن تعني هذه الشهادة الكثير بالطبع، مادام العراقيون كلهم شهداء، أو مشروع شهادة لا ينتهي. لقد ضاعت القيم وماتت الضمائر، هكذا شكت لي سكينته، فقلت لها إنه الليل الأمريكي أو الليل الأمريكي الطويل، فاصبري!

إذا كان هذا هو حال زوجة الشهيد، فما الذي أقوله عن نفسي، أنا المنفي، الذي عاد بكل بداهة إلى أهله وبلده بعد أن أحرقت جسر الفراق مثلما أحرقت الكثيرين غيره؟ فما الذي يميّز هذا العائد عن أولئك المنفيين الداخليين القابعين بين جدران بيوتهم في العراق نفسه ينتظرون الموت ساعة إثر ساعة؟ بلا شك أن الأعوام ذهب سدى، وهذه هي الصدمة الأولى ليس إلا؛ إنها لحظة الفراق وقد أتت بعدها لحظة العناق، وثمة لا شيء بينهما.



حسن المرزاي. تصوير: Stefan Wundner

في المساء المتأخر قصّ عليّ ابن خالتي "عسلة" طرفةً ليبدو شيئاً من قلقي ويسهل عليّ النوم. النوم؟ وهل سأنام فعلاً، أم إن الأمر سيختلط عليّ مثلما يختلط الأمر على أرومي من سكّان أستراليا الأصليين فجع بفقدان عزيز فلا يعرف إن كان ذلك حلماً أم حقيقة!

قال ابن الخفالة: ذات نهار بارد، كنت أجلس على صخرة انتظر زبوناً يشتري حديد الحردة، فأقبل عليّ رجل أتى برباط عنق وحقيبة دبلوماسية، وأخبرني بأنه وكيل إعلانات رسمي، وطلب مني أن أشتري برقية تهنته إلى صدام حسين بمناسبة نجاة ولده عدي من محاولة الاغتيال. فقلت للوكيل إنني من الشهداء الأحياء، وقد فقدت عيني دفاعاً عن الوطن، وإنني لا أملك الآن إلا قطع الحديد الصدئة التي تراها أمامك. فقال للوكيل إن هناك إعلانات أقلّ كلفة بمقدار النصف، ثم أخذ يلح. فرفعت أمامه صدائتي وقلت له يا أخي صدقتي بأنني لا أملك شيئاً، وهذا السروال الداخلي هو لزوجتي، وقد ارتديته بسبب البرد. ومع ذلك فإن الوكيل لم يقتنع، وأشار إلى يانع حديد جلس إلى جانبي، فقلت له إن هذا المسكين لا يملك حتى سروال داخلي. فهذا هو العراق العظيم، العراق المهلهل، العراق صدام الذي شحّت سراويله، وعراق ما بعد صدام.

٢٠٠٤/٣/١٢ بغداد

أطباق عديدة مليئة "بالقنبر" العراقي والمربي والطرشي واللحوم المشوية، كان هذا إفطار الصباح. لقد أعدت شقيقتي العدة لكي نجعلني بديناً، لأنني لم أتناول في ألمانيا طعاماً جيداً حسب اعتقادها. ويبدو أن وجبة الإفطار هذه كانت مكافأة لانعدام النوم من فرط التوتر والانفعال، وربما بسبب تلك المواعظ البليبة و"اللطيمات" التي جادت بها سماعات حسينية في الجوار. كنت قد رأيت هذه الحسينية العملاقة المظلة على الشارع العام المؤدي إلى منطقة "كسرة وعطش"، حيث يقع بيتنا. وكانت عبارة عن بناية بثلاثة طوابق مخصصة لحزب البعث الحاكم، لكنها لم تكتمل بعد، فأصبحت بعد سقوط النظام من حصّة جماعة إسلامية، لعلها جماعة مقتدى الصدر. فوضعت يدها عليها وأقامت فوقها قبّة خضراء غير متناسقة وبدت كما لو أنها صنعت من الورق المقوّى. ويظهر أن الوقت كان يلحّ على هذه الجماعة الإسلامية لتحليل مقر "حزب البعث" إلى حسينية تستوعب تلك الأعداد اللامتناهية من المصلين الجدد الذي اكتشفوا فضيلة الدين مؤخراً بعدما جربوا الفضائل، وربما الرذائل أيضاً، إبان نظام الطاغية صدام. أما الكلمة السحرية التي كانت تنسّر الكثير من غوامض الأمور ومجاهلها فهي كلمة "الحواسم" المقتبسة عن "أم الحواسم"، أي آخر الهزائم التي مني بها الجيش العراقي ونظام البعث. فقد حسم الكثير من العراقيين أمرهم، وعلى وجه السرعة، فحولوا ممتلكات الدولة وسرقات النظام إلى غنائم وأسباب.

كان الإفطار دسماً وشعرت بشيء من الانتفاخ ولاحظت بأن أخي كان يطيل التحديق فيّ وكأنه يتفقد أمراً أصدرته شقيقتي الكبرى يتعلق بمراقبة عملية إطعامي إ طعاماً صحيحاً. كان وجهه في الواقع متسجماً، مهموماً، وكان نادراً ما تفرج شفاته عن ابتسامة.

سالته عن عمله فأجاب على الفور بأنه يبحث عن عمل منذ سقوط النظام، وأنه كان ينتظر قدومي، فربما أسهل عليه عملية البحث عن عمل مناسب. كان يعتقد بأن لي علاقات مع أصحاب السلطة الجديدة المؤقتة، ولم يكن يعلم بأنني معزول ومقطوع عن الأحزاب منذ عشرات الأعوام، بسبب شكوكي في مبادئها وبرامجها وطبيعتها نشاطها.

قال إن هناك وسيلتين للثور على عمل في العراق، الأولى هي القرب من مواقع السلطة الأمريكية وممثلها من العراقيين، بمعنى أنك يجب أن تخطى بتركية أحد الأحزاب المتعاونة مع قوات التحالف، أو، وهذا هو أكثر الحلول سهولة، أن تقدم رشوة مناسبة لأصحاب الشأن. ثم قصّ عليّ حكاية المستخدمين الأربعمئة الذين التحقوا بوزارة الصحة بعد أن سدد كلّ واحد منهم مبلغ ٢٥٠ ألف دينار عراقي، أي ما يعادل مئة وثمانين دولاراً. وأضاف معلّقاً بأن الأمر بات أسوأ بما لا يطاق مما كان عليه في زمن البعث. وسواء تعلّق الأمر بتنظيف المجاري أو رفع القاذورات أو تصليح خطّ التلفونات فلا بد من دفع الرشوة التي بدونها لا يتحقق شيء. ولكي يثبت لي صحّة ادعائه اقترح عليّ أن أرافقه في جولة.

لقد فقدت عبارة "الصدمة" معناها كلياً في عراق اليوم، فمن الممكن نظرياً أن تكون عميلاً مباشراً لسلطة الاحتلال، ووطنياً في آن واحد.

لا شيء في مراكز بغداد التجارية سوى القوضى والضجيج والدخان الكثيف وأكوام الأربال وصراخ الباعة التائبين والجوالين الذين وضعوا عرباتهم في منتصف الشوارع والساحات. وثمة صفارات شرطة لم يلتزم بها أحد، لكن الغريب في الأمر هو أن مفردة الشرطة الصغيرة التي تنظم السير في "ساحة التحرير" بدت في مزاج رائق؛ لأنها ربما اعتادت على مشهد القوضى والرشوة التي يمكن أن تتمخض عنها هذه القوضى المطلقة. ولأن الواقع في العراق لم يعد يحتمل الجذّ فقد تقدم ابن عمتي الذي كان يرافقتنا من ضابط السير الذي كان يحمل رتبة مقدم وخاطبني: استمع إلى ما سيقوله السيد المقدم. وبعدما تبادل القريب بضع كلمات مع ضابط المرور ثم صفحه مودعاً قال المقدم: كم دينار يرحم والدك، فلوس غداً!

إذا كانت هذه لغة ضابط كبير في الشرطة العراقية الجديدة وفي أهم ساحة عراقية وأكثرها شهرة، فكيف سيكون سلوك شرطي الأمن في عراق المستقبل! في زمن صدام كانت عقوبة الإعدام تنفّذ أحياناً على من استلمت الرشوة، على الرغم من أن صدام وأصوانه كانوا يمارسون أسلوب الرشوة علناً وعلى رؤوس الأشهاد. لكن الآن وبعد غياب نظام البعث الذي خلف وراءه ضماير مريضة أو ميتة أصبحت الرشوة سلوكاً يومياً طبيعياً.

وفي مساء اليوم ذاته ذهبت إلى زيارة مريض رقد في مستشفى «مدينة الطب» الذي طوّقه رجال مسلحون، لأنه يعتبر هدفاً سهلاً للإرهابيين الذي لا يعرف أحد الجهة التي تقف وراءهم، لذلك لم يبق أمام الأمريكان وأعاونهم العراقيين إلا شماعة "القاعدة" وأنصار صدام أو "أنصار الإسلام"، وكان هذا الذي سمعنا به أو رأينا به بأنهم أعيننا لم يكن إرهاباً: الاعتقال العشوائي والقتل العمد والتعذيب حتى الموت وإطلاق الرصاص على ممثلي الصحافة والجريمة المنظمة التي تشرف عليها بعض الأحزاب المشاركة في مجلس الحكم، هذه كلها مجرد شواهد صغيرة على ما سيثول إليه مصير العراق برمته. حتى تلك اللاتفات والصور التي تمثّل رجال دين، ولا شيء غيرهم، كما لو أن العراق كان مجرد مؤسسة دينية ليس إلا، حتى هذه الصور كانت بمثابة إرهاب مسلط على المرضى وعلى مستخدمي المستشفيات. ثمة عشرة أشخاص على الأقل، بعضهم كان مسلحاً، جلسوا في مدخل المستشفى وقد بان على مظهرهم اتماؤهم الديني أو في الحقيقة اتماؤهم الطائفي، الثياب السوداء والأشرطة الخضراء. وما أن دخلنا حتى سألتنا "موظفو" الاستقبال إن كنّا قد أتينا لهم بهدية. ويبدو أن الهدية، التقدية على الأغلب، هي ضريبة روتينية تفرض على الزائر وإن كان مريضه محتضراً. ورغم أننا دخلنا إلى صالة الإنعاش، أو العناية المركزة، المجهزة حسبما قيل لنا بأحدث المعدات الطبية، فإننا رأينا القذارة في كل مكان، في الأرض وعلى الأسرة والطاولات، وثمة أسراب من الحشرات تقاسم المرضى غرفة إنعاشهم. وكان هناك من أبلغنا بأن "الرعاية الصحية" قد تحسنت بما لا يقاس مقارنة بما كانت عليه أيام نظام البعث؛ إذ أن غرفاً كهذه كانت

أذاك وفقاً على رجال النظام. إنه مستشفى حكومي عام، بيد أنه اتخذ الآن معالم حسينية ضخمة بطوابق كثيرة ومصاعد كهربائية، وقد بات التفريق صعباً فيما كان هذا الذي ينتحب خلف الجدار قد فقد عزيزاً للتر، أم أنه يكي مصاب الإمام الحسين.

بشاد ١٣/٣/٢٠٠٤

كنت توافاً إلى يوم الجمعة، لأنه اليوم الذي يجتمع فيه الأدباء في مقهى الشاهيندر وشارع المتنبي، حيث العشرات من المكتبات التي لم أر وجوداً مشابهاً لها بهذه الكثافة في أي عاصمة عربية رأيتها من قبل، لا في القاهرة ولا في بيروت أو دمشق أو تونس أو الرباط. إضافة إلى عدد لا يحصى من الباعة الموقتين الذين عرضوا كتبهم في الشارع الضيق نفسه. كتب مترية ممزقة وأخرى جديدة زهيدة الثمن، لأنها طبعت بصورة لا شرعية في إيران أو في أماكن أخرى. كان هناك تضخم في العرض، ويسود أن القوة الشرائية للعراقيين لم تستعد عافيتها بعد، أو أن ما رايته كان زهيداً من وجهة نظر عراقي مقيم في ألمانيا وباهظاً من وجهة نظر القارئ العراقي. أربعة دولارات، على سبيل المثال، دفعتهما لكتاب إسحاق نقاش عن "شعبة العراق"، وعندما دقت النظر وجدت أن اسم المترجم قد أسقط وأن هذه الطبعة صدرت عن "انتشارات المكتبة الحيدرية" في مطبعة "أمير - قم" الإيرانية، أي أنها طبعة غير شرعية صدرت بموافقة الحكومة الإسلامية في إيران، أو أن هذه الحكومة لم تكن مهتمة البتة بالجهود الفكرية للأحرار ولا بحقوقهم.

هذه هي بغداد القديمة التي طالما حلمت بها وحاولت استعادة تفاصيلها؛ هاهي ماثلة أمامي اليوم وقد ازدادت قدماً تحت وهج الظهيرة الساكنة. إنه التراب نفسه وصراخ الباعة والألفة والمنازل المتناحرة التي لم تمتد لها يد الإصلاح منذ كانت هذه الناحية العتيقة مركزاً للحكم ودار إقامة للولاة العثمانيين؛ هذه هي المدينة الخرافية الأسطورية النبتة المستباحة التي طالما وطأها أقدام الغزاة والطامعين والعشاق والشعراء منذ أباد الدهر، وما زالت تطأها إلى هذه الساعة.

وفي نهاية الشارع احتشد كتاب العراق الجديد - القديم وصحفيوه، وحين تمتعت في الوجوه المترتبة المستبشرة لم أر من كان يتطلع إليّ، أو من أوحى لي بأنه ربما كان قد رأي من قبل. وبعد فترة طويلة أقبل عليّ رجل ملتجئ متلاً وجهه بالكدمات وبقياء الجروح، وكانت ثيابه مثقوبة في مواضع عديدة كما لو أنه أطفأ فيها سجاجره، ووقف أمامي وأخذ يتطلع إليّ ثم نطق باسمي الذي لم أكن قد عرفت به كاتباً "حسين ابن علك ابن علي؟" نعم؟ هذا هو هادي السيد حرز، صديق صباي؛ هذا الفتى الذي كان وسيماً موهوباً شديد الذكاء، أصبح الآن مشرداً مدمناً لا مأوى له سوى الشوارع. لم يبلغه أحد بوجودي ولم أفصح له بشيء عن هويتي، لكنني عرفته أيضاً. رأيت الدمع يترقرق من مآقيه ويخضب لحيته غير المشدبة، والذكاء مازال يشع من عينيه الصغيرتين البقيظتين. "ثمة طائر آخر يعود"، هكذا أنشد، لكن الطائر يا عزيزي جاء محيطاً مريض الجناح، ثم أخذته في الأحضان. لم أسأله ما الذي حلّ به، هذا الصاحب المتوقد الذهن. فكتم كنت أزرره في البيت وأصغي إلى حكايات أبيه الذي أوره روح النكتة والظرفة والموهبة. كان أبوه قد قصّ علينا ذات مرة كيف أنه كان من أوائل المستبشرين لحزب "البعث"، وكيف أنه كوفٍ بمنزلة عقب انقلاب تموز ١٩٦٨، لكنه وجد المنزل مأهولاً. كانت ثمة عائلة كردية كبيرة، وعرف فيما بعد بأن الحزب كان يعلم بذلك، ثم أخذ يضرب لنا الأمثال عن الطيعة التامة لحزب البعث وعن الخوف المتأصل في نفوس العراقيين. كان ذلك قبل حوالي ثلاثين عاماً، والآن هاهو ابنه الفنان يفتشر الطرقات معزواً متسولاً. قال إن الأمر انتهى به إلى الشارع منذ ثمانية عشر عاماً، بعدما انفص عنه الأهل والأصدقاء. فهل رأيت هاني وهم وحسين علاوي وعلى مغامس وحسن عائي وسيف الدين قاطع وداود سالم وكريم العراقي؟ لكنني لم ألق هؤلاء بعد، وشعرت بفرح داخلي بأن هؤلاء كلهم مازالوا أحياء. ثم أشار هادي إلى مدخل "سوق السراي"، حيث انتصبت كرة أرضية فوق طاولة محل لبيع القرطاسية وقال إن العراق لا يحتل من هذه الكرة سوى ظفر صغير، لكنه يحتوي الآن على مئة وخمسين حزباً وعلى مئتين وإحدى عشرة جريدة. ففي الزمن البائد كانت هناك ثلاث أو أربع جرائد تثير القرف، وأخذنا بمرور الوقت لا نشر بوجودها، أما اليوم فقد بدأنا نشر بالغيان والاختناق من هذا الكم الهائل. إنها جرائد إذا ما أمسك المرء بواحدة منها يشعر من فرط نسانتها بأن يده لن تظهر حتى شطفها بماء النار. أحزاب وشخصيات

تهافت كلها لكي تخدم الأجنبي لقاء أجر، رؤساء تحرير صحف يطوفون على قوات الاحتلال بغية الحصول على إعلانات. وقال لي هذا الشاعر على سبيل المثال الذي جعل نفسه ذات يوم متحدثاً بلسان أدباء العراق. لقد كان يجلس معنا إلى طاولة واحدة ويحتسي الخمر مثلنا وينشد أناشيدنا ثم يتقياً مثلنا. غير أنه اليوم أصبح مملاً لإحدى التنظيمات الدينية، وحالما ينتهي من تلاوة قصائده تختم جلسته بعزاء أو لطمية. هذا هو العراق الديمقراطي الجديد، ديمقراطية أن تكون خائناً هكذا على رؤوس الأشهاد، ومادام الكثير يمارس دور الخيانة فما الضير أن نحمد لك ملاذاً ورزقاً لدى حزب أو تنظيم. قال إنه كان يلقى القبض عليه في زمن البعث، لكنه يضرب في المعتقل، أما الآن فإنه يضرب في الشارع نفسه أمام أعين الناس. "ثمة جماعات تعتقد أن من واجبه الديني أن تضربني أنا المنتشر المدمن. إنهم يريدون مستجعماً نظيفاً وهم يجلسون في منتصف القذارة".

بغداد ٢٠٠٤/٣/١٣

اليوم جاء أبناء العمومة، عشرون ابن عم وأبناءهم وأحفادهم ونسأؤهم، جاؤوا ليستطلعوا أمر هذا الغريب المبعد الذي قاده الحنين من عنقه كالعبد. كان المشهد بالنسبة لي يشبه الورطة أو الاستحان، فهؤلاء كلهم من لحمي ودمي وهم مستعدون ربما أن يقدموا الكثير من أجلي، لكنني لا أعرفهم، وكان أكثر الناس قريباً لي من بينهم هو ذاك الذي التفتت به ثلاث أو أربع مرّات في حياتي كلها ولم أعد أعترف عليه الآن إلا بشقة. كان أغلبهم صامتاً مطرّقاً، لعله كان يفكر في سؤال صحيح خال من التعقيد، لا يجلب عليه سخرية الآخرين. وهكذا طال الصمت، وبدا كما لو أنهم جاموا ليودعوني، هؤلاء أبناء الأعمام القادمون من أطراف الأهوار والمدن. وبعد فترات تأمل كانت بعض الأسئلة الصغيرة المترددة تنطلق من أكبرهم سناً: هل ألمانيا تقع بالقرب من مكة؟ هل فيها شاي وسكر؟ وهل يغسل الميت ويكفن كما هو الحال عندنا؟ ومن أي ملّة أو عشيرة زوجتك؟ أي ألمانية؟ وهل علمتها الصلاة؟ كلا، إنها مارالت على دينها ولم تدخل في دين الفطرة. يا للعجب! وهل يتكلم أناؤك اللغة العربية؟ إنهم يتكلمون الألمانية فقط. أووه! لاشكّ أنهم سيضيعون. وهل في ألمانيا نفط كما في العراق. كلا، الحمد لله! والغاز؟ وهل تنقطع الكهرباء، يلفظونها "الكهربة"، في ألمانيا؟ ما هي المهنة التي تمارسها؟ كاتب! كاتب عرائض أم ماذا؟ شيء من هذا القبيل. هل الألمان يخلطون عتاً؟ كلا ليس هناك اختلاف، إنهم بشر مثلنا، ربما يفكرون أكثر منّا قليلاً؛ هذا كل شيء. ولماذا نشغل أنفسنا في التفكير، وما الذي استفدنا من التفكير سوى حرق الأعصاب! سنرى ما تفعله أمريكا بنا. اللهم اجعله خيراً.

بغداد ٢٠٠٤/٣/١٤

في اللمس تمت نوماً سيئاً للغاية، وشعرت بأن تغيّراً ما طرأ على جسمي، على أية حال، شعرت بحساسية جلدية لا أعرف مصدرها. لقد أمضيت ليلتي في مدخل الدار، الهول كما يسمى، لأن الزوار القادمين من العمارة احتلوا غرفة الضيوف التي كانت بمثابة غرفة نوم.

وبالإضافة إلى الحساسية جاء صوت جازنا السكير الذي أصابته شظية في رأسه إيّان حرب الكويت ولم تخرج منه، إنما أخرجت الرجل عن طوره. كان صوته يلعلع بعد منتصف الليل إلى جانب سحاعات الحسينيات والجامع الموقّعة. وكلّما حاولت أن أفهم شيئاً مما نطق الجار أبو قاسم أو ما جادت به مكبرات الصوت فشلت أبداً فشلت. وفي صباح اليوم أبلغني أحد أقرّبي بأن أبا قاسم كان ذات مرّة أن يورط بعض الجيران الشيوهين أصلاً في نظر حكومة البعث، إذ وقف طوال اليوم يردد بصوت عال برقية عاجلة: "من علي حسن المجيد إلى طارق عزيز، هل تسمعي؟ لقد وصل صدام، أجب! من علي حسن المجيد إلى..." لكن من ذا الذي سيجيب؛ فحتى جنون العراقيين صار سياسياً.

كان كلّ ما سمعته تقريباً ينضح بالسياسة، التساؤلات والحكايات والأحداث العامة والأمثلة. لقد أفسدت السياسة حياة الناس، فلم يعد هناك مجال لا علاقة له بالسياسة، وأي سياسة! الحرب والجوع والاحتلال وحالة القلق والتوتر وفقدان الأمن والأمل. روى لي أحد الجيران بأن ابن خالي كان واقعاً ذات يوم تحت تأثير المخدرات فقام بإطلاق قذيفة على دورية أمريكية كانت تجوب شوارع "مدينة الثورة"، فاختطف الهدف وهرب، فطارده الأمريكان من بيت إلى بيت. وفي بيت هذا الجار كان أبوه الأعمى يجلس على خشبة

مرتفعة قليلاً عن الأرض، فما كان من الأمريكي أن رفعوا الأعمى وخشبتة بحثاً عن ابن الخال. فصرخ الأب ذعراً من ذا الذي فعل بي هذا؟ فقال الابن "لا تخف يا أبتى، هؤلاء بيت طارش، أبناء عمومك!"

نعم، هؤلاء هم أبناء العم سام القادمون من ساوث كارولينا ونورد داکوتا وكنساس وأوهايو؛ جاؤوا ليصلحوا ما أفسده صدام، ابن العم العراقي، أو الأمريكي بالفطرة، لا فرق، فجعلوا ما كان فاسداً أصلاً أشدّ فساداً.

٢٠٠٤/٣/١٦ بغداد

ولأن بعض الأقرباء كان يأتي ثلاث أربع مرّات في اليوم الواحد ليسألني عمّاً دار في خلد، فقد اقترحت على صديق لي أن نذهب إلى "اتحاد الأدباء" العراقيين، قرب ساحة الاندلس، حيث استغلّت في محل للكلمك والمعجنات عندما كنت صبيّاً.

لم يبقَ للمحل أثر، واختفى كذلك "فندق صحارى" الجميل، وأقيم في موضعه مخزن للأثاث ومزاد علني. ومن الطريف إنك حالماً تدخل مبنى الاتحاد يهرع إليك رجل مسلح ببندقية روسية ليفتشك. فابتسمت مستسلماً للرجل الذي كان يؤدي عملاً نافعاً تماماً، لكن هل يعتبر أدباء العراق مهديين، أو هل تعرّض أحدهم للقتل في زمن نظام كان قائماً على سياسة الموت وحدها؟ ربما كان هذا هو الاتحاد الأدبي الوحيد في العالم الذي يحرسه رجال مسلحون، وبما يجعل الأمر أكثر مفارقة هو أن لا أحد يعلم فيما كان هناك أصلاً اتحاد للأدباء العراقيين. فكم مرّة تأسس هذا الاتحاد ثم اختفى بالطريقة ذاتها التي تأسس بها. وكسب حاول متعهدو الأحزاب والمتطفلون على الأدب أن يتصدروا الواجهة الثقافية في الداخل والخارج؛ بيد أن أحداً منهم لم ينجح في محاولته. وثمة لوحة في المدخل تمثّل الشاعر محمد مهدي الجواهري، أحد مؤسسي اتحاد الأدباء بعد انقلاب تمّوز ١٩٥٨. صورة عملاقة غير فنية، صارخة اللون، مرتجلة، لكنها تبقى على أية حال أفضل من وضع صورة لوحة لفارس عربي أو لرجل دين معمم.

بضع طاولات عامرة ووجوه لا أعرفها، ولا تعرفني. عيون ترنو برهة صوب القادم الجديد ثم تغضّ البصر ثانية. يبدو أن أحداً لم يعثر في وجهي على ضالته. اختار لنا الصديق الذي أدخلنا بطاقة عضويته مكاناً في الحديقة المشمسة، وأراد أن يقنعني بتناول قنبلة صغيرة من العرق. فرفضت مفضلاً أن أشرب شيئاً آخر في عزّ الظهيرة تلك، لكن حانوت الاتحاد لم يكن يقدم لزبائنه إلا المشروبات الروحية، أمّا المشروبات الجسدية من قهوة وشاي فيمكن أن يأتي بها الزبون من خارج المبنى، ومن الأفضل لو تناولها في الخارج أيضاً؛ إن الأدب الحقيقي لا يحتسي الشاي أو القهوة، إنما خمرة التمر المستقة وفي رابعة النهار. قال صاحبي لو أن العرق كان جزءاً من الحصّة التموينية في سنوات الحصار لشربه العراقيون تسريعاً عن النفس بفعل القهر. ثم أضاف دون سابق إنذار: ما الذي أتى بك إلى العراق؟ فهنا ما يكفي من الكتاب وفرص العمل تكاد تكون معدومة، والأمن مفقود، والبلد محتل، والقوى السياسية العراقية لم تزل ضعيفة، لا تعرف بالضبط ما الذي عليها أن تفعله . . .

أيّ صحوة، وأيّ نصائح واقعية، وحصافة رأي؛ لا تعد إلى بلدك وأهلك، وعد إلى مثالك الذي استحال الآن فقط إلى منفي حقيقي. وإذا كنت تأمل بالعودة ذات يوم، فما هو أملك قد انقطع تماماً، فلا عودة لك من بعد، عوليساً كنت أم حسيناً. هذا الماضي، هذا الجرح الطري السائر، النازف، عليك أن تطمره طمراً؛ فهو الماضي وقد جثت لتدفنه. إنك لم تعد بحاجة إلى أكثر من مجرفة لكي تهمل التراب على ماضيك الذي مات وعلى وطنك وشعبك ومدنيتك. فهذا كلّ ما تبقى لك، ليس من الأفضل أن ينقطع الأمل دفعة واحدة بدلاً من أن يبقى خيطه الواهي معلقاً في الخيال إلى ما لا نهاية؟

٢٠٠٤/٣/١٧ بغداد

قررت اليوم البقاء في البيت لأتصّف بعض الجرائد الصادرة في العراق: "المدى" و"النهضة" و"التآخي" و"الدهستور" و"الشاهد" و"الصباح" و"المؤتمّر" و"المشرق" و"الجريدة" و"النار" و"اليوم الآخر" و"بغداد" و"طريق الشعب" و"الساعة" و"الأديب".

في الواقع لم تكن الغاية معرفة أخبار العراق أو الإطلاع على "سرّ" من أسرار السياسة الداخلية أو على

تغطية ميدانية لحدث ما، لأن كل جريدة كانت تشبه الأخرى أو تقلدها، شكلاً ومحتوى، إنما مجرد رغبة آتية في معرفة ما وصل إليه واقع الصحافة هنا. وأحياناً تصاب باليأس عندما تسمع مساءً أصوات انفجارات مدوية في بغداد لكنت لا تجد لها صدًى في الجرائد اليومية، وفي أفضل الأحوال فإن هذه الجريدة أو تلك تنشر خيراً صغيراً تنقله عن إحدى وكالات الأنباء الأجنبية. وبلا شك أن الصحفيين العراقيين العاملين في المجلات الفضائية العربية هم الوحيدون الذين يقترّبون كثيراً من مكان الحدث، مجازفين بحياتهم، وقد فقد البعض منهم حظه بحثاً عن سبق صحفي. ولهذا السبب ربما كان أصحاب الصحف العراقية يتحلّون بقدر من العقلانية، فلا يغامرون بأرواح محرريهم. ومادم القارئ ليس مهمّاً في حساباتهم، إنما مصدر التمويل وحده، المجهول غالباً، فلا بأس أن تصدر الجريدة كسيحة ممتة كلّ صباح. خمس عشرة جريدة لو عصرتها عصرّاً لما خرجت منها بتعليق نقدي أو تحقيق صحفي جيّد عن ظاهرة اجتماعية. وطالما بقي الأمر هكذا فإن من الأفضل على أية حال الاهتمام بالصفحات الأدبية، وبالأخص القصائد التي تعجّ بها الجرائد، مألوفة الفراغات بسبب نقص في الإعلانات، أو في المواد الجديّة. بيد أن القصائد ذاتها أصبحت لا تقل جدية عن الحدث السياسي. وإذا كان اختيار الأخبار يخضع أحياناً للظروف الطارئة فإن القصيدة تبقى على الدوام نتاجاً حسيّاً ذاتياً لا علاقة له بالبيئة بتقنيات العمل الصحفي وإشكالاته الآتية. وبالقصائد يمكن أن نتعرف على إحساس الناس وأمزجتهم، وتطلع أيضاً على مقدار التطوّر الذي طرأ على لغة الشعر العراقي وشكله وبنائه وموسيقاه وقوّة تعبيره.

لكن يا لحية الأمل الذي ما بعدها خيبة! أشعرُ هذا الذي ينشر اليوم في العراق هذيان أم غثيان؟

بغداد ٢٠٠٤/٣/٢٠

كنت أحسب نفسي لا مبالياً فيما إذا عرف عراقيو الداخل عني شيئاً أم لم يعرفوا، وقد روّضت نفسي منذ البداية على التعامل مع ما أراه في هذا البلد بقدر من الانفتاح والصبر، معللاً ذلك بأن رحلة العودة كلّها ما هي إلا محاولة اكتشاف لما استجد في العراق. وعلى الرغم من هذه التهيئة النفسية شعرت بشيء من الإحباط بعدما قرأت أسماء الأدباء والسياسيين والصحفيين العرب والعراقيين المدعّوين إلى "مهرجان المرید" في البصرة ولم أعرّ على اسمي بينهم. فقلت ربما حدث سهو أو أن اسمي لم ينظر في ذهن من أشرف على إعداد القائمة، ربما كان صيتي ليس مدوياً. بيد أن القائمة كانت تتضمن أسماءً مجهولة أو متهمّة بالتعامل مع السلطة المتهاجرة. ثم إنك ألا تشعر بالخجل من أن يقرن اسمك بمهرجان كان موقوفاً على مدّحي صدام وزبائنه من عرب وعراقيين؟ ألم تلوث هذه الأعوام الطويلة اسم المرید نفسه مثلاً لوُثت اسم القادسية وغيره من الرموز والمعاني التاريخية؟

وحتى لو ورد اسمي فهل يعني هذا أنني سأذهب فعلاً إلى البصرة، فبأي حال سأذهب وأنا أشعر بالاختناق في العاصمة بغداداً وهل سأؤجل رحيلي إلى ألمانيا من أجل مهرجان دعائي يقام تحت إشراف الناطقين باسم قوّة الاحتلال ويؤمّل من قبل المؤسسات الأمريكية؟

بهذه التلميذات قصدت شارع المتنبي ثانية، حيث أوقفني شخص ما كان يتحدث بانفعال، وقال لي إنه سمع بي قبل أن يراني. وعلى الفور طلب منّي أن أزوده بمقالة لينشرها في مجلة أدبية كان يرأس تحريرها. فحاولت التخلّص منه بالقول بأنني توقفت عن الكتابة. فاجاب أن قدرنا هو الكتابة وإنا لا نستطيع التوقف عنها. وربما كان الرجل مصيباً، لكنني توقفت فعلاً عن الكتابة باللغة العربية، ليس لأنني حققت ما كنت أصبو إليه، إنما لأنني لم أر معنى ومغزى لمواصلة الكتابة إلى قارئ مجهول يقبع في مكان ما من عالم عربي لا ضوابط له ولا روابط، منعقدة فيه حرية التعبير والنشر وحقوقه. قلت لريتس تحرير المجلة الأدبية الذي عينته وزير الثقافة حديثاً بأنني أرى أن الوقت قد حان لمراجعة ما قام به رجال السلطة من أعمال ضد الثقافة والمثقفين، وأن يحدثنا في مجلته عن الصامتين وعن من وقف في وجه سلطة البعث، لكي يكون الناس على بينة من واقع الأدباء داخل العراق. فما كان منه إلا وزق مستثاراً متوتراً: "أنا لا أريد مقالة منك، وسوف لا أنشر لك حرفاً واحداً طالما بقيت رئيساً للتحرير".

وعيد وتهديد يأتيك من شخص منحه "وزارة الثقافة" سلطة ولساناً لا يخالف عن ألسنة السلطة الصدامية، إن لم يكن هو نفسه لسان حالها مثلاً علمت فيما بعد، وقد كان هذا الشخص من المرشحين الرسميين في قائمة حزب البعث في "انتخابات" اتحاد الأدباء، وقد ورد اسمه في المرتبة الثالثة.

وهكذا توصل في عراق ما بعد صدام إلى أشد الحقائق غرابة، وهي أنك لا تجد كاتباً واحداً كان متعاوناً مع النظام أو موالياً له، لأن الأدياء كلهم كانوا مظلومين ومضطهدين ومعارضين. ربما أنت المنفي قد تكون خائناً في نظرهم، لكن ما أن تعقد مقارنة صغيرة بين وضع المثقفين الألمان إبّان الحكم النازي (١٩٣٣) ومواقفهم البطولية وتشكيل النظام الهتلري بهم تعرف مقدار النفعية والانتهازية وروح المهادنة والتخاذل السائدة في الوسط الثقافي العراقي. يا إلهي! ليس هناك مثقف بعني واحد ولا من كالم المديح للطاغية ونال رضاه وعطيته وقد فعل ذلك عن طمع أو رضى أو بفعل الخوف! أنت المبدع في أرض الشتات تتحمل وحدك وزر ما حلّ بثقافة أهل العراق وأخلاقهم. لقد دخلوا طواعية في حزب الدكتاتور وحربه ومريده وجبروا مقالات المديح في جرائمه وتعاونوا مع أمنه ومخابراته، إن لم يكونوا من رجال أمنه، ومن نسائه أيضاً، ووقفوا صفّاً واحداً دافعاً عن الجلاّد، مستكرين لأبسط قيم الثقافة والمثل الإنسانية. وتراهم اليوم يرتدون أقتعة البراءة ويتمسحون بمسح الضحايا، بينما لم يبق في الحقيقة أحد منهم وقفةً شجاعاً ويعترف بما اقترفه من ذنب إزاء المثقفين مدحه ووشايته وكيف ارتقى سلّم السلطة الدموية. فلا حساب هناك ولا صحوة ضمير، ومن كان صنيعةً للطاغية بات اليوم وكيلاً ونائباً للوزير أو مستشاراً لدى السفير بربري، أو سفرائه المحليين.

يقعداد ٢٠٠٤/٣/٢٢

قضيت اليوم إلى وزارة الثقافة دون أن أضع في ذهني شيئاً مسجداً، بل انصباعاً لنزعة فضول انتابني، لاري ما الذي تسفله هذه المؤسسة التي تشكلت بدلاً عن وزارة الإعلام المنحلة. كنت قد شاهدت هذه البناية الواقعة في الطرف الغربي من شارع ساجدة خير الله طلفاح، زوجة صدام حسين، تشرف عليها، أو كانت دار "الأزياء العراقية" التي كانت ساجدة خير الله طلفاح، زوجة صدام حسين، تشرف عليها، أو أنها أقيمت من أجلها، ثم "حُسم" أمرها بعد سقوط زوجها وتحولت إلى وزارة من وزارات الحواسم الكثيرة. وكما هو حال المؤسسات المشغولة من قبل الحكومة المؤقتة فإن مفرقة تفتيش وفتت في البرابة الرئيسية تفتش الداخلين تفتيشاً يكاد يكون دقيقاً. ويبدو أن الحرية الممنوحة للعراقيين كانت من السعة بحيث أتيج لنا أن نعطي نصيباً في الجناح اليميني من البناية ونلتقط صورة تذكارية. كانت هذه المرة الأولى التي أدخل فيها مبنى وزارة، وإذا ما أخذ المرء وضع العراق إبّان الحقبة الصدامية في نظر الاعتبار؛ فإن الوزارات كلها كانت تخضع للشروط الأمنية واستراتيجية عمل حزب البعث، وبهذا المعنى فهي محظورة على المواطنين، لأن المواطن مشبوه دائماً من وجهة نظر صدام وحزبه. بلا شك أنه تطوّر إيجابياً أن تدخل مقر وزارة دون أن تُسأل عن غرض الزيارة، وحتى اللقاء بالوزير الشيوعي نفسه وبلا موعد بدا أمراً ممكناً. وعندما سألنا عنه قيل لنا إنه يحضر الآن اجتماعاً "لمجلس الحكم"، غير أنني لمحت بالصدفة شخصاً أعرفه، عُرِنَ للتوّ مديراً عاماً للعلاقات الثقافية من قبل الحزب الشيوعي أيضاً، دون أن نتحدد مهمته تحديداً دقيقاً. كنت التقيت بهذا المدير قبل بضعة أعوام في بلجيكا، خلال عروض مسرحية لعراقيين، فكان اللقاء حاراً، وحدثني حينها باهتمام عما كنت أنشره في الصحافة العربية. لكنه اليوم بدا متحفظاً جداً، وقال بتهرة باردة بأننا سنلتقي بعد نهاية اجتماع كان يعقده، فانتظرت أكثر من نصف ساعة، تأملت خلالها السور الخلفي للبنية فاكشفت بأنه لم يكن موضوعاً تحت الحماية، وكانت ثمة منافذ عديدة تؤدي مباشرة إلى المبنى. وعندما حدثت صاحبي الفنان بذلك قال إن هذا ليس العيب الوحيد في وزارة الثقافة. وقال أيضاً إنه اقترح على الوزير تشكيل لجنة خاصة تهتم بأمر أدباء الشتات، فاجبت بأن السيد المدير كان أحد المشتين مثلي، ويمررتني جيداً. فعددت الدهشة لسان صاحبي "ورغم ذلك استقبلك استقبلاً بارداً". فقلت "ربما ظنّ بأنني ساحل محله، لكنني لا حزب لي، شيوعياً أو قومياً أو إسلامياً. وذلك يعني أن لا مكان لي في هذا العراق".

يقعداد ٢٠٠٤/٣/٢٣

حالما دخلت خالتي أم ماهر الدار رقت إلينا نبأ مقتل أسيرة بكاملها. ثلاثة أشقاء قتلوا اليوم، وبعدما علم الشقيق الرابع بمصرعهم انتحروا... كان القتلّة تربصوا بالضحايا وأمطروهم بالرصاص في الصباح الباكر عندما خرج الأشقاء الثلاثة للعمل في السوق. كان القتلّة متاهيين، إذ حالما أجهزوا على جيرانهم انطلقوا

بسيارتهم إلى جهة مجهولة. بعد ذلك دخل أقرباء الضحايا دار القنلة وأضرمو فيها النار. لقد انتهت أسرتان هكذا بكلّ بساطة. وقالت شقيقتي الكبرى لتجعل هذه المأساة نسيبة بأن صاغاً من طائفة الصابئة قُتل في "حي الأكراد" صباح الامس ونهبوا محله، ثم أراد اللصوص الدخول إلى محل ثان غير أن باعة الأسماك علموا بالامر فالفقوا القبض على أحد القتلة وأشبعوه ضرباً. هنا تدخل شقيقي ليذيع خبراً جديداً: هل سمعتم بليلة الرصاص ليلة الامس؟ لقد قتل الإسلاميون بائع مخدرات وأحد أعوانه. كان يتاجر بالأدوية المخدرة التي تولّد الهلوسة، وقد أُنذر من قبل، لكنه لم يستجب للإنذار. لو كان الامر يتوقف على بيع الخمر لأصبح هيناً، لكن هذه الحبوب اللعينة تجعل المرء مخبولاً فيقدم على كل شيء. ألم تسمعوا بالفتى الذي تناول كبسولاً مخدراً فأقدم على قتل أمة وأبيه وأخوته الأربعة. حدث هذا قبل بضعة أيام في منطقة "الثورة الأولى".

ثم جاء الدور على أحد أخوالي فقال هل عرفتهم شيئاً عن قضية القوائم؟ أية قوائم؟ قوائم التصفية الجسدية التي أعدها بعض التنظيمات العراقية للتخلص من الخصوم السياسيين أو الأعداء القدماء. هناك عصابات مسلحة مهمتها القتل، وهناك قائمة ورد فيها أسماء ضباط طيارين شاركوا في الحرب على إيران، إنهم اليوم مهذبون بالقتل، ويقال إن أربعة منهم قتلوا في مناطق الكرخ. فقدت خالتي بحسرة: هذه الحوادث كلّها في جهة، وقضية خطف الأطفال في جهة أخرى. سابقاً كانوا يخطفون أطفال الأسر الغنية، أمّا الآن فهم لا يتورعون حتى عن اختطاف أبناء الفقراء. تصوّروا أنهم يطلبون من الأب الفقير أن يبيع داره ليدفع فدية على ابنه، فإلى أي حد وصلت بنا الامور!

فرّ أخواهم بصوت ضاحك: لا تقلقي لأننا اعتدنا على تقديم الضحايا، ونحن الآن مستعدون إلى تقديم مليون ضحية أخرى يلتحقون بالملايين الثلاثة التي ذهبت هباءً خلال الأعوام الخمسة والثلاثين الماضية. فكّم هو عدد العراقيين أربعة وعشرون مليوناً، خمسة وعشرون مليوناً؟ لا أحد يعلم بالضبط، فما الذي سيحدث لو قبل لنا إنهم فقط ثلاثة وعشرون مليوناً؟ وما الضير لو قدمنا مليوناً آخر قرباناً لكي يرضى عنا الله والأمريكان والجيران ومجلس الحكم؟

بغداد ٢٠٠٤/٣/٢٤

لم أجد قادراً على الكتابة وتدوين الملاحظات، وبدأت أشعر بتعب جسديّ غير مألوف، وقد ازدادت الحساسية الجلدية، على رغم المعالجة السريعة التي قام بها طبيب عجوز في ساحة الأمين. كانت عيادته فارغة تماماً باستثناء طاوله من المعدن وكريسيين. أمّا الانتظار ففي المر، حيث جلست في طرفه امرأة محجّبة لا عمل لها سوى تسلم مبلغ المعينة، خمسة آلاف دينار، حوالي ثلاثة دولارات. وكان السلم المؤدي إلى العيادة مليئاً بالقاذورات، وقد يظن المرء بأن هناك استراتيجية ما وراء هذه القذارة، رسالة مثلاً للسلّتين والنهائيين بأن ليس هناك ما يستحق المجازفة وقتل طبيب ومساعدته المبرقة. كان كلّ شيء متداعياً ومتكلاً، السلم والعيادة والطاوله، وحتى الطبيب الهرم الذي طلب مني أن أراجع مرة ثانية في منتصف النهار. "والعصر؟"

"في الثالثة عصرًا أقفل العيادة، لأن ساحة الأمين وساحة الرصافي تتحولان في المساء المبكر إلى تكساس. نحن مارلنا أحياناً لأن أجلاً لم يحن بعد...."

وعندما تحولت في بغداد القديمة لالتقط بعض الصور، اجتاحتني الرعب من حجم الدمار والإهمال الذي تعرّض له وسط المدينة. فالسلطات الحكومية لم تهتّب فحسب، إنما أضربت فيها النيران، هاهي دار الصحافة، دار الحرية للطباعة التي حولها نفر من العائدين إلى حواسم، هاهي المكتبة الوطنية المتكوية وماهو المبني الجميل لوزارة الدفاع التي كان المشاة يتعمنون من المرور في محاذاتها وقد أصبحت اليوم مأوى للمشردين واسطبلًا للحمير وخيول الجرّ.

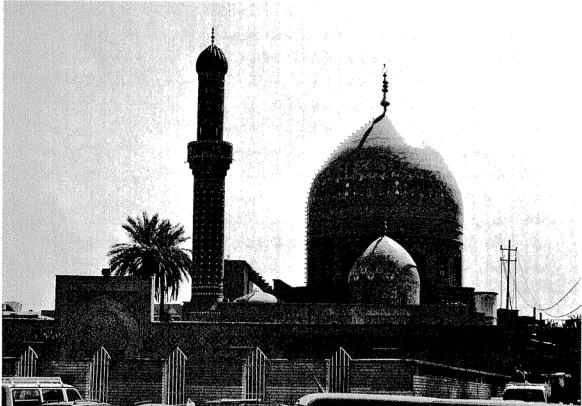
منطقة العواضية ومحلة الصابونجية، المركز القديم لبائعات الهوى في زمان العزّ، فساحة الميدان وسوق الهرج والحيدرخانة والقتلة وسوق السراي، صور محيت ألوانها، خرابث ينعب فيها اليوم، وفوقها تهدر طائرات المثلثين. إنه الخراب التام وقد خيم على أرض السواد، ماثم في حجم المدينة والبلاد كلّها. وجوه الناس المغلوب على أمرهم، النساء المتعبات اللواتي فارقت البسمة شفاهن. مسرح مجاني، مذبّح يتسلّى به المتفرجون منذ أعوام وأعوام؛ إنني لم أعد احتمل البقاء، فقواي انهارت، وأضلاعي بدأت ترتجف...

غداً يوم الرحيل، وثمة دلائل تشير إلى أنه سيكون الرحيل الأخير. لقد نفضت يدي عن جنازة الماضي، ماضي أنا، وأخذت أحقد في وجوه الأطفال، أطفال أخي وأختي وفي وجه أمي وأمهات تحت وقع الهاجس الكبير بأنني أراهم الآن للمرة الأخيرة. ألم يدم فراقي عنهم خمسة وعشرين عاماً، فكم ربع قرن آخر بقي في العمر!

ثم جلست في ركن وأخذت أقلب في كتاب عن تاريخ بغداد وأقرأ: "وقعت بغداد بسهولة بين يدي تيمور، فذبح الآلاف من الناس، وهُدمت الجوامع والمدارس والمساجد". وفي العام ١٦٢٣ اتخذت المجاعة "شكلاً مروعاً في بغداد، فقد أكل الناس لحم الكلاب والأطفال وجثث الموتى. وضغط الحصار بشدة وامتلاً الجسد بدوي الألفام المتفجرة". وفي العام ١٧٣٣ "أخذ الجوع من المدينة مأخذه وقتك بها المرض ودوى فيها صوت الموت. وقد مات من الجوع ما يزيد على المئة ألف إنسان. فرميت جثث الآلاف منهم في النهر، وظلّت جثث الباقيين تملأ الهواء بعدواها فجاءت بالمرض إثر المجاعة". بيد أن هؤلاء الذين صنعوا الحضارة وخطوا للبشرية أولى حروفها وقصائدها حرمت عليهم الحياة، وحرمت عليهم حتى اتخاذ الموعدة، فباتوا وقوداً سهلاً للمحارق البشرية التي تقام مرة باسم الدين وأخرى باسم العرق وثالثة باسم الطائفة. إنه الدم العراقي يسفح منذ ألف عام وعام؛ فمن أنا لكي أوقف كل هذا التنزيف؟! وحضرتني في هذه اللحظة ما ذكره الكاتب البلغاري الأصل، الألماني اللغة، إلياس كاتيني (١٩٠٥ - ١٩٩٤) في إحدى خطبه: "كنت عثرت عن طريق الصدفة على ملاحظة كاتب مسجون، حملت تاريخ ٢٣ آب/أغسطس ١٩٣٩، أي قبل أسبوع واحد من اندلاع الحرب العالمية الثانية، جاء فيها: لقد انتهى كل شيء، ولو أنني كنت كاتباً حقاً، لتمكنت من منع وقوع الحرب".

إنني عاجز فعلاً عن إيقاف الدمار الذي حاق بأهلي وبلدي ومدينتي، بل إنني عاجز حتى عن إسكات الصراخ في داخلي. وفضلاً عن ذلك بدت الوجوه اليوم، يوم الوداع، محتقنة بالدموع، مدركة بالحدس بأن هذا الابن سيغيب ثانية خلف أسوار العراق بلا عودة، ولا أمل.

مسجد في وسط بغداد، تصوير: Hussain al-Mozany



حول ترجمة ألف ليلة وليلة

ثلاثمئة سنة على صدور أول ترجمة في أوروبا

تلقت المكتبة الملكية في باريس في الثالث والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٧٠٤ ثلاثة كتب جديدة. كانت بمثابة (ودائع شرعية) وهي عبارة عن ثلاث نسخ إلزامية صادرة لتسليمها، تلتزم كل دار نشر بتسليمها إلى المكتبة الملكية. هذه الكتب الثلاثة تضمنت ترجمة ربما تكون الأوفر شهرة والأبلغ تأثيراً على مر العصور. قام المستشرق انطوان غالان بترجمة مخطوطة عربية قديمة، تحمل اسماً ملتبساً «ألف ليلة وليلة» وصلته من سوريا.

انطوان غالان (١٦٤٦-١٧١٥)، كان دبلوماسياً سابقاً في الدائرة الفرنسية في اسطنبول، عمل في بداية القرن الثامن عشر أميناً لمكتبة ومتعاطياً لتجارة الكتب القديمة في باريس. إلى جانب عمله العلمي كان يمارس الترجمة مما لديه من المخطوطات ولصالح جهات مختلفة. من خلال مذكرات غالان ومراسلاته وبعض مدوناته الأخرى نعرف أنه قد عبر عن نوع من خيبة الأمل في أنه حظي بتقدير كبير ومميز لترجماته الشائعة أكبر بكثير من إنجازاته العلمية. مع ذلك عين غالان عضواً في ثلاث أكاديميات وفي عام ١٧٠٩ أستاذاً للغة العربية في الكلية الملكية في باريس.

بدأت «مغامرة ألف ليلة وليلة»، حين قام غالان، بين عامي ١٦٩٦ و ١٦٩٨ - لم يكن بالإمكان تحديد الوقت بالضبط - بنقل محتويات إحدى مخطوطات «السندباد البحري» التي في حوزته إلى الفرنسية. حظيت هذه الترجمة بدعم سيده البلاط الشهيرة «الماركية»، وكان ينبغي أن تهدى لها. بيد أنه قبيل صدور «السندباد»، أي حين كان الكتاب في المطبعة، علم غالان أن حكاية «السندباد البحري» هي من ضمن طائفة من الحكايات تحت عنوان كتاب واعد يعرف بـ «ألف ليلة وليلة». على الفور، أوعز غالان بإيقاف الطبع وشرع يبحث عن هذا العمل. أخيراً كتب لغالان صديق حلي، على حد ذكر غالان في ١٣ تشرين الثاني (أكتوبر) ١٧٠١، أنه قد حصل في سوريا على مخطوطة ألف ليلة وليلة وهي في ثلاثة مجلدات. وقد وصلت هذه المخطوطة لتوها إلى باريس.

وبذلك كان غالان محظوظاً وتعباً في ذات الوقت. سعيد حظ، لأن المخطوطة التي عشر عليها صديقه الحلبي، تعد حتى اليوم إحدى أقدم الصياغات التي وصلتنا لألف ليلة وليلة. دونت هذه المخطوطة في حوالي عام ١٤٥٠، وهي تستطيع أن تحتفظ لنفسها، بأنها نشأت في محيط عربي خالص، أي في زمن سابق للتأثيرات الأوروبية المنتظرة على ألف ليلة وليلة. وهذه إحدى سماتها العظيمة، التي تتميز بها عن كل الصياغات الكاملة المتأخرة لحكايات ألف ليلة وليلة: غير أن ما اتسمت به «مخطوطة غالان» لم يقتصر على الأصالة فحسب، إنما تميز نصها عن بقية النصوص بدقة التعبير وكانت كذلك أكثر حيوية وجمالاً من الصياغات الأخرى. فالمخطوطات المتأخرة وصياغاتها المطبوعة - مثال ذلك «طبعة كالكوثا الثانية» (١٨٣٩ - ١٨٤٢٢)، التي اعتمدتها ترجمة إينو ليتمان (في طبعها الأولى ١٩٢١ - ١٩٢٨، بعد أن أجريت عليها تغييرات طفيفة

شهرزاد عن الكلام وذلك لدنو الصباح. فالفقار، كما يوضح غالان هذا التجاور في مقدمته الموجزة للمجلد السابع، يستطيع بالذات أن يتصور، أن شهرزاد تستمرسل في سردها، من غير أن يجعلها الصباح تمسك عن الكلام باستمرار.

الطريقة التي انتهجها غالان في الترجمة والتي تنفجر إلى الأمانة، جعلته عرضة للكثير من النقد. بيد أننا لو قمنا باستعراض تاريخي، لتوصلنا إلى حكم مختلف تماماً: كانت ألف ليلة وليلة منذ بداياتها الأولى، ولفترة طويلة قبل غالان، ولزمن طويل قبل مخطوطاته، "مغناطيس قصصي" يجذب باستمرار وعبر القرون الحكايات الجديلة ويعيد خلقها بصياغات مختلفة على الدوام. هذه الطائفة من القصص لم تكن محمية من مؤلف أو جامع. ولم تمتلك نسخة أصلية. من هذه الناحية لم يأت غالان بما هو مغاير، لما قام به المستسخون العرب من قبله والمترجمون وذلك العدد من



Tausendundeine Nacht

Das arabische Original -
erstmals in deutscher Übersetzung
CILBak

الناشرين الذي لا يحصى ولا يعد من بعده: إنه قد أصبح على مؤلف مباح صيغة جديدة، وهي بلا ريب بروح النص الأصلي. وبذلك أضحي غالان جزءاً من عملية النقل، وفي ذات الوقت تلميذاً لألف ليلة وليلة.

مع أن مصادر مخطوطة غالان "ألف ليلة وليلة" معقدة للغاية، بيد أنها لم تستطع أن تعين انتصاراتها المتصلة التي لا مثيل لها في الثقافة الغربية برممتها. فالأدب، والفن التشكيلي، والموسيقى، والأوبرا، وفي وقت لاحق صناعة الفيلم، تأثرت تأثراً جوهرياً بهذه الترجمة والترجمات اللاحقة. فليس هناك لونا من ألوان الفن العظيمة استطاع أن يكون بمنأى عن سحر ألف ليلة وليلة. وهذا كله بدأ قبل ثلاثمائة سنة بالضبط مع الترجمة الأولى لألف ليلة وليلة في أوروبا.

دليل المراجع: «ألف ليلة وليلة»، اعتماداً على المخطوطة العربية الأكثر قدماً في طبعة محسن مهدي في أول ترجمة للألفية لكلاوديا أوت، ميونخ ٢٠٠٤، انظر الصفحات ٦٤١ - ٦٥٢. ولطالعة موسعة يُنصح بالعرض التفصيلي من حياة غالان وتاريخ ألف ليلة وليلة في طبعة محسن مهدي، (ألف ليلة وليلة) من أولى المصادر المعروفة. الجزء الثالث: تمهيد مع فهرست، لايدن ١٩٩٤، ص ١١-٤٩.

ترجمة: علي محمود

١٩٥٣) - بدت، مقارنة بمخطوطة غالان، أقرب إلى الجمود وقد استخدمت أسلوباً أدبياً يتماشى مع الصيغة المكتوبة. على العكس من ذلك، كانت "مخطوطة غالان" تتحدث لغة تقترب من المشافهة، وتتمس ببساطة وطبيعية اللغة وتضيق السرور في قص ما هو أخاذ ومشوق.

وكان غالان سيء الحظ، باعتبار أنه اكتسب مع تلك المخطوطة المسماة باسمه عملاً لم يكتمل، ولن يتم العثور على حلقاته المكتملة. بل، حتى يفترض، أن مواصلة مباشرة لمتابعة حلقاته المفقودة لم تتم على الإطلاق، إنما النموذج الذي اعتمدته مخطوطة غالان انتهى في الليلة الثانية والثمانين بعد الحشتين. لأنه توجد مخطوطة أخرى من سوريا تعود إلى فترة زمنية مقاربة وهي قريبة جداً من المخطوطة المذكورة وتنتهي تماماً في نفس الموضع. شرع غالان، الذي لم يكن حينذاك على علم بكل هذا، يبحث عن الطبعة الكاملة لألف ليلة وليلة، بيد أن الحظ، بالطبع، لم يحالفه في ذلك طيلة حياته. وبينما غالان، الذي حدا به النجاح الذي حققته مجلداته الأولى إلى

التفتيح عن حكايات جديدة لـ "ألف ليلة وليلة" من مصادر أخرى، بقي مقتصرًا على "مخطوطة غالان" الشهيرة ذات المجلدات الثلاثة، التي بقيت محفوظة حتى اليوم تحت الرمز MS arabe 3609,3610,3611 في مكتبة باريس الوطنية.

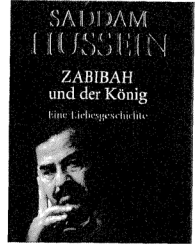
وقد احتفلت «ألف ليلة وليلة» الفرنسية لانطوان غالان بالنجاح الهائل الذي حققته. وتلت المجلدات الأولى مجلدات لاحقة، وحين استنفد غالان موارده، أخذ يُضمن حكايات من مصادر أخرى. في البداية وقع اختياره على "السندباد البحري"، الذي سبق أن كان جاهزاً للطبع. وفيما بعد انصرف إلى مخطوطات لا تمت بأي صلة إلى حكايات ألف ليلة وليلة. وأخيراً أخذ يروي حكايات جديدة. أما "علاء الدين والمصباح السحري، علي بابا والأربعون حرامي، وغيرها من الحكايات الأخرى التي تضمنتها مجلدات من المجلد التاسع إلى المجلد الثاني عشر من أعمال غالان ذات الأثني عشر مجلداً، فإننا ندين بها إلى المسيحي الماروني السوري حنا ديب الذي تعرف عليه غالان عام ١٧٠٩ في باريس.

ولتقديم كل هذه الحكايات باعتبارها أجزاء من ألف ليلة وليلة، عمل غالان قلمه بعنف ليس في النص فحسب، إنما تجاوز ذلك ليطاول البناء القصصي برمته. حيث ألغى في مجلداته اللاحقة حدود الليل، التي تتوقف عندها

صدام بالألمانية

دوريس كيلياس تضيف صدام حسين إلى قائمة مؤلفيها العرب

في عام ٢٠٠١ قام جيل مونييه، الأمين العام لجمعية الصداقة الفرنسية العراقية، بعملية سرية بين بغداد وباريس. والمهمة السرية التي أداها مونييه، المتهمه جمعيتها أيضاً بفضيحة الكيانات النفطية العراقية، كانت بسيطة جداً؛ فقد نقل سرّاً نسخاً من رواية «زيبه والملوك» المنسوبة لدكتاتور العراق المخلوع، لأنّ الكتب ما كانت لتخرج يومها من العراق إلا بإشراف لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة. أما لماذا قام مونييه بهذه «المخاطرة»، ليكشف «العالم الداخلي لصدام حسين بعيداً عن الصورة الساخرة التي تنشرها وسائل الإعلام». ربما يبدو العذر مقبولاً لمن لا يعرف هذا «الناشط» الفرنسي. لكن من يعلم أنّ مونييه كان على علاقة وثيقة بصدام وأركان نظامه منذ عام ١٩٧٥، أي أيام كان صدام يحمل لقب «السيد النائب»، وأنه لم ينقطع عن زيارة العراق، فسيذكر كم أنّ هذا العذر أقبح من الذنب. على كل حال مونييه «هرب» الرواية ونقلها إلى اللغة الفرنسية وطبع منها ثلاثين ألف نسخة. وبذلك كانت باريس المحطة الأوروبية الأولى لهذه الرواية التي دوخت الشقيفين العرب لأكثر من عام وأدخلتهم في حروب أمر من داحس والغبراء. ولأنّ الأوروبيين عمليون أكثر من العرب فلم يعاوبوا بهذه السجلات، بل اعتمدوا على معلومات مونييه، المقرب من نظام البعث المخلوع، بأنّ عبارة «رواية لكتبتها» التي صدرت بها الطبعة العربية الأولى لا تعني إلا أن صدام هو كاتبها. حتى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية اعتمدت على مصادرها الخاصة واعتبرت أنّ صدام هو من قام بتأليف الرواية وأخضعها لتحليل دقيق للوصول إلى مغاليق شخصية حاكم العراق المخلوع قبل البدء بحرب الإطاحة به.



ولأنّ الألمان منشغلون هذا العام بضيف الشرف الجديد على معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، أي الأدب العربي، فالناشرون في ألمانيا يجدونها فرصة لترجمة أكبر عدد مننتاجات الكتاب العرب الأدبية. ولأنّ «ما حدا أحسن من حدا» قام ناشر ألماني مغمور بتقليد النموذج الفرنسي وأقدم على ترجمة رواية «زيبه والملوك» إلى اللغة الألمانية. فلماذا نحرم، برأيه، القارئ الألماني من فكر وإبداعات صدام حسين في حين أنّ الفرنسيين ترجموها والإسبان أصدرها الطبعة الثانية من هذه الرواية؟ الملمون بأمر النشر في ألمانيا يعلمون تماماً أنّ هذا الناشر (توماس باور فيرلاغ) لم يبد في أي يوم من الأيام أدنى اكتراث أو غيرة على الأدب العربي، فما الذي دفعه إلى طبع عشرة آلاف نسخة من هذه الرواية باللغة الألمانية؟ في حين أنّ عدد نسخ أهم رواية عربية مترجمة إلى الألمانية لا يصل إلى ثلاثة آلاف نسخة. وسارع الناشر إلى القول، مقلداً مثله الأعلى الفرنسي، بأنه على استعداد لتحويل ربع الرواية إلى جمعية الهلال الأحمر العراقي أو إلى أطفال العراق، تلك الشماعة التي علق عليها الكثيرون ارتباطاتهم بنظام بغداد أيام الحصار. بل مضى «هيلموث كلاين»، الذي كتب مقدمة الطبعة الألمانية، إلى أبعد من ذلك ورأى أنّ صدام بحاجة إلى ربع الكتاب لدفع أتعاب محاميه، خصوصاً أنّ محاكمته على الأبواب! الهلدا الحد وصلت الأمور في إهانة ضحايا النظام المخلوع؟ وهل صدام حقاً بحاجة إلى بضعة دولارات من دار نشر في قرية نائية من قرى بافاريا؟

المشكلة ليست في هذه الدار ودوافعها، إنسانية كانت أم تجارية، فكل دار نشر لها سياستها الخاصة وهي حرة في اختيار ما تراه مناسباً، لكنّها تتعلق هذه المرة بالأدب العربي. فمن قام بترجمة رواية صدام هي دوريس كيلياس التي قدمت روائع شجيح محفوظ للقراء الألمان (انظر الصفحة ٣١ من هذا العدد). في الحقيقة لا نفهم لماذا تقدم مترجمة بوزن ومكانة دوريس كيلياس على هذه المسامرة، خصوصاً أنّها وصفت رواية صدام «بكتلة من الغباء» وعانت، حسب قولها من «هذه اللغة المبهمة التي تذكر بخطابات المؤتمرات الحزبية؟» فكيلياس لم تترجم محفوظ فحسب بل إبراهيم أصلان وحسن داوود وميرال الطحاوي وغيرهم وهي على اطلاع كبير على الأدب العربي، فهل كان ينقصها أن تضيف دكتاتور العراق إلى قائمة مؤلفيها العرب؟ سؤال تترك الإجابة عليه لكيلياس نفسها. هذه القضية تظهر غياب المعايير الدقيقة في اختيار النصوص العربية المترجمة إلى الألمانية وكم هي الفوضى والعشوائية التي تتحكم بهذا الأمر ونحن على أبواب معرض فرانكفورت للكتاب.



«لإله إلا الله، محمد رسول الله»، لوحة للفنان الصيني ما تي شانغ، الصين ١٩٧٠ - ١٩٨٠

